أضواء على السيرة النبوية

دراسة في حياة الرسول (ص)
مع السيدة خديجة (ع)

الأستاذ المساعد الدكتور

حسين علي الشرهاني



أضواء على السيرة النبوية

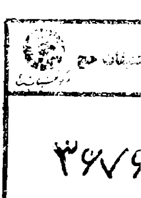
الكتاب: أضواء على السيرة النبوية

دراسة في حياة الرسول(ص) مع السيدة خديجة(ع)

تأليف: الأستاذ المساعد الدكتور حسين علي الشرهاني

الطبعة الأولى: ٢٠١٢

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين





طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠- ٠٠٩٦٣

Email:
akramaleshi@gmail.com

أضواء على السيرة النبوية

دراسة في حياة الرسول(ص) مع السيدة خديجة(ع)

الأستاذ المساعد الدكتور

حسين علي الشرهاني



إهداء

سيدي: رسول الله (ص)

نستسقي الرحمة بوجهك الكريم

ونشكو إلى الله فقدك

هل لي ان أنحني امام بهائك

واقدم جهداً بسيطاً كهذا

سيدتي: أم المؤمنين خديجة الكبرى(ع)

كثيرات هن النساء اللواتي مررن بصفحات التاريخ

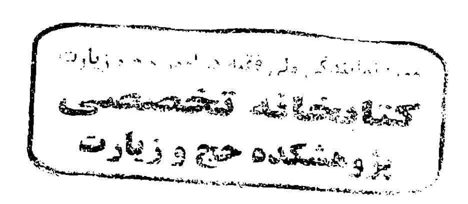
وكثيرة هي الأقدام التي لم تحفظ ذاكرة الزمان وقعها

وأنت سيدتي:

أية صفحات ملائكية مضيئة تستطيع احتمال فيض حضورك المشرق دوما في إسلام الدنيا؟

أهدي جهدي هذا إلى زوجتي أم عمار

إلى ولدي عمار وعبد الله



المقدمة

تعد دراسة السيرة النبوية من الدراسات المهمة والضرورية للباحث ، الذي يريد التعرف على تاريخ المسلمين ، لأنها المحور الرئيسي الذي قام عليه تاريخهم ، والأساس الذي انبثقت منه هويتهم الحضارية ، ولا يمكننا فهم تاريخ الشعوب الإسلامية ، ما لم نطلع على تلك الحقبة التاريخية ، لكن في الوقت نفسه لا يستطيع الباحث الإلمام بكل تفاصيل هذه المرحلة التاريخية ، لذلك يلجأ أغلب الباحثين إلى التركيز على أجزاء من هذه السيرة ويحاولون دراستها.

ونحن بدورنا لا نستطيع دراسة السيرة النبوية بأكملها لذلك درسنا في كتابنا هذا بعض الأجزاء من سيرة الرسول الأعظم(ص) ، وعلى الرغم من ان البحث تناول مجموعة متعددة من المواضيع ، لكننا ركزنا على حياة الرسول(ص) مع السيدة خديجة(ع) ، لأننا نعتقد ان حياة الرسول(ص) مع زوجته الأولى حافلة بالأحداث المهمة في تاريخ المسلمين ، إذ شهدت المدة التي عاشها معها أهم مراحل حياة الرسول(ص) ، إبتداءاً من عمله معها إلى زواجه منها إلى ولادتها لأبنائه ، ثم تفرغه للتعبد والتفكر وهي المرحلة السابقة لنزول الوحي ، ثم مرحلة تلقي النبي(ص) لوحي السماء والظروف المحيطة بتلك المدة ، ثم بداية الدعوة الإسلامية والصراع مع الشرك والمشركين ، وبعدها عاصرت معه مراحل الدعوة الإسلامية في مكة ، حتى السنة العاشرة للبعثة وهي السنة التي توفيت فيها ، ولا يخفى ان هذه المدة هي فترة التأسيس في تاريخ المسلمين ، التي انطلقت بعدها قافلة الإسلام باتجاه التوسع

والانتشار ، فبعد ان كان محاصراً غريباً أصبح ديناً شاملاً جامعاً ، يعتنقه الملايين في مشارق الأرض ومغاربها.

أما التركيز في البحث على سيرة السيدة خديجة(ع) ، كان سببه إنها كانت صاحبة أثر كبير في حياة الرسول(ص) والمسلمين ، فقد واست رسول الله(ص) بمالها ونفسها وظاهرته بعشيرتها ، وقدمت له وللمسلمين كل ما تستطيع تقديمه ، فهيأت للرسول(ص) حياة مستقرة سعيدة ، مكنته من التفرغ لأفكاره الروحية ، وجاهدت في الإسلام جهاداً كبيراً ، حتى أخر أيام حياتها ، فتوفيت وهي تعاني من آثار المقاطعة والحصار ، فأفنت نفسها وحياتها وراحتها في خدمة الرسول(ص) والرسالة الإسلامية.

وعلى الرغم من أهمية مواضيع السيرة ومنها موضوع بحثناً هذا ، لكننا لم نجد ان هناك اهتمام كبير منصب عليه ، وكذا حال الكثير من مواضيع السيرة النبوية ، والسبب في ذلك يعود إلى ان أغلب الباحثين الذين درسوا السيرة ، حاولوا دراستها بصورة شاملة كاملة ، ولم يركزوا على جزئياتها ، وهو أمر شائع عند المؤرخين في العصر الحديث ، لاسيما عند الباحثين الذين تأثروا بمنهج المستشرقين في دراسة السيرة النبوية ، ومع ان هذا المنهج يعطينا صورة كاملة عن المرحلة التاريخية التي يدرسها ، وهو بحاجة إلى مهارة وخبرة في الكتابة ، لكنه لا يركز على الجزئيات في هذه السيرة ، ويدرسها بصورة مختصرة ، حتى أننا لا نستطيع الاعتماد على هذه الدراسات من أجل التعرف على أحداث السيرة ، لذلك لجأ الكثير من الباحثين إلى التركيز على بعض مواضيع السيرة ودراستها ، سواء كانت تلك الدراسات تعنى بأحداث السيرة ، أو بالشخصيات التي عاصرت تلك الفترة ، فأصبح لدينا الكثير من الدراسات في كل مواضيع السيرة النبوية ، وبدأنا نلجأ إليها ونبتعد عن الدراسات الشاملة ، ونحن بدورنا رأينا ان موضوع حياة النبي مع السيدة خديجة(ع) ، من المواضيع المهمة جداً وبحاجة إلى دراسة مستقلة ، وقد درسنا هذا الموضوع في كتابنا (حياة السيدة خديجة بنت خويلد(ع) من المهد إلى اللحد) الذي صدر عن دار الهلال في عام ٢٠٠٥ ، وركزنا على كل تفاصيل حياة السيدة خديجة فيه ، وفي هذا

الكتاب عالجنا بعض الثغرات التي رافقت ذلك الكتاب ، وأضفنا إليه بعض المواضيع الجديدة التي رأينا إنها تكمل البحث ، كما عملنا على جعل لغة الكتاب أقرب للقارئ من الكتاب الأول ، كذلك فإن قلة الدراسات التي تناولت سيرة هذه المرأة العظيمة ، دفعنا إلى تكرار العمل مرة أخرى ، وفق منهج جديد وبأسلوب علمي ، لاسيما ان معظم الدراسات التي تناولت حياتها ، كانت أدبية وفي كثير من الأحيان لا تعدو كونها تعريفية ، أو درستها في معرض الحديث عن السيرة النبوية ، وهذه الدراسات مهمة بالتأكيد للحركة العلمية ، لكنها غير كافية للتعريف بتاريخ هذه الشخصية.

أما أهم العقبات التي اعترضت بحثنا ، فهي قليلة تتلخص بقلة الروايات التي تتحدث عنها ، وغموض الكثير من تفاصيل حياتها ، وهي صعوبات طبيعية تواجه البحوث التي تتناول تلك الحقبة ، لكن المهم في الأمر أنها يجب ان لا تثنينا عن مواصلة البحث.

وقد قسمنا هذا البحث إلى مجموعة من المواضيع ، تناولت تاريخ مكة قبيل البعثة النبوية ، والبعثة النبوية حتى السنة العاشرة ، ومن خلال هذه المواضيع درسنا حياة السيدة خديجة(ع) ، فابتدأنا بدراسة لأوضاع مكة السياسية والدينية والاقتصادية قبل البعثة النبوية ، وتعرفنا على أثر قصي بن كلاب جد النبي في هذه الأحداث ، ثم درسنا تاريخ حكم أبناءه لهذه المدينة ، وبعدها ناقشنا أثر جديّ الرسول(ص) هاشم وعبد المطلب في مكة ، والهدف من هذه الأبحاث هو التعرف على مكانة أسرة الرسول(ص) قبل الإسلام ، لاسيما ان هناك الكثير من الروايات جعلت من الرسول(ص) شخصاً مغموراً.

ثم درسنا حملة أبرهة على مكة وأثر أسرة الرسول(ص) في هذه الحادثة ، وبعدها تركزت دراستنا على أسرة السيدة خديجة(ع) وتاريخها قبل الإسلام ، ومكانة هذه الأسرة في مكة ، وأبرز رجالها حتى بداية الدعوة الإسلامية ، ثم ناقشنا ولادة السيدة خديجة(ع) وحاولنا تحديد تاريخ ولادتها بصورة دقيقة ، معتمدين على بعض

الروايات التي ذكرت عمرها عند الزواج من الرسول(ص) ، ثم حاولنا دراسة الروايات التي ذكرت زواجها قبل الرسول(ص) ، وأبناءها من أزواجها الاثنين اللذين ذكرتهما الروايات ، وبعد ذلك درسنا عمل السيدة خديجة(ع) في التجارة ، وقد ناقشنا في البداية مصادر أموالها ، ثم عملها ودعوتها للرسول(ص) للعمل معها ، ثم درسنا موضوعاً مهماً في هذا المجال ، وهو لقاء الرسول(ص) ببعض الرهبان أثناء قيامه بسفراته التجارية إلى الشام ، وفي هذا الموضوع حاولنا التحقق من صحة هذه الروايات ، لاسيما ان فيها الكثير من الأمور غير المنطقية ، وأخيراً تتبعنا مصادر إنفاق أموال السيدة خديجة(ع) حتى الهجرة النبوية إلى يثرب (المدينة المنورة).

ثم درسنا زواج الرسول(ص) من السيدة خديجة(ع) ، والأسباب التي دفعت إلى هذا الزواج ، والروايات التي تحدثت عنه ، وفي هذا الموضوع حاولنا استقصاء كل الروايات التي وردت في كتب السيرة ، وناقشناها بصورة تفصيلية في محاولة لإبعاد الضعيف منها ، وإيجاد صورة واقعية مقبولة لهذا الزواج ، الذي أخرجته بعض الروايات عن العقل والمنطق. وبعدها تتبعنا حياة الرسول(ص) معها إلى البعثة ، مروراً بأبنائه منها وفق منهج يناقش كل واحد من هؤلاء الأبناء على حدة ، ويحلل الروايات التي تحدثت عنه ، وركزنا ولادة ووفاة كل منهم أكثر من التركيز على حياتهم ، لأن هذا الأمر يخرجنا عن موضوعنا.

ثم درس البحث البعثة النبوية من نزول الوحي وحتى السنة العاشرة ، وأثر السيدة خديجة(ع) في هذه الفترة ، وابتدأ بمناقشة تعبد الرسول(ص) قبل البعثة النبوية ، وما قامت به السيدة خديجة(ع) في هذه الفترة ، من تهيئة الأجواء له ومشاركته في تعبده ، ثم ناقش بعض الروايات التي نسبت الشرك للرسول(ص) ، ثم درس روايات الوحي بالنقد والتحليل وخلص إلى رؤية واضحة لهذه الحادثة ، ثم ناقش وقت إعلان السيدة خديجة(ع) لإسلامها ، ثم انتقل البحث إلى دورها في البعثة النبوية ، وما جابهته من مشاق وما حملته على عاتقها من مصاعب في سبيلها ، وخاصة حصار الشعب الذي فرض على بني هاشم ، والذي يبدو أنه أثر

بالسيدة (ع) حتى أنها توفيت بعد الخروج منه ، ثم اختتم البحث بمجموعة من الأحاديث النبوية التي قالها رسول الله(ص) فيها.

أما مصادر البحث فهي كثيرة ومتنوعة تضم كتب السيرة النبوية التي أغنت البحث بالكثير من المعلومات ، مثل السيرة النبوية لابن هشام ، وكتب التاريخ العام التي غطت أغلب جوانب البحث ، مثل تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري وتاريخ اليعقوبي ، والطبقات والتراجم والسير التي اعتمد عليها البحث في نقل المعلومات الخاصة بالأشخاص الذين ورد ذكرهم في مواضيع البحث ، وأهم هذه الكتب كتاب الطبقات لمحمد بن سعد ، وكتب الحديث النبوي التي أخذ البحث منها معظم الأحاديث الواردة بحق السيدة خديجة(ع) ، وأثرها بعد نزول الوحي ، مثل صحيحي مسلم والبخاري وغيرهما ، كذلك اعتمد في بعض المعلومات والروايات على كتب الأدب واللغة والجغرافيا وغيرها.

وفي الختام نسأل الله ان نكون قد وفقنا في عرض موضوع البحث بصورة تناسب القارئ وترضيه.

دراسة لأوضاع مكة
قبيل البعثة النبوية

لابد لنا في البداية من دراسة أوضاع مدينة مكة قبيل البعثة النبوية ، حتى نتعرف على أثر أسرتي الرسول(ص) ، والسيدة خديجة(ع) في هذه الأحداث ، ومكانة كل منهما في المجتمع المكي ، وطبيعة الأنشطة التي كانت تمارس في ذلك المجتمع ، لاسيما إذا عرفنا ان هناك الكثير من الروايات حاولت المساس بمقام النبي(ص) ، وحاولت تصويره على أنه شخص مغمور في ذلك المجتمع ، وجعلت زواجه من السيدة خديجة(ع) بمثابة نقطة التحول في حياته ، لأنها رفعت من مستواه المادي والاجتماعي ، وهذا الأمر يحتاج منا التعرف عن كثب على الوضع العام في مكة ، وطبيعة الأحداث في تلك الفترة ، سواء الاقتصادية منها أو الاجتماعية أو السياسية أو الدينية ، حتى نستطيع ان نكون صورة واضحة قبل الدخول في تفاصيل حياة الرسول(ص) وارتباطه بالسيدة خديجة (ع) ، لأن هذا الأمر يعطينا أجوبة على الكثير من التساؤلات التي تعترضنا فيما بعد.

سكنت أسرتا الرسول والسيدة خديجة(ع) في مدينة مكة ، التي كانت تعد من أهم المدن التي عرفتها الجزيرة العربية في تلك الحقبة التاريخية ، وذلك منذ ان نزل فيها إسماعيل(ع) وأمه ، وأصبحت مكاناً لبيت الله الحرام ، ثم تزايدت هذه الأهمية على أثر الصراع الذي كان ناشئاً بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية ، إذ أخذت الطرق التجارية تتحول شيئاً فشيئاً إلى الحجاز ، وبعد ان أصبحت مكة مدينة عامرة كان لابد للقوافل التجارية المرور بها ، لوقوعها في منتصف الطريق الذي يربط بين

اليمن والشام ، كما ان الأهمية الدينية التي تمتعت بها هذه المدينة جعلت التجار من العرب يأتون إليها في مواسم الحج حاملين تجارتهم ، فانعقدت تبعاً لذلك الأسواق التجارية على الطرق المؤدية إلى مكة ، وفي المناطق القريبة منها ، وهذه الأمور مجتمعة كانت سبباً رئيساً في انتعاش هذه المدينة وتعاظم شأنها ، وكأن الله سبحانه وتعالى أراد لها ان تكون أعظم مدينة في الجزيرة العربية.

ولم تكتمل هذه الأهمية إلاّ بعد ان تسنم قصي بن كلاب جد الرسول والسيدة خديجة(ع) الزعامة فيها[1] ، والتي كانت قبل ذلك بيد قبيلة خزاعة[2] ، ويعد قصي المؤسس الحقيقي للوجود القرشي السياسي والديني في مكة ، إذ تذكر الروايات أنه فقد أباه وهو صغير ، فتزوجت أمه فاطمة بنت سعد بن ربيعة(من بني عذرة) بربيعة بن حرام(من قبيلة قضاعة) ، فاضطرت إلى مغادرة مكة إلى مكان إقامة زوجها مع أهله في ديار قضاعة قرب منطقة تبوك في شمال الجزيرة العربية ، وأخذت معها ابنها قصي لينشأ هناك بعيداً عن قومه[3] ، فشب قصي وهو يعتقد ان أباه ربيعة بن حرام ، لكن أحد أفراد قبيلة قضاعة عيره بأنه ليس منهم ، عند ذلك أعلمته أمه أنه من قريش فعاد إلى مكة[4] ، وتذكر الروايات ان قصي كان رجلاً جلداً حازماً بارعاً[5] ، لذلك سرعان ما انتشر صيته في مكة فتزوج من حبى بنت حليل بن حبشية الخزاعية التي كان أبوها زعيم قبيلة خزاعة التي حكمت مكة قرابة ثلاثمائة عام[6] ، فاستطاع من خلال هذا الزواج ان ينتزع زعامة مكة من هذه القبيلة[7] ،

١- ابن هشام، السيرة النبوية، ١١٥/١، الأزرقي، أخبار مكة، ١١٠/١.

٢ ـ الأزرقي، أخبار مكة، ١٠٢/١.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٠٩/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦٧/١، الأزرقي، أخبار مكة، ١٠٤/١.

٤ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٥/٢.

٥ ـ الأزرقي، أخبار مكة، ١٥٠/١.

٦ ـ الأزرقي، أخبار مكة، ١٠٣/١.

٧ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٠٩/١، وقد وردت عدة روايات في كيفية انتزاع قصي سيادة=

وأصبح زعيم مكة من دون منازع ، وهو أول أبناء كنانة ـ القبيلة التي تنتسب إليها قريش ـ أصاب الملك وأصبح زعيماً[1] ، وبعد هذا شرع في تنظيم الحياة في مكة ، فكان أول إجراءاته ان نظم سكن القرشيين في مكة ، فقسم المناطق المحيطة بالكعبة على بطون قريش فأنزلها على قسمين:

القسم الأول: قريب من الكعبة تسموا قريش البطاح ، وهم بنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن مرة وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدي بن كعب علاوة على قصي وأبناءه.

القسم الثاني: أنزلهم في مناطق بعيدة عن الكعبة تسموا قريش الظواهر[2].

ومن خلال هذا التقسيم المتقدم يبدو ان قصياً أنزل البطون القريبة إليه بالنسب في المناطق المحيطة بالكعبة ، والبطون البعيدة عنه في المناطق التي تليها ، وربما كان الهدف من هذا التقسيم هو إيجاد قوة يستطيع من خلالها حماية ما حققه من إنجازات في مكة ، وهذا يتضح من الرواية التي تحدثت عن هذا الأمر: (وجمع قومه من قريش من منازلهم يستعز بهم)[3].

وكانت قبيلة خزاعة تهاب قطع الشجر الذي ينبت في الحرم ـ المنطقة المحيطة بالكعبة ـ لقدسية هذا المكان عند العرب عموما وعند سكنة مكة بشكل خاص ، لذلك حتى قبيلة قريش كانت تخشى من هذا الإجراء ، لذلك قام قصي بقطع الأشجار بنفسه[4] ، ثم قسم مكة إلى خطط وأرباع وأنزل قومه فيها[5] ، ولما سمعت

=مكة من قبيلة خزاعة، وقد ناقش هاشم يحيى الملاح هذه الروايات بالتفصيل، ينظر الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩٤، ص٢٧٦ ـ ٢٧٧ وما بعدها.

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١١٥/١.

٢ ـ المسعودي، مروج الذهب،

٣ ـ الأزرقي، أخبار مكة، ١١٠/١.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧١/١.

٥ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٢/١.

العرب بما فعله من إخراج خزاعة من البيت ، نادى في قومه: (قد حضر الحج ، وقد سمعت العرب ما صنعتم[1] ، وهم لكم معظمون ، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام ، فليخرج كل إنسان منكم من ماله خرجا ففعلوا ، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، فلما جاء أول الحج نحر على كل طريق من مكة جزوراً ، ونحر بمكة ... وسقى الماء واللبن وغدا على البيت وجعل له مفتاحاً وحجبة)[2] ، وكل هذه الأعمال رفعت من منزلة قصي وقريش عند العرب ، ثم عمل على إنشاء دولة ـ مدينة فبنى داراً قرب الحرم سماها (دار الندوة) ، وكان بمثابة مبنى لحكومته التي أسسها في مكة ، إذ كانت قريش تتداول أمورها المهمة في هذه الدار[3].

ومما تقدم يتضح ان قصياً استطاع ان يصنع كياناً سياسياً لقريش ، بعد ان كانت قبيلة متفرقة لا يجمعها شيء سوى نسبة الدم ، التي تربط أفرادها فكان قصي: (شريف أهل مكة لا ينازع فيها... ويتبعون أمره كالدين المتبع ، لا يعمل بغيره في حياته وبعد موته)[4] ، وهو (أول من أعز قريشاً ، وظهر به فخرها ، ومجدها ، وسناها ، وتقرشها ، فجمعها وأسكنها مكة ، وكانت قبل ذلك متفرقة الدار ، قليلة العز ، ذليلة البقاع)[5].

ومن الطبيعي والحال هذه ان تنال قريش مكانة رفيعة عند العرب ، تبعاً لأهمية البيت الحرام عند العرب الذي كانوا سدنته ، فيكون لسادن مكة (قصي) نصيب أوفر من هذا التقديس ، ويتميز على سائر الناس باحترام خاص[6] ، لذا كانت قريش قريش كلها تدين بالشكر لقصي على ما أنشئه لها .

---

١ ـ تذكر الروايات ان قصيا أخرج خزاعة من البيت بالقوة بعد ان حاولوا انتزاع الزعامة منه والتي حصل عليها بعد وفاة حليل الحبشي، معتمدا على نصرة أخيه لأمه رزاح بن ربيعة القضاعي ومن أطاعه من قريش، ينظر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٣٨/١.

٢ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٣٩/١.

٣ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧٠/١، ابن حبيب، المنمق، ص٢٢٢ ، وسميت هذه الدار دار الندوة ، لأنهم كانوا ينتدون فيها أي يجتمعون.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧٠/١.

٥ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٤٠/١.

٦ ـ العاملي، الصحيح في سيرة النبي الأعظم، ٤٠/٢.

انتقال الزعامة
في مكة إلى أبناء قصي

بعد ان توفي قصي انتقلت زعامة مكة إلى أبنائه من بعده ، إذ كان له أربعة أبناء ذكور أنجبهم من زوجته حبى الخزاعية ، وهم عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي[1] ، وتذكر الروايات أنه كان قد جمع أمور مكة المهمة بيده ولم يشاركه فيها أحد ، فكانت له الحجابة أي سدانة الكعبة (وهي قفل البيت وفتحه للزائرين وتنظيم أموره) والسقاية (وهي توفير الماء للحجيج في موسم الحج وغيره) والرفادة (وهي إطعام الحجاج) واللواء وهي راية قريش في الحرب ، فضلاً عن الرئاسة التي كانت له[2] ، ثم آلت زعامة قريش بعد وفاة قصي إلى أبنائه الأربعة ، لكن لم يتمكن أحد منهم ان يجمع كل السلطات بيده كما كان عليه الحال في عهد قصي ، بل توزعت الزعامة فيما بينهم ، وقد وردت ثلاث روايات عن كيفية تقسيم وظائف الكعبة:

الأولى: أورد ابن إسحاق رواية مفادها ان عبد الدار بن قصي البكر ، كان مغموراً وضعيفاً دون بقية أخوته ، لذلك قام قصي بإسناد وظائف الكعبة له ، فقال له: (أما والله لألحقنك بالقوم ، وإن كانوا قد شرفوا عليك ، لا يدخل منهم رجل الكعبة حتى تكون أنت تفتحها ، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلا أنت بيدك ، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا

---

١ ـ مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص١٤.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١/ ٧٠.

طعامك ، ولا تقطع قريش أمورها إلا في دارك ، فأعطاه داره دار الندوة التي لا تقضي قريش أمورها إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة)[1].

الثانية: أوردها الأزرقي عن ابن جريج وفيها ان قصياً قسم (أمور مكة الستة التي فيها الذكر والشرف والعز بين ابنيه ، فأعطى عبد الدار السدانة وهي الحجابة ودار الندوة واللواء ، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة)[2].

الثالثة: أوردها اليعقوبي دون ان يشير إلى سندها ونصها (قسم قصي بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف ، والدار لعبد الدار ، والرفادة لعبد العزى وحافتي الوادي[3] ، لعبد قصي)[4].

ومن خلال قراءة هذه الروايات الثلاث يظهر ان رواية ابن إسحاق تذهب إلى أنه أعطى جميع الوظائف لابنه عبد الدار ، وهذا يتنافى وما عرف عن قصي من ذكاء وموهبة ، وليس من المعقول ان يترك أمر وظائف الكعبة بهذا الشكل ، دون ان يجد لها حلاً مناسباً ، مع ما لها من أهمية كبيرة في مكة والجزيرة العربية ، وذلك لمكانة الكعبة عند العرب ، والذي يبدو ان هذه الرواية هي نتيجة لما حصل بعد ذلك من أخذ بني عبد الدار هذه الوظائف من أبناء عمومتهم ، وسنأتي على بيان ذلك ، ورواية ابن جريج أيضا هي نتيجة لما حصل فيما بعد من نزاع على هذه الوظائف ، بين أبناء عبد الدار وأبناء عبد مناف واتفاقهم على تقسيم يشبه ما جاء في الرواية أعلاه ، لكن رواية اليعقوبي منطقية جدا ، يؤيدها ما سوف نقدمه من شواهد ، إذ يبدو أنه قسم وظائف الكعبة بين أبناءه ، ولم تحدث بينهم مشاكل ، لكن وفاتهم أدت إلى ظهور مشاكل بين أبنائهم.

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١/١١٩، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/٧٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٢٥٩.

٢ ـ أخبار مكة، ١/١٠٩ـ١١٠.

٣ ـ ربما كان المقصود بحافتي الوادي هنا تعشير من يدخل مكة من التجار أي فرض ضرائب عليهم، لاسيما ان قصي كان يفعل ذلك، ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/٧٠.

٤ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١/٢١١.

تذكر الروايات ان بني عبد مناف أرادوا ان ينتزعوا هذه الوظائف من بني عمهم ، لأنهم (رأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم)[1] ، لذلك انقسمت قريش إلى معسكرين ، الأول يضم بني عبد مناف وحلفائهم بني أسد بن عبد العزى وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة وبني الحارث بن فهر وسمي هذا الحلف بالمطيبين ، لأنهم غمسوا أيديهم في إناء مملوء طيب ، والثاني يضم بني عبد الدار وحلفائهم وهم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو سهم وبنو عدي بن كعب وأطلقوا على أنفسهم اسم الأحلاف[2] أو لعقة الدم[3] ، وكادت الحرب تقع بين الطرفين ، لكنهم تداعوا إلى الصلح ، واصطلحوا على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة ، وتكون الحجابة واللواء ودار الندوة لبني عبد الدار[4] ، والذي نلاحظه في هذه الأحلاف هو ان الذين انحازوا إلى أبناء عبد مناف هم من أبناء عمومتهم ، فرأينا وجود بني عبد العزى أجداد السيدة خديجة(ع) وبني زهرة بن كلاب وغيرهم ، فيما البطون التي انحازت إلى بني عبد الدار هي أكثر بعدا في النسب ، وهذا دليل على ان أبناء عبد الدار كانوا مغتصبين لهذه الوظائف.

كما ان هذه الرواية تؤكد صحة رواية اليعقوبي في تقسيم قصي لوظائف الكعبة بين أبنائه الأربعة ، لكن وفاتهم أدت إلى انتقال هذه الوظائف إلى أبناء عبد الدار مع ما أعطاهم قصي ، والسبب في ذلك ان أبناء عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي كانوا صغاراً لا يستطيعون تحمل الوظائف ، ويؤيد هذا الرأي الرواية التي أوردها ابن

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢٠/١.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢١/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧٧/١، ابن حبيب، المنمق، ص٢٠، الفاسي، شفاء الغرام، ٧٦/٢.

٣ ـ سمي هذا الحلف لعقة الدم لأنهم نحروا جزورا، وغمسوا أيديهم في دمه، ولعق أحدهم الدم، وهو حارثة بن نضلة من بني عدي، ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧٧/١، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٨٣، ابن حبيب، المنمق، ص٢٠.

٤ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢٢/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧٧/١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٣١٣/١.

حبيب (فهلك عبد مناف يوم هلك فكان ما سمينا. من وظائف الكعبة ـ لبني عبد الدار ، ثم ان بني عبد مناف أرادوا أخذ ذلك منهم فقالوا نحن أحق بها)[1].

ويمكننا ان نتعرف أكثر على صحة هذا الرأي ، إذا عرفنا ان صاحب أمر بني عبد الدار في حلف لعقة الدم هو عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار[2] ، وكان هاشم بن عبد مناف بن قصي صاحب أمر بني عبد مناف في حلف المطيبين[3] ، في حين لم تشر المصادر إلى صاحب أمر بني عبد العزى في هذا الحلف واكتفت بالقول: (فكان بنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر مع بني عبد مناف)[4] ، وسواء كان أسد أو أحد أبناءه فإنه يدل على ان أسد كان أصغر من أبناء عبد الدار ، لأن عامر بن هاشم يبتعد بثلاثة آباء عن قصي ، بينما يبتعد هاشم بن عبد مناف وأسد بن عبد العزى بأب واحد وأبناؤه بأبوين.

ونحن نرجح كون أسد هو صاحب الأمر في حلف المطيبين ، وذلك لأن زواجه من خالدة بنت هاشم[5] يجعله معاصراً لهاشم بن عبد مناف ، إذن السبب في نشوب هذا النزاع ، هو محاولة بني عبد مناف وبني عبد العزى استرجاع حقوقهم من بني عبد الدار ، بعد ان بلغوا مبالغ الرجال وشرفوا في قومهم وظهر تميزهم[6].

والملاحظة الثانية التي تهمنا في هذا النزاع ، هو التزام بني عبد العزى جانب هاشم ، وتحالفهم معه بالرغم من ان أبناء عبد الدار كانوا أبناء عمومتهم أيضا ،

---

١ ـ ابن حبيب، المنمق، ص١٩ ـ٢٠.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢١/١.

٣ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧٧/١.

٤ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢١/١.

٥ ـ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٦٨.

٦ ـ حاول بعض الباحثين مناقشة هذا النزاع، لكنهم اعتمدوا على رواية ابن اسحاق فقط دون الرجوع إلى بقية الروايات ينظر العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٨٣ ، العسلي، دور أجداد الرسول(ص) في مكة ، ص٣٩ ـ ٤١ ، الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨.

ويرجع السبب في ذلك إلى ان بني عبد العزى قد فقدوا حقوقهم في وظائف الكعبة أيضا ، زيادة على ان صلة القرابة التي أشرنا إليها في زواج عبد العزى من خالدة بنت هاشم وإنجابها له عدة أبناء هم نوفل وصيفي وحبيب[1] ، ويمكن ان نضيف إلى ذلك ان أسد بن عبد العزى لم يكن له أخوان لذلك فضل ان يلجأ إلى هاشم وحلفائه ليقوي نفسه في قريش ، ويدخل في ائتلاف مع البيوت القرشية ليحول دون استبداد أبناء عبد الدار بالأمور ، فينشأ نتيجة لذلك نوع من توازن القوة في مكة وهذا ما حدث بالفعل حيث بقي المجتمع القرشي مستقراً طيلة الفترة الممتدة من وفاة قصي حتى قيام الدعوة الإسلامية.

---

١ - ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٦٨.

بروز هاشم في أحداث مكة

كما رأينا ان النزاع حول وظائف الكعبة ، انتهى بعد ان حصل هاشم بن عبد مناف على السقاية والرفادة ، ولم يحصل أسد بن عبد العزى وحلفاء هاشم على شيء ، والذي يبدو من خلال الروايات أنهم لم يعترضوا على هذه النتيجة ، لأنهم رأوا ان المستقبل مع هاشم ، لاسيما أنه قام بعقد معاهدات تجارية سميت بالإيلاف[1] مع الدولة البيزنطية والساسانية والحبشة ومصر ومع القبائل القاطنة على الطرق التجارية مقابل بعض الامتيازات[2] ، وأصبح أكثر زعماء قريش تأثيرا في مكة ، وأخذت قريش في عهده تبعث قوافلها إلى أماكن مختلفة ، بعد ان كانت تجارتهم داخلية لا تعدو مكة والمناطق القريبة منها ، حيث يقدم عليهم التجار بالسلع ، فيشترون منهم ثم يتبايعوا فيما بينهم[3].

وكان هذا النزاع حول وظائف الكعبة ، أول بروز لهاشم بن عبد مناف في أحداث مكة كزعيم منظور إليه فيها ، إذ أعطاه أخوته وحلفاءه ما حصلوا عليه من هذا النزاع[4] ، لأنهم رأوا فيه زعيماً قادراً على إدارة أهم وظائف الكعبة السقاية

---

١ ـ أشار القرآن الكريم إلى هذه المعاهدات بقوله تعالى (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(٤).

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢٥/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧٨/١، ابن حبيب، المنمق، ص٣٢، ولمزيد من المعلومات عن الإيلاف راجع كستر، الحيرة ومكة، ص٥٣.

٣ ـ ابن حبيب، المنمق، ص٣١، أبو علي القالي، ذيل الأمالي، ص١٩٩، الكلاعي، الاكتفاء، ١٤٧/١.

٤ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٥/١.

والرفادة ، والتي ترتبط بالبيت الحرام ، الأساس الذي قامت عليه مكة ، أما الزعامة فبالرغم من ان هاشم كان يتمتع بها على قومه ، وكانت قريش تنظر إليه على إنه زعيمها[١] ، إلا ان هذه الزعامة لم تكن مطلقة كما هو الحال في عهد قصي ، لأن العرب في كثير من الأحيان لم تكن تملك عليها أحد[٢] ، لاسيما في مكة التي كانت تتمتع بخصوصية دينية ، فكانوا يقولون: (إن قريش لقاح لا تملك أي لا يدونون للملوك)[٣] ، وبعد هذا الاستقرار في مكة ، كان لابد لهاشم ان يعمل على تحقيق انتعاش اقتصادي فيها ، وهو يعرف سوء الحالة الاقتصادية التي كان يعيشها قومه ، إذا كان الجوع يأخذ منهم مأخذاً كبيراً ، فكانت كثير من الأسر تفضل الموت على ذل السؤال ، إذ تذكر الروايات (إن قريشاً كانوا إذا أصابت واحداً منهم مخمصة ، جرى هو وعياله إلى موضع معروف ، فضربوا على أنفسهم خباء فماتوا)[٤] ، وهو ما يسمى عند العرب بالأعتفاد (أي إنهم كانوا إذا اشتد بهم الجوع وخافوا ان يموتوا ، أغلقوا عليهم باباً وجعلوا حظيرة من شجر يدخلون فيها ليموتوا جوعاً)[٥] ، وهذه الحالة سببها الطبيعة الصحراوية التي تتسم بها مدينة مكة ، والتي يوضحها القرآن الكريم على لسان نبي الله إبراهيم(ع) بقوله تعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)[٦] ، ولم تكن هناك مصادر للرزق يستطيع عن طريقها القرشيون إعالة أنفسهم ، فاتجهوا إلى التجارة من أجل إيجاد مصادر للرزق ، لكن هذه التجارة لم تكن بالمستوى الذي يستطيعون من خلالها تحسين أحوالهم المعاشية ، وهنا جاء أثر هاشم في إنعاش اقتصاد قريش واستقرار الحياة فيها.

---

١ - ابن حبيب، المنمق، ص٤١.

٢ - ابن عبد ربة، العقد الفريد، ٣١٥/٣.

٣ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٣٣/٣٨.

٤ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠٤/٢٠.

٥ - ابن منظور، لسان العرب، ٢٩٥/٣، الزبيدي، تاج العروس، ٤٢٦/٢.

٦ - سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

فقد كان يرى ان أهم الأشياء التي قامت عليها سيادة قريش هي رعايتهم للبيت الحرام ، فأكمل مسيرة آبائه في خدمة هذا البيت وحجاجه ، إذ تذكر الروايات أنه عندما أستلم وظيفتي الرفادة والسقاية ، قام في قريش وقال: (يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته ، وهم ضيف الله ، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه ، فأجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه ، التي لهم من الإقامة بها ، فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه)[١]. وبهذا يكون هاشم قد نشر فضل قريش على جميع العرب ، التي تفد إلى زيارة البيت الحرام ، وهي بحاجة إلى ما يسد رمقها من الطعام والشراب. فيكون قد حقق هدفين الأول: أثبت ان قريشاً أهل لإدارة أمور الكعبة وتنظيمها ، فحظيت باحترام العرب وتقديرهم ، والثاني: حماية العرب لقوافل القرشيين التجارية التي تمر بأراضيهم ، وهذا هو الأساس الذي قام عليه ما يعرف بمعاهدات الإيلاف.

لقد كانت قريش قبل هذه المعاهدات ، وعند نزولها قرب الكعبة تحاول العمل بالتجارة مستفيدة من انعقاد الأسواق التجارية قرب مكة ، لأن العرب قرنت أسواقها بالأشهر الحرم الأربعة ، خوفاً على تجارتها من الغزو والاعتداء ، فإذا كان موسم الحج خرجوا من ديارهم حاملين معهم تجارتهم ، وعقدوا الأسواق في طريقهم إلى مكة ، وعندما يصلون قريبا منها أصبحوا (بعكاظ يوم هلال ذي القعدة فيقيمون به عشرين ليلة ، تقوم فيها أسواقهم ، والناس على مداعيهم ودراياتهم ، منحازون في المنازل ، تضبط كل قبيلة إشرافها وقادتها ، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ، ويجتمعون في بطن السوق ، فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى مجنة فأقاموا بها عشراً ، أسواقهم قائمة ، فإذا رأوا هلال ذي الحجة ، انصرفوا إلى ذي المجاز ، فأقاموا به ثمان ليال ، أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز إلى عرفة ، فيتروون ذلك اليوم من الماء من ذي المجاز)[٢] ، وفائدة قريش من كل ذلك إنها كانت

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٥/١.

٢ ـ الأزرقي، أخبار مكة، ١٢٢/١ ـ ١٢٣.

تعشر من يدخل إلى مكة من هؤلاء التجار ، وهو أمر أوجده قصي عندما أستلم زمام الأمور في مكة[1] ، لكن هذه الفائدة كانت ضئيلة ، لاسيما إذا عرفنا ان أغلب هذه الأسواق كانت خارج مكة ، وهذا الأمر قد يؤثر سلباً على تجارة القرشيين ، إذ ان التجار ربما يعزفون عن المتاجرة بسبب تلك الضريبة .

فقامت قريش بممارسة التجارة مع من يدخل إلى مكة من هؤلاء التجار ، وهذه التجارة لا تعدو مكة في كثير من الأحوال التجارة الداخلية ، إذ (تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها ثم يتبايعونها بينهم ويبيعونها على من حولهم من العرب)[2] ، وهنا عمل هاشم على إيجاد بديل لهذه التجارة البسيطة ، التي لا تفي بأبسط متطلبات المعيشة ، مستغلاً علاقته التجارية التي كان قد حصل عليها من عمله في التجارة ، فقد كان موسراً كثير السفر[3] ، يحظى باحترام العرب لمكانته في مكة ، وخدمته لهم في موسم الحج ، ووصل بتجارته إلى مناطق بعيدة عن مكة ، فكان يدخل على النجاشي في الحبشة فيكرمه ويحبوه ، ويصل بتجارته إلى أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه[4] ، ويعلل المؤرخون هذا الأمر بأن هاشماً كان (من أحسن الناس وأجملهم إلى شرف نفسه وكرم فعاله ، فذكر لقيصر فدعا له فلما رآه وكلمه أعجب به وأدناه منه)[5] ، فأستغل هاشم هذا الأمر وقال للقيصر: (أيها الملك ان لي قوماً وهم تجار العرب ، فإن رأيت ان تكتب لهم كتاباً ، تؤمنهم وتؤمن تجارتهم ، فيغدوا عليك بما يستطرف من ادم الحجاز وثيابه ، فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم ، فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم)[6] ، وهذا يدل على

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧٠/١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١١/١.

٢ ـ أبو علي القالي، ذيل الأمالي، ص١٩٩.

٣ ـ الجاحظ، الرسائل السياسية، ص ٤١٣.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧٥/١ ـ ٧٦، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٢/٢.

٥ ـ الكلاعي، الاكتفاء، ١٤٧/١ ـ ١٤٨.

٦ ـ ابن حبيب، المنمق، ص٣١، ٣٢، ٣٣.

ان هاشماً كان يتمتع بعقلية تجارية ، أستطاع ان يقنع بها القيصر ، ويضعه موضع الشريك التجاري ، ويعقد معه معاهدة تجارية تحفظ تجارة قريش في المناطق التابعة للإمبراطورية البيزنطية ، والتي تمتد إلى حدود الشام مع الجزيرة العربية ، ثم أكمل عمله هذا بأن قام بعقد معاهدات مع القبائل التي تقطن على الطريق الذي يربط مكة بالشام ، فأخذ يعرض الكتاب الذي أبرمه مع القيصر على القبائل العربية بطريق الشام ويأخذ من أشرافهم الإيلاف ، ومضمونه ان يأمن تجار قريش عندهم بغير حلف إنما هو أمان للطريق ، على ان تحمل قريش لهم تجارتهم مع تجارتها ، ويكفونهم حمل هذه التجارة ، ويؤدون إليهم رؤوس أموالهم وربحهم[1] ، ثم عمل ذات ذات الأمر مع النجاشي ومع القبائل القاطنة على الطريق التجاري الذي يربط مكة بالحبشة[2] ، فخرجت قريش بتجارة كبيرة عظيمة ، وخرج معها هاشم يجوزهم الطريق ، ويوفيهم إيلافهم الذي أخذ لهم من العرب ، ويجمع بينهم وبين أشراف العرب حتى ورد بهم الشام ، فكانت هذه أعظم تجارة عرفتها قريش من حيث الأمان والربح[3].

لقد كان لهذه المعاهدات أثر كبير في استقرار أمور قريش وانتعاش اقتصادها ، وهذا كله كان بفضل هاشم ، كما أتسم الإيلاف بأمر آخر ، وهو ان قريشاً كانت تتكافل فيما بينها في هذه التجارة ، إذ ان جميع القرشيين كان لهم أموال في القوافل الذاهبة للتجارة ، فالذي له مال قليل كان بإمكانه ان يضعه في القافلة المتوجهة للتجارة ، دون الحاجة إلى الذهاب معها ، ثم يحصل على أرباحه عند عودة القافلة ، وعلى قدر ماله الذي يساهم به ، وقد يدير شخص واحد القافلة الذاهبة للتجارة ، كما هو الحال في القافلة التي اعترضها المسلمون بقيادة أبي سفيان ، وكانت سبباً في

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٨٠/١، ابن حبيب ، المنمق ، ص ٣٢، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٣/١، أبو علي القالي، ذيل الأمالي، ص١٩٩، الكلاعي، الاكتفاء، ١٤٧/١ ـ ١٤٨.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٨٠/١، الجاحظ، الرسائل السياسية، ص١٣.

٣ ـ ابن حبيب ، المنمق ، ص ٣٢.

معركة بدر الكبرى[1] ، وإلى هذا المعنى أشار الشاعر مطرود الخزاعي عندما التقى برجل له بنات وامرأة في سنة شديدة وليس هناك أحد يؤويه فدله بالقول:

يا أيها الرجل المحول رحله ... هلا نزلت بآل عبد مناف

هبلتك أمك لو حللت بدارهم ... ضمنوك من جوع ومن اقراف

الخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يعود فقيرهم كالكافي

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

نسبوا إليه الرحلتين كلاهما ... عند الشتاء ورحلة الأصياف

الآخذون العهد في آفاقها ... والراحلون لرحلة الإيلاف[2]

وهذه الأبيات تشير إلى ثلاثة معان ، الأول: أشرنا إليه وهو التكافل الاجتماعي ، الذي ضمنه الإيلاف لقريش ، والثاني: هو محاولة بعض المؤرخين تقليل دور هاشم في هذا الأمر ، بأن حاولوا نسبة الإيلاف إلى هاشم وأخوته[3] ، فيكون هو كأحدهم وهذا الأمر غير مقبول ، لأن هاشم هو صاحب الرحلتين كلتيهما رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، وقد أشار الجاحظ إلى هذا المعنى بالقول: (وكيفما كان الإيلاف فهاشم القائم به دون غيره من أخوته)[4] ، أما أخوته فكان دورهم بعد وفاة هاشم ، إذ تذكر الروايات لما: (هلك هاشم بن مناف جزعت قريش وخافت ان تغلبها العرب ، فخرج عبد شمس إلى النجاشي ملك الحبشة فجدد بينه وبينه العهد .. ، وخرج نوفل إلى العراق وأخذ عهداً من كسرى ..)[5] ، والمعنى الثالث: الذي أشارت إليه الأبيات هو

---

١ ـ الواقدي، المغازي، ٢٧/١ ، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٨٢/٢ ، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٣٦/٢ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣١٢/٢.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ١١٥ ، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٥/١.

٣ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٩/١ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣/٢.

٤ ـ الجاحظ، الرسائل السياسية، ص٤١٣ ـ ٤١٤.

٥ ـ ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٥/١.

كرم هاشم الذي أصبح مضرب الأمثال ، إذ ذكرت الروايات ان قريشاً أصابتها سنة ذهبت بالأموال ، فخرج هاشم إلى الشام ، فأمر بخبز كثير فخبز له فحمله على الإبل حتى وصل إلى مكة ، فهشم ذلك الخبز ونحر الإبل التي تحمله ، وأمر الطهاة فطبخوا ، ثم كفأ القدور على الجفان ، فأشبع أهل مكة وسمي على أثر هذه الحادثة باسم هاشم[1].

كما أورد السيوطي رواية عن كتاب الزبير بن بكار الأخبار الموفقيات عن عمر بن عبد العزيز تذكر الإعتفاد الذي كانت قريش تمارسه ، ونشأة هاشم في مكة واستلامه للزعامة فيها: (يا معشر قريش ان العز مع الكثرة ، وقد أصبحتم أكثر الناس أموالا وأعزهم نفراً ، وإن هذا الإعتفاد قد أتى على كثير منكم) ، وذكر رأيه الذي قبلته قريش ، وملخصه: ان يقوم كل غني بمساعدة فقير فيلحقه برحلاته في القوافل. ثم يذكر ان الله تعالى عندما هزم أصحاب الفيل ، قالت العرب: قريش أهل الله والله معهم ، فأنزل على النبي(ص): (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) ، أي لماذا يا محمد فعلت ذلك بأصحاب الفيل ، لأن قومك تراحموا وتواصلوا فيما بينهم ، فقال (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ)[2].

ثم تلاقى نظام الإيلاف بنظام آخر حفظ لقريش استقلالها ، وزاد من قوتها ووحدتها وهو نظام الحمس ، وهذا النظام هو امتياز لأبناء الوطن وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة ، كما إنه إظهار لشرف الانتساب إلى البلد الذي يمنح أهلية ذاك اللقب[3] ، وملخص هذا النظام ان قريشاً أرادت ان تضيف إلى الكعبة وإلى نفسها مظهراً من مظاهر القدسية ، فاتفقت ان لا تعظم شيئاً من الحل – أي الأرض الخارجة عن حدود الحرم المكي – كتعظيمها للحرم ، حتى لا تستخف العرب

---

١ ـ مؤرج السدوسي، حذف من نسب قريش، ص٣ ـ ٤ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧٥/١ ـ ٧٦، البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٨/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٥٢/٢.

٢ ـ الدر المنثور ، ٣٩٧/٦.

٣ ـ الخربوطلي، عبد المطلب، ص٤٢.

بحرمة البيت ، ووضعوا شعائر وطقوس لهذا النظام ، فتركوا الوقوف والإفاضة منها ، كما يفيض الناس وقالوا ما ينبغي للحمس أن: (يأقطوا الأقط ، ولا يسلئوا السمن وهم حرم[1] ، ولا يدخلوا بيوتاً من الشعر ، ولا يستظلوا إلا في بيوت من الأدم ، ما كانوا حرماً ثم رفعوا ، فقالوا: ما ينبغي لأهل الحل ان لا يأكلوا من طعام جاؤوا به معهم من الحل في الحرم إذا جاؤوا حجاجاً أو عماراً ، ولا ان يطوفوا بالبيت إذ أول طوافهم إلا في ثياب الحمس ، فإن لم يجدوا منها شيئاً يطوفوا عراة ، فإن تكرم منهم متكرم من رجل وامرأة ، ولم يجد من ثياب الحمس ، وطاف في ثيابه التي جاء بها ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ولم يمسسها هو ولا أحد غيره أبدا ... فحملوا على ذلك العرب فدانت به فوقفوا بعرفات وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك ، فكان أهل الحل يأتون حجاجاً أو عماراً فأن دخلوا الحرم ، وضعوا أزوادهم التي جاءوا بها ، وابتاعوا من طعام الحرم ، والتمسوا ثياباً الحمس إما عارية وإما بإجازة ، فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً عنها ثم تطوف فيه)[2] ، ثم أدخلوا مجموعة من قبائل العرب في هذا النظام ليزدادوا قوة ، واشترطوا على من تزوج منهم ان يكون ابنه أحمسي[3] ، وبهذا استطاعت قريش ان تميز نفسها عن سائر العرب وتزيد رفعة الكعبة عندهم ، وتتفضل على العرب بأن تطعمها وتلبسها من ثيابها ، لأن الثياب التي أتت بها مليئة بالذنوب ، فشعرت العرب بحرمة وقدسية المكان الذي تقصده.

وواصل هاشم رحلاته التجارية إلى الشام مروراً بمدينة يثرب ، فصادف ان رأى امرأة تعمل بالتجارة يزينها الجمال والحزم ، فسأل عنها فأخبروه إنها سلمى بنت

---

١ - أي ان نسائهم لا ينسجن الشعر والوبر ، ولا يسلئون السمن أي لا يطبخون الزبد حتى يصير سمنا.

٢ - ابن حبيب ، المنمق ، ص١٤٣ - ١٤٥.

٣ - الجاحظ، الرسائل السياسية ، ص١١٠ - ١١١.

عمرو من بني عدي بن النجار الخزرجيين ، كانت متزوجة من أحيحة بن الحلاج ولها منه ولدان هما عمر ومعبد ، فخطبها فعرفت نسبه فزوجته نفسها وعلقت منه بعبد المطلب ، فولدته وفي رأسه شيبة فسمته شيبة الحمد ، وخرج هاشم إلى الشام فتوفي بمدينة غزة ، ودفن فيها ، وانتقلت الزعامة إلى أخيه المطلب بن عبد مناف[1] ، كانت هذه الوفاة بمثابة خسارة كبيرة لقريش ، لأنها لم تستطع سد الفراغ الذي أحدثته وفاته ، وقد لخص المستشرق بودلي هذا الأمر بالقول: (كانت مكانة هاشم ملحوظة في مكة... فقد توافر له المنصب والمال فكان تاجراً مبجلاً... وقد لحظ موقع مكة المنعزل الذي لا تنجذب إليه الأفئدة ... ولولا مكانتها المقدسة لتركها هاشم والآخرون... ولكن كان على هاشم ان يبقى بها فعمل جاهداً على مد يد الإصلاح إليها فراح يضيف إلى موارد البلد الحرام موارد أخرى... فبدأ رحلتي الشتاء والصيف العظيمتين.. وشجع القوافل الصغيرة على المرور بمكة وأمن طرق القوافل بإبرام معاهدات مع الرومان والأمير العربي السوري وعقد حلفاً تجارياً في ذات الوقت مع الفرس والأحباش ، وقد ضمن للحجاج الأمن فاطمأنوا على ما يحملونه معهم من أموال أو متاع ... ، ولقد جلب ذلك الرجل المتبصر إلى مكة الخير كله فعمها الرخاء)[2].

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١/ ٨١.

٢ ـ بودلي ، الرسول ، ص ٢٥ – ٢٦.

بروز عبد المطلب في مكة

وبعد مدة من الزمن تجدد النزاع حول وظائف الكعبة ، وهذا ما تشير إليه الروايات التي ذكرت ان حلف المطيبين برز مرة أخرى في عهد عبد المطلب وأبناء أسد بن عبد العزى ، لأن المرأة التي أخرجت الجفنة المملوءة طيباً ، كانت إحدى بنات عبد المطلب إمّا عاتكة[1] ، أو أم حكيم البيضاء[2] ، وهذا يعني ان حلف المطيبين تجدد مرة أخرى ، لأن الحلف الأول كان في عهد هاشم وإخوانه ، أما هذه الروايات فتدل على أنه حدث في عهد عبد المطلب ، وقد ذكرنا فيما سبق ان هاشماً توفي وعبد المطلب لا يزال صغيراً[3].

وهذا الأمر يجعلنا نفترض ان حلف المطيبين قد ضعف بعد وفاة هاشم وصغر عبد المطلب ، لذلك أرادوا تجديده مرة أخرى حتى يواجهوا حلف لعقة الدم ، إذ تذكر الروايات ان وفاة هاشم أدت إلى انتقال الزعامة إلى أخيه المطلب بن عبد مناف ، الذي كانت قريش تسمية الفيض لسماحته وكان سيداً مطاعاً في قومه[4] ،

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧٩/١، ابن حبيب، المحبر، ص١٦٦ ، ابن حبيب، المنمق، ص٢٠ ، السهيلي، الروض الأنف، ١٥٤/١.

٢ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣٨٣ ، ابن حبيب ، المنمق، ص٤٢ ، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٩/١.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢٧/١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٧٩/١.

٤ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٦١/١.

لكنه لم يستطع القيام بما قام به هاشم ، والذي اعتمد فيه على نفسه دون الحاجة إلى غيره ، وأبناء هاشم كانوا صغاراً في في تلك المدة ، ولا يستطيعون تحمل مسؤوليات وظائف الكعبة ، إذ أنجب أربعة رجال وخمسة نسوة وهم ، عبد المطلب بن هاشم وأسد بن هاشم ونضله بن هاشم وأبو صيفي بن هاشم ، والنساء هن الشفاء وخالدة ورقية وحية وضعيفة ، لكن ذرية هاشم لم تأت إلا من عبد المطلب[١] ، الذي كان يعيش عند أخواله بني عدي بن النجار في يثرب حتى بلغ سن المراهقة ، فجاء ثابت بن المنذر بن حرام[٢] إلى مكة واخبر المطلب عن ابن أخيه بالقول: (لو رأيت ابن أخيك شيبة فينا لرأيت جمالاً وهيبة وشرفاً) ، فذهب المطلب إلى يثرب لكن أمه لم ترض ان تدفعه له ، فأقنعها بقوله: (لا تفعلي فإني غير منصرف حتى أخرج به معي ، ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا والمقام ببلده خير من المقام هنا ، وهو ابنك حيث كان) ، وحمله معه إلى مكة فلما رأته قريش أخذت تقول: هذا عبد للمطلب اشتراه من يثرب ، فغلب عليه هذا الاسم ، فأدخله إلى بيته وألبسه وخرج وهو يقول: (ويحكم! إنما هو ابن أخي شيبة بن عمرو)[٣].

إن الرواية الآنفة الذكر تدل على ان المطلب كان بحاجة إلى عودة عبد المطلب إلى مكة ، إذ يقول لمن أخبره عن ابن أخيه: (ياأبا أوس ما كنت لأدعه هناك ، ويترك مآثر قومه وسطته ونسبه وشرفه في قومه ما قد علمت)[٤] ، وكأنه كان يحمل أمانة هاشم من أجل ان يعيدها إلى ابنه من بعده.

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ١٠٦، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨٠/١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٥/١.

٢ ـ هو والد حسان بن ثابت شاعر الرسول(ص).

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٧/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨٤/١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٥/١.

٤ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨٤/١.

وبعد مدة من رجوع عبد المطلب إلى مكة ، توفي المطلب وهو خارج في تجارة إلى اليمن[1] ، فأوصى إلى ابن أخيه: (أنت ابن أخي أولى بموضع أبيك فقم مقام المطلب) وهنا بان أثر عبد المطلب ، إذ سرعان ما برز في مكة ، وذاع صيته وعرفت قريش نجابته وقوة شخصيته وشبهه بأبيه ، ولم يحصل على ما أراد بسهولة ويسر ، بل عانى الكثير من أجل الوصول إلى الحال التي نعرفه عليها والتي وصلتنا في الروايات التاريخية ، إذ ان المدة المحصورة بين وفاة هاشم ، وبروز عبد المطلب أدت إلى ظهور زعامات متعددة في قريش ، وساهم الإيلاف في تراكم الثروات بيد البعض ، الأمر الذي أدى بدوره إلى رغبة الكثير من القرشيين في عدم رجوع الزعامة إلى بني هاشم ، لاسيما وأن العرب ستعرف لابن هاشم فضله وسيكون احترامه وتقديره عندهم كبيراً لانتسابه لهاشم ، فكيف الأمر وعبد المطلب لم يتكل على النسب فقط ، بل كان شبيهاً بأبيه في أعماله وأخلاقه وذكائه ، لذلك سعى البعض إلى محاولة تحجيم عبد المطلب ، والوقوف بوجهه من أجل الحؤول دون ما يريد من استعادة زعامة بني هاشم على مكة ، وأول ما واجهه من مصاعب أتت من عمه نوفل بن عبد مناف ، إذ استولى على ساحات كانت لهاشم بن عبد مناف أوصى بها إلى ابنه عبد المطلب ، فأخذ يستنصر قومه ولم يجبه أحد ، فاضطر إلى طلب النصرة من أخواله بني النجار ، فأقبلوا إلى مكة وكلموا نوفل ، وأرغموه على إرجاع ما انتزعه من ابن أخيه[2].

ورأت بقية بطون قريش هذا الأمر ، وخافت على مكانتها فمشت إلى بعضها من أجل الحلف ، وقام بهذا الأمر بني عبد الدار الذين خافوا على ما امتلكوه من أمور مكة ، وتحالف معها بنو سهم وبنو عدي وبنو مخزوم وبنو جمح ، أي نفس البطون التي أنشأت حلف لعقة الدم ، وانحاز إلى عبد المطلب جميع بني عبد مناف (عدا

---

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٧/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨٣/١.

٢ - ابن حبيب، المنمق، ص٨٥، ٨٦، ٨٧.

بني عبد شمس) وبني تيم بن مرة وبني زهرة وبني أسد بن عبد العزى ، فأخرجت لهم إحدى بنات عبد المطلب إناءً فيه طيب فتطيبوا به ، وتعاهدوا على التناصر فيما بينهم[1] ، وهكذا استطاع عبد المطلب استعادة التوازن في القوى ، الذي ضعف بعد وفاة هاشم ، وحافظ على وحدة قريش في مكة ، وحال دون استبداد أصحاب الثروات في تقرير الأمور في مكة.

ثم ان خزاعة القبيلة التي تسكن قرب مكة ، رأت حال عبد المطلب في نزاعه مع عمه نوفل ، فأرادت ان تعقد معه حلفاً ، تعز نفسها به وتقوي مركزها في مكة ، فاختارها عبد المطلب الذي لم يكن له نظير في قومه ، لاسيما وهي ترى إنها قد ولدته من جهة زوجة قصي حبى بنت حليل الخزاعية ، وتم الحلف على التناصر فيما بينهم[2] ، فأدى هذا إلى ان يقوى مركز عبد المطلب في مكة ، ويمارس مهامه التي ورثها عن أبيه دون ان يعارضه أحد.

وأهم شيء ورثه عن أبيه هو وظيفتا الرفادة والسقاية ، وكان لابد من ان يكمل مسيرة أبيه ، لاسيما وأن العرب قد تعودت على هذا الأمر في أسرة هاشم[3] ، ولم يكن عبد المطلب ليقصر في هذا المجال ، فقام بما كان أبوه يقوم به من خدمة الحجاج ، ثم أخذ يبحث عن مصدر للمياه قريباً من الكعبة ، ونحن نعرف ان مكة كانت تخلو من الأنهار والعيون ، لذلك لجأ أشراف قريش منذ عهد قصي إلى حفر الآبار من أجل الحصول على الماء ، لأن الحاجة كانت كبيرة للمياه في ذلك البلد الحار ، الذي يفد إليه الحاج بعد ان لقي عنتاً شديداً ، وهو بحاجة إلى الماء الذي يروي به عطشه[4] ، فحفر عبد مناف بئر بدر وسقى منها هو وابنه هاشم من بعده ،

---

١ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١٨/١ ـ ٢١٩.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٨٥/١، ابن حبيب، المنمق، ص٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

٣ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٨٣/١.

٤ ـ جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص ٥١ ، عوض الله، مكة في عصر ما قبل الإسلام، ص ٥٧.

ثم قام عبد المطلب بنفس الفعل ، فكانوا يضعون أحواضا ويسكبون فيها الماء[1] ، لكن نقل الماء من هذه الآبار التي تقع خارج مكة أمر شاق ومضن ، لاسيما في فصل الصيف حيث يشتد الحر وتزداد حاجة الناس إلى الماء ، ويتعرض الإنسان لحر شديد كوهج النار ، وإلى ظمأ شديد لا يعرفه إلا من يقيم في مكة في مثل هذا الوقت[2].

لذلك كان حفر بئر زمزم القريب من الكعبة ، نعمة كبرى مَنَّ الله بها على عبد المطلب وعلى أهل مكة وعلى الحجاج ، إذ تذكر الروايات ان عبد المطلب رأى رؤيا في منامة من الله تأمره بحفر زمزم قرب الكعبة ، ودلته هذه الرؤيا على المكان الذي يحفر فيه[3] ، بعد ان خفي مكانها عن أهل مكة الذين تولوا زعامتها بالتعاقب ، فأخذ ابنه البكر الحارث — والذي لم يكن له ابن غيره — وذهب إلى المكان المحدد ، وأمره ان يحمي ظهره وهو يحفر ، وذلك لأنه يعرف ان قريشاً لن تتركه يحفر قرب الكعبة بين صنميها أساف ونائلة ، اللذان كانت قريش تنحر عندهما ، لكنها عندما عرفت عزمه تركته ، فما حفر إلا قليلاً حتى ظهر له الطين ، فكبر فعرفت قريش إنه نال ما يبتغيه ، فاستمر بالحفر فوجد غزالين من ذهب وأسيافاً وأدراعاً ، وهنا ثارت ثائرة قريش ، وقالت له: ان هذه البئر(بئر أبينا إسماعيل) ، وطلبت منه ان يحاكمها إلى أحد الحكام ، واختاروا كاهنة بني سعد بن هذيم قرب الشام ، ثم عدلوا عن الأمر[4].

فقام عبد المطلب بضرب الذهب الذي وجده في البئر وجعله أبواباً للكعبة[5] ، وأصبحت زمزم البئر الرئيسية التي يشرب منها الحجاج عند دخولهم مكة ، وذلك

---

١ ـ الفاسي، شفاء الغرام، ص٨٩.

٢ ـ جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص ٥١.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية ، ١/١٤٢ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١/٨٣، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١/ ٢١٧ ، ٢١٨.

٤ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١/١٤٦ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١/٨٤ ـ ٨٥، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١/ ٢١٧ ، ٢١٨.

٥ ـ ابن هشام، السيرة النبوية ، ١/١٤٦ ، المالكي ، شفاء الغرام ، ١/١١٣.

لموقعها القريب من الكعبة ، فجنب عبد المطلب أهل مكة والداخلين إليها عناء الحصول على الماء ، وفي مواسم الحج يأخذ عبد المطلب الماء من زمزم ويحمله إلى عرفة[1] ، ويضعه في الأحواض المخصصة لهذا الأمر ، وكانت له إبل كثيرة فإذا جاء الموسم جمعها وأخذ لبنها ومزجه بالعسل ووضعه مع الماء في الأحواض ، ثم يشتري الزبيب فينبذه بالماء ويسقيه للحجاج ، من أجل ان يكسر غلظة ماء زمزم ومكث على ذلك حتى وفاته[2].

وبهذا يكون عبد المطلب قد جعل أمر السقاية في الحج سهلاً وميسوراً ، وفي هذا دلالة على اهتمام القائمين على البيت بخدمته ، فهم أهل لولاية البيت ويستحقون هذا الأمر ، ومن ثَمَّ سينعكس ذلك على علاقاتهم الخارجية مع العرب ، فتسير قوافلهم آمنه في بلادهم ، طالما هيأت قريش السلم والاستقرار للحجاج في حجهم وسهلت أمر عباداتهم ، وهذا يؤدي إلى شيوع الاستقرار اللازم لنجاح التجارة ورواجها وكل ذلك بفضل جهود عبد المطلب.

حملة أبرهة على الكعبة

اقترنت جهود عبد المطلب في مكة بالعديد من الأحداث السياسية في الجزيرة العربية ، وأهم هذه الأحداث هي محاولة أبرهة الحبشي مهاجمة الكعبة والقضاء على القيمة الدينية التي تمثلها للعرب ، ويعلل البعض هذا الأمر بأن أبرهة أراد ان يبني بيتا ويصرف حج العرب إليه ، متوهماً ان العرب سوف تطيعه ، متناسياً القيم الروحية التي تمثلها الكعبة ، فاعتدى أحد العرب على هذا البيت الذي بناه ، وكانت النتيجة ان صمم على هدم الكعبة ، ومحو أثرها عند العرب ، لاسيما وأنه كان يعتنق النصرانية ، ويحاول نشرها بين العرب ويحقق ما فشل فيه الرومان من الوصول إلى قلب الجزيرة العربية وتحويل تبعيتها إلى الإمبراطورية البيزنطية.

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١/ ٨٣.

٢ ـ المالكي ، شفاء الغرام ، ١/ ٨٩ ـ ٩٠.

وبالفعل سارت هذه الحملة من أجل الوصول إلى مكة ، مستعينة بالفيلة الأمر الذي لم يألفه العرب من قبل ، ووصل الخبر إلى قريش . فخرجت فارة من الحرم محتمية بالجبال ، وهي تعرف القوة التي يمتلكها المهاجمون ، فبرز أثر عبد المطلب في مكة من أجل مواجهة هذه الحالة ، التي كانت تعني هدم كل القيم الروحية التي عرفتها قريش خاصة والعرب عامة ، لكنها لم تكن قادرة على فعل شيء تجاه هذا الأمر ، لذلك استعان عبد المطلب بقوة لا يستطيع المهاجمون ردها ، وهي قوة الأيمان بالله سبحانه رب هذا البيت ، إذ تذكر الروايات ان عبد المطلب عندما سمع بدنو جيش أبرهة من مكة ، أمر أهلها ان يخرجوا منها ويحتموا بالجبال ، وبقى هو في مكة يحاول إيجاد وسيلة لرد الهجوم ، وبالفعل اتصل عبد المطلب بشخص اسمه نفيل بن حبيب الخثعمي الذي كان أسير عند أبرهة . استفاد منه كدليل في هجومه على مكة ، فرتب هذا لقاء لعبد المطلب مع أبرهة وقال له: (أيها الملك: قد أتاك سيد العرب ، وأفضلهم وأعظمهم شرفاً يحمل على الجياد ، ويعطي الأموال ويطعم ما هبت الريح ، فأدخله على أبرهة ، فقال له: حاجتك؟ فقال: ترد على إبلي ، قال: ما أرى ما بلغني عنك إلا الغرور ، وقد ظننت إنك تكلمني في بيتكم الذي هو شرفكم! قال عبد المطلب: أردد علي إبلي ، ودونك والبيت فإن له رباً سيمنعه فأمر برد إبله عليه[1].
عليه[1].

وفي رواية أخرى ان أبرهة أرسل أحد الأشخاص إلى مكة ، وقال له اسأل عن سيد هذا الوادي ثم قل له: (إني لم آت إلى حربكم ، إنما جئت لهدم هذا البيت ، فإن هو لم يرد حربي فأتني به) ، فسال هذا عن سيد مكة وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم ، فأخبره بقول أبرهة ، فقال عبد المطلب: (والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، فأن يمنعه فهو بيته وحرمه ، ودخل عليه وقد اخبره أتباعه انه سيد قريش ، فلما رآه أبرهة

---

١ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٩٢/١.

وكان عبد المطلب (أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم)، أجله وأعظمه وأكرمه عن ان يجلس تحته، وكره ان ترى الأحباش أنه يجلس معه على سريره، فنزل أبرهة وجلس معه على الأرض، وسأله حاجته فقال له: (حاجتي ان يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين سمعت كلمتك، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه! فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وأن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما يمتنع مني، قال: أنت وذاك)[1].

قد يرى قارئ هذه الرواية ان عبد المطلب قد استسلم للمهاجمين ولم يردعهم عن البيت، وطلب من أبرهة الإبل دون ان يطالب برجوعه عما عزم عليه من هدم الكعبة، وهذا غير صحيح لأن استقراء الروايات يبين ان أبرهة لن يتراجع عن عزمه مهما كانت الظروف، وكذلك فإن عبد المطلب كان مؤمناً بأن الله عز وجل لن يترك بيته، وهذا الأمر لم يأتِ من فراغ، بل جاء من معرفة حقيقية بالقيمة الدينية التي يتمتع بها البيت منذ زمن إبراهيم(ع)، وهو الأساس الذي يجمع معظم قبائل العرب، إذ يتجهون إليه في موسم الحج متوحدين، في حين لا يجتمعون على غيره، وهذا من نعم الله عز وجل على العرب، لذلك ترى عبد المطلب يتحدى الملك بالقول ان للبيت رباً سيمنعه، وأبيات الشعر التي تنسب لعبد المطلب في هذه المناسبة، والتي يخاطب بها رب البيت تبين ذلك:-

لا هم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٤٨ ـ ٥٠.

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدى لك[1]

كما ان الروايات ذكرت ان عبد المطلب بقي في مكة ، وهو ممسكاً بباب الكعبة يدعو ربه ان يخلص الكعبة من هذا الهجوم[2] ، على الرغم من معرفته ان المستهدف من هذا الأمر هو الكعبة وليست قريش ، كما أمر عبد المطلب قريشاً بترك مكة والاحتماء بالجبال المحيطة بها ، وهذا دليل كافٍ على إيمانه بأن الله سبحانه لن يترك البيت ، وسينزل غضبه بمن يحاول الاعتداء عليه ، لذلك خاف على قريش من ان يمسهم هذا الغضب ان هم بقوا في مكة.

أما مسألة مطالبته بالإبل فهي لا تدل على إنه يريد ترك البيت دون ان يدافع عنه ، لأن عبد المطلب كان مؤمناً بأن الله سبحانه وتعالى لن يترك البيت ، والدفاع عن البيت ليس بالضرورة يكون بالقتال ، بل هناك وسائل أخرى يستطيع الإنسان بها تحقيق نفس الهدف الذي يتحقق بالقتال ، دون اللجوء إليه إذ كانت النتائج المتحققة أفضل من استخدام القتال ، وهناك شواهد في سيرة رسول الله(ص) تدل على ذلك ، ففي معركة الخندق رأى رسول الله(ص) إنه لا يستطيع دفع القوات التي كانت تنوي مهاجمة المدينة ، فأشار سلمان الفارسي على المسلمين بحفر خندق حول المدينة ، فرضي الرسول بهذه المشورة ، ثم حاول ان يشتت هذا الجيش فعرض على عيينة بن حصن الفزاري ، ثلث ثمار المدينة ان هو انسحب وقومه من هذا الحلف ، لكن الأنصار رفضوا هذا الأمر ولم يرضوا به ، لأنهم رأوا ان الله أعزهم بمحمد فلا حاجة إلى الخوف من الأعداء ، وفضلوا الموت على هذا الأمر ، فوافق الرسول(ص) على رأيهم ، بعد ان كان عرض رأيه الأول خوفاً عليهم وخوفاً على مدينتهم من الأعداء ، ولم يحدث قتال ، إنما هزم الله تعالى الأحزاب بالريح والخوف وغيرها[3] ،

---

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٥١.

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ١/ ٥١.

٣ - سورة الأحزاب.

وعبد المطلب فعل الشيء نفسه إذ قاتل أبرهة بالإيمان الذي يحمله وباليقين الذي لديه بقدرة الله تعالى على رد هؤلاء ، وعبد المطلب لم يعرف عنه إنه كان يحب المال أو يسعى إليه ، بل عرف عنه وعن أبيه – كما تذكر الروايات – إنهم أنفقوا أموالهم في خدمة الكعبة وخدمة قريش ، وعندما طلب الإبل وحصل عليها سيبها في مكة ، وقرب الكعبة حتى يصيبها جيش أبرهة فيحل عليهم غضب الله[1] ، لأنه على يقين بان الله تعالى يحمي من كان إلى جوار بيته ، ثم نحر جميع تلك الإبل بعدما انتقم الله تعالى من أبرهة وجيشه ، فهل هذا يعني أنه كان طالب بماله وترك البيت الحرام؟

ثم انتهى الهجوم على الكعبة بهزيمة المهاجمين والانتقام منهم ، واتبع عبد المطلب سياسة حكيمة أنقذت قريشاً من الهلاك ، بعد ان عرف ان قريشاً ليس لها قوة تستطيع بها ان ترد المهاجمين ، فقد كان جيش كثيف العدد ، يزخر بالسلاح والعتاد ، وهو جيش منظم اعتاد الحروب ، وأستطاع ان يقضي على المملكة الحميرية ، أما قريش فقد كانوا قوماً تجاراً لا علم لهم بالحروب[2] ، ومواجهة جيش أبرهة يعني هلاكهم ومدينتهم ، لذلك عندما رأى عبد المطلب ان قريشاً ومن جاورها همت بقتاله نهاها عن ذلك ، واستعاض عن هذا بالاتجاه إلى الله تعالى ، وعدم انتهاك حرمة البيت ، وبالفعل نجح هذا الأمر ، حقق الله تعالى لعبد المطلب ما كان يرجوه ، فارتفع نجم قريش عند العرب فقالت: (هم أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة عدوهم)[3].

وهذه الأمور التي قدمناها التي تدل على ان عبد المطلب كان يملك نفساً عالية ، وقوة غير طبيعية ، ومكانة نادرة بين قومه ، فهل كان يشبه الناس الذين عاش معهم في شركهم وتقديسهم للأوثان والأصنام التي صنعوها بأيديهم ، أم انه كان يتمتع بصفات وسمات رفعت مكانته بين قومه ، لقد اختار الله سبحانه وتعالى رسوله الخاتم محمد(ص) من بني هاشم ، ولم يكن هذا الاختيار اعتباطاً من الحكيم

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١/ ٩٢.

٢ ـ الخربوطلي، عبد المطلب، ص ٨٤.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية ، ١/ ٥٧.

الخبير ، حتى يتشرف هؤلاء بأنهم أهل الرسول(ص) ، فقد ذكر الجاحظ فضائل عبد المطلب بالقول: (ولهاشم عبد المطلب سيد الوادي غير مدافع ، أجمل الناس جمالاً ، وأظهرهم جوداً وأكملهم كمالاً ، وهو صاحب الفيل والطير الأبابيل صاحب زمزم وساقي الحجيج ، وقد أعطى الله عبد المطلب في زمانه وأجرى على يديه وأظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلا لنبي مرسل)[١] ، وذكر اليعقوبي ما أعطى الله تعالى له بالقول: (وعبد المطلب يومئذ سيد قريش غير مدافع ، قد أعطاه الله من الشرف ما لم يعطه أحداً ، وسقاه زمزم وذا الهرم ، وحكمته قريش في أموالها ، وأعم في المحل حتى أطعم الطير والوحوش في الجبال ، ورفض عبادة الأصنام ، ووحد الله عز وجل ، ووفى بالنذر وسن سنناً نزل القران بأكثرها وجاءت السنة من رسول الله(ص) بها وهي الوفاء بالنذر ومائة من الإبل في الدية ، وإلا تنكح ذات محرم ، ولا تؤتي البيوت من ظهورها ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة والمباهلة ، وتحريم الخمر وتحريم الزنا والحد عليه ، والقرعة وألا يطوف أحد بالبيت عريانا ، وإضافة الضيف وألا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم ، وتعظيم الأشهر الحرم ونفي ذوات الرايات)[٢] ، وفي هذا دلالة على ما كان لعبد المطلب من صفات أهلته لهذا المكان ، رغم ان بعض الباحثين يشككون بهذه المكانة ، إذ يروون ان هذه الأمور وضعها الرواة من أجل رفع مكانة أجداد النبي(ص) ، ونأخذ مثالاً على ذلك خالد العسلي إذ يقول:(كتب الأنساب لم تهتم كثيراً بأحفاد عبد الدار ، أو أحفاد أولاده الآخرين ، عدا هاشم بن عبد مناف وأحفاده الذين انحدر منهم الرسول(ص) ، ويمكن إرجاع السبب في ذلك: إلى ان الرسول(ص) من أحفاد هاشم ، ونظراً لأن هاشماً لم تكن له وظائف ورثها من أبيه عبد مناف ، لذلك نرى أنه أعطيت له أهمية كبرى في مكة في مجال إنعاش الحياة الاقتصادية لمكة)[٣] ، وقد تطرقنا فيما سبق إلى أثر هاشم بن

---

١ ـ الجاحظ، الرسائل السياسية، ص٤١١ ـ ٤١٢.

٢ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/٧، ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ١٩/٧.

٣ ـ العسلي، دور أجداد النبي(ص) في مكة، ص٤٧.

مناف في مكة ، ولا حاجة لإعادة ذلك ، وهذا الرأي غير واقعي إذ أنه يقلل من مكانة هاشم وجهوده في استقرار قريش ، لاسيما ان هذا الباحث قد وقع في تناقض واضح في اقواله ، اذ يعود مرة اخرى فيعلق: (كان هاشم قوي الشخصية فوسع نفوذه في مكة ، كما ان اشتغاله بالتجارة جعلته واسع الثراء)[1] ، والذي يهمنا من رأيه تقليله من أهمية عبد المطلب وأبنائه في مكة ، وقد عرض البحث ما قام به عبد المطلب ، وسيضيف إليه ما جاء عن رسول الله(ص) من أحاديث تبين مكانة بني هاشم في قريش والعرب ، إذ روي عنه بعض الأحاديث الدالة في شرف أبائه ومكانتهم:

١ ـ عن واثلة بن الاسقع قال: قال رسول الله(ص) ان الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[2].

٢ ـ روي عن العباس بن عبد المطلب انه قال: ان رسول الله قال: حين خلقني جعلني من خير خلقه ، ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلة ، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم ، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً[3].

٣ ـ في حديث عن ابن عباس ان رسول الله(ص) قال: لم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة صفياً مهذباً لا تتشعب

---

١ ـ العسلي، دور أجداد النبي(ص) في مكة، ص٤٧.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ٢٠، مسلم، الجامع الصحيح، ٢/٣٩٤، الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٢٤٣، ابن حنبل، مسند احمد، ٤/١٠٧، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/٢٦ ـ ٢٧، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/٤٧، الزرندي الحنفي، نظم درر السمطين، ص٥٢ ـ ٥٣.

٣ ـ أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١/٦٦، المتقي الهندي، كنز العمال، ١٢/٤٩، الكلاعي، الاكتفاء، ١/ ٩ ـ ١٠، محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٢٠، السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/٩٤ ـ ٩٥.

شعبتان إلا كنت في خيرهما[1].

٤. روي عن الإمام جعفر الصادق(ع) ان النبي قال: قسم الله الأرض إلى نصفين فجعلني في خيرهما ، ثم قسم النصف على ثلاثة ، فكنت في خير ثلث منهما ، ثم اختار العرب من الناس ، ثم اختار بني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبد المطلب من بني هاشم ثم إختارني من بني عبد المطلب[2].

٥ - روي عن الرسول(ص) إنه قال: قال جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها ، فلم أجد رجلا أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها ، فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم[3].

وفي هذه الأحاديث المتقدمة دلالة واضحة على ان أجداد الرسول(ص) تمتعوا بمميزات أهلتهم لزعامة قريش ، فاستحقوا انتساب الخاتم لهم ، إذ يروى عن السيد عائشة (رض) إنها قالت: ان عبد المطلب كان (أول من تحنث بحراء فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر ، ويطعم المساكين ، وكان يعظم الظلم ويكثر الطواف بالبيت)[4] ، وفي هذا دليل كافي على ان عبد المطلب كان متمسكاً بالحنفية دين إبراهيم(ع) ، ونكتفي في نهاية هذا الفصل بقول الجاحظ فيهم: (بنو هاشم ملح الأرض ، وزينة الدنيا ، وحلي العالم ، والسنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وشرف كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم)[5].

---

١ - الكلاعي، الاكتفاء، ٩/١، السيوطي، الخصائص الكبرى، ٩٣/١، الحلبي، السيرة الحلبية، ٤٨/١.

٢ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ٢٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٠/١.

٣ - ابن كثير، مولد النبي، ص٢٩، المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٣/١٢ - ٤٤.

٤ - البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٨٤/١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢١٥/٢، النويري، نهاية الأرب، ٨٩/١٦، الفاسي، شفاء الغرام، ٨٦/٢، الحلبي، السيرة الحلبية، ٢٥٩/١.

٥ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤/١.

أسرة السيدة خديجة(ع)
وأثرها في أحداث مكة

لم تردنا روايات كثيرة عن أسرة السيدة خديجة(ع) نستطيع من خلالها تكوين صورة واضحة عن طبيعة هذه الأسرة ، وأثرها في الأحداث التي مرت بها مكة ، لكن على الرغم من ذلك نستطيع ان نركب بعض الروايات مع بعضها ، لنتوصل بالنهاية إلى صورة أولية عن هذه الأسرة.

فأما نسبها فهي من أبوين قرشيين ، أبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم(وهو جندب) بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي ، وهي تلتقي بالرسول(ص) بالجد الرابع لها قصي بن كلاب الجد الخامس له ، وتلتقي به في الجد الثامن لها من ناحية أمها لؤي بن غالب[١].

وقد قدمنا بعض أحداث مكة التي شاركت فيها أسرة السيدة خديجة(ع) ، فقد أشارت الروايات إلى ان جدها عبد العزى بن قصي حصل على وظيفة الرفادة بعد وفاة أبيه[٢] ، وكان هو وأخوه عبد قصي أصغر أبناء قصي[٣] ، لكن مدة بقاءه مع أخوته لم تشهد مشاكل حتى وفاتهم ، فتزوج من بني تيم بن مرة امرأة اسمها الحظيا بنت كعب بن سعد[٤] ، ولم تنجب له من الذكور سوى أسد[٥].

---

١ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٨٢.

٢ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١١/١.

٣ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٤.

٤ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٠٦.

٥ ـ مؤرج، حذف من نسب قريش، ص٥٢ ، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٠٦ ، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١١٧.

لكن بعد وفاة الأخوة حدثت مشاكل بين أبناءهم ، لذلك عندما نشب الخلاف بين أبناء قصي حول وظائف الكعبة ، التزم أسد بن عبد العزى جانب بني عبد مناف ، وهذا الأمر جعله يتنبه إلى ضعف موقفه في قريش ، لذلك تزوج العديد من النساء وصل عددهن إلى ست نساء ، أولهن زهرة بنت عمرو من بني مازن ، أنجبت له خويلد بن أسد ، ثم تزوج خالدة بنت هاشم بن عبد مناف ، فولدت له نوفل وحبيب وصيفي ، ثم تزوج ريطة بنت الحويرث من قبيلة الأوس فأنجبت الحويرث ، ثم تزوج برة بنت عوف العدوية من عدي خزاعة ، فأنجبت له المطلب والحارث وعبد وعثمان[1] ، وهذه الزيجات حققت لأسد ما أراد حيث أنجب عدداً كبيراً من الأبناء تجاوز العشرة استطاعوا ان يثبتوا مكانة هذه الأسرة في مجتمع مكة قبل الإسلام ، لذلك نجدهم حاضرين في كل أحداث مكة.

وبعد وفاة أسد بن عبد العزى تزعم خويلد بن أسد هذه الأسرة ، لأن الروايات تذكر أنه كان عزيزاً في قومه منيعاً شأنه شأن بقية رؤساء العوائل القرشية ، تميز على أخوته فكان المقدم فيهم ورأس هذه العائلة ، وربما حاز الزعامة بوصية من والده ، أو لأنه أكبر أبنائه أو نتيجة لصفات شخصية تميز بها.

لذلك نراه يقف إلى جانب عبد المطلب بن هاشم عندما تجدد النزاع حول وظائف الكعبة ، فكان أحد الأطراف المهمة في حلف المطيبين[2] ، وقد يعود السبب في هذا الأمر إلى أنه واصل التزام عائلته تجاه بني عبد مناف ، وبالفعل فإن تجديد هذا الحلف ساهم في توازن القوى في مكة قبل البعثة ، ولم تشهد أي صراع مسلح بين القرشيين طيلة تلك الفترة.

وقد تزوج خويلد عدة نساء ، أولهن امرأة من حلفاء بني نوفل بن عبد مناف ، اسمها منية بنت الحارث من بني مازن بن منصور ، فولدت له ابنه البكر عدي

---

١ ـ ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٦٨ ـ ٦٩ ، مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٠٦ وما بعدها.

٢ ـ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢١٨/١ ـ ٢١٩.

وحزام والعوام ورقيقة ، ثم تزوج امرأة من بني عدي الخزاعيين ، لم تذكر المصادر اسمها وهي عمة بديل بن ورقاء الخزاعي ، فولدت له نوفل بن خويلد ، ثم تزوج فاطمة بنت زائدة العامرية القرشية فولدت خديجة وهالة[1] ، وأضافت بعض المصادر بنتا لخويلد اسمها خالدة دون ان تشير إلى اسم أمها أو أي معلومات عنها[2].

وفي أيامه حصلت أسرته على وظيفة تسمى وظيفة المشورة وهي: (أن صاحبها ان اجتمعت قريش على أمر عرضته عليه ، فإن وافق رأيهم رأيه سكت أو يعترض على ذلك أو يتخير)[3] ، وهي مع وظائف أخرى (العقاب راية قريش والعمارة ، وحلوان النفق ، والأيسار والديات ، والمغارم ، والقبة ، والأعنة ، والسفارة ، والحكومة ، والأموال المحجوزة)[4] ، كانت بمنزلة ثانوية بعد وظائف الكعبة الرئيسية الستة (الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة) ، ويبدو أنها كانت تشريفاً أعطي لبقية البطون القرشية التي لم تشارك في هذه الوظائف الرئيسية وإرضاءً لها بعد تنامي قوة هذه البطون وزيادة مكانتها الاجتماعية في مكة ، الأمر الذي جعلها تحاول المشاركة في إدارة شؤون مكة الدينية والسياسية.

أما وظيفة المشورة فيبدو أنها أهم الوظائف الثانوية التي ذكرناها ، لأن صاحبها كالمستشار الذي تعرض عليه القرارات التي يتوصل إليها الملأ المكي ، ولا يستطيع ان يصل إلى هذه المكانة ، إلا من كان له أساس عائلي متين في قريش أي ينتسب إلى قصي ، والحالة موافقة لمكانة خويلد ، لذلك أورد ابن إسحاق رواية تغلب عليها المسحة الأسطورية ، ومفادها ان أحد تبابعة اليمن أراد ان يأخذ الحجر الأسود من الكعبة ، فاجتمعت قريش إلى أسد بن خويلد ، فسألهم عن الأمر فأخبروه فلم يرض

---

١ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢٨ ـ ٢٣١.

٢ ـ ابن حبيب، المحبر، ص١٠٠، البلاذري، انتساب الأشراف، ٤٠٦/١.

٣ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٥٤، ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ٤١٧/١، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣١٣/٣.

٤ ـ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣١٣/٣ ـ ٣١٥.

وجمع قريشاً وخرج بهم لمواجهته ، وأحبط محاولته في أخذ الحجر[1] ، لكننا لا نستطيع الثقة بهذه الرواية ، لأن تبع الذي أشارت إليه الرواية ، هو أبو كرب تبان أسعد ، وهو الذي كسا الكعبة ثم أعتنق اليهودية على يد حبرين يهوديين ، وأراد فرضها على أهل اليمن الذين كانوا أهل أوثان[2] ، وقد عاصر هذا التبع ولاية جرهم للبيت[3] ، ومن المعروف ان جرهم تولت البيت قبل خزاعة التي بدورها تولته قبل قصي بثلاثمائة عام[4] ، وهذه الدلائل تشير إلى ان هذه الرواية لا أساس لها لاسيما ان ابن هشام والأزرقي ذكرا أخبار تبع وزيارته إلى مكة[5] ، ولم يذكرا هذه الرواية لكن هذا لا يعني ان المشورة لم تكن لبني أسد ، بل هي فيهم إذ ان هذه الرواية تدل على ان المشورة كانت لخويلد بن أسد ، لذلك نسب ابن إسحاق هذه الرواية له.

كما ان العلاقة التي ربطت بني أسد ببني هاشم ساهمت في تقارب هاتين الأسرتين ، لذلك كان الوفد المتجه لتهنئة سيف بن ذي يزن لانتصاره على الأحباش وطردهم من اليمن ، مكوناً من عبد المطلب بن هاشم ، وخويلد بن أسد وأمية بن عبد شمس[6] ، وفي هذا دلالة على ان هذه البطون تريد تحسين علاقة قريش بالمجاورة لمكة من أجل ضمان استمرار العمل التجاري معها.

كما ان هذا الوفد يقودنا إلى الاستنتاج ، بأن هذه الأسر أرادت ان تقف بوجه بقية الأسر القرشية الغنية ، لاسيما ان نفس البطون القرشية التي أنشأت حلف

---

١ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٥٤، السهيلي، الروض الأنف، ٣١٢/١.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧/١ ـ ٢٢.

٣ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٥٤.

٤ ـ الأزرقي، أخبار مكة، ١٠٣/١.

٥ ـ السيرة النبوية، ١٧/١ ـ ٢٤، أخبار مكة، ١٠٣/١.

٦ ـ الأصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٥٢، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٦٦٣١/١٩، أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١١٤/١، ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٩/٢.

المطيبين ، عادت لتنشئ حلفاً آخر هو حلف الفضول ، الذي كان سببه اعتداء العاص بن وائل السهمي على أحد التجار اليمنيين ، وذلك بأن أخذ سلعته ، دون ان يدفع له حقها ، فأخذ هذا التاجر يشتكي أمره فتوجه إلى الأحلاف(لعقة الدم) ، فلم يجد أحداً يرد عليه حقه فأخذ يصيح وينادي في مكة ، فسمع ذلك المطيبون فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي وقالوا: (لنكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه)[1] ، وكان هذا الحلف يحمل أبعادا أخلاقية ملخصها الدفاع عن المظلومين ، لكنه يحمل أبعاداً اقتصادية أيضاً ، فنرى ان (بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف وبني أسد بن عبد العزى وبني زهرة وبني تيم بن مرة)[2] ، تعقد هذا الحلف ، لأنها كانت مستفيدة من دخول التجار اليمنيين إلى مكة ، على عكس البيوت القرشية الأخرى مخزوم وسهم وجمح وعبد الدار التي لم تكن بحاجة إلى هذه التجارة ، حيث شعروا ان هذا الاعتداء سوف يؤدي إلى عزوف التجار عن دخول مكة ، وبالتالي تتضرر مصالحهم الاقتصادية[3] ، وذلك لأن معاهدات الإيلاف التي عقدها هاشم وإخوته ، ابتعدت عن الهدف الذي عقدت من أجله ، حيث كان أحد أهدافها تسيير تجارة تعود بالنفع على جميع القرشيين ، (أصحاب الإيلاف من قريش الذين رفع الله بهم قريش ونعش فقراءها)[4] ، لكن الذي حدث خلاف هذا الأمر ، إذ على الرغم من انتفاع الفقراء الذين كانوا يرسلون أموالهم القليلة مع القوافل الذاهبة إلى التجارة ، إلا ان الفائدة الكبرى تركزت في تراكم الثروات عند مجموعة

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٢٩/١.

٢ ـ الجاحظ، رسائل الجاحظ(الرسائل السياسية)، ص٤١٤، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٢/٢، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٦٦٠٣/١٩، ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، ١٣١/١، الكلاعي، الاكتفاء، ٨٩/١.

٣ ـ ينظر واط، محمد في مكة، ص٣٨ ـ ٣٩، الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥.

٤ ـ ابن حبيب، المنمق، ص٣٢.

من القرشيين ، فسيطروا على موارد الاقتصاد في مكة ، لذلك قامت البيوت الأخرى (المطيبين) بمواجهة هذا الأمر وإنشاء هذا الحلف ، وهذا لا يعني ان أعضاء حلف الفضول كانوا فقراء جدا ، فقد ظهرت من بينهم شخصيات تميزت بالغنى مثل الأسود بن المطلب بن أسد الذي كان يسمى (زاد الركب) ، لأن الذي يسافر معه لا يحتاج إلى ان يأخذ معه طعام[1] ، وحكيم بن حزام بن خويلد الذي كان من تجار مكة المعروفين[2] ، وأبي البختري العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد ، الذي نحر هو ونوفل بن خويلد عشرا من الإبل في معركة بدر[3] ، وعبد الله بن جدعان التيمي وغيرهم ، لكنهم لم يصلوا إلى المستوى المادي الذي وصلت إليه البيوت القرشية التي ذكرناها.

ويعزز هذا الرأي الرواية التي تحدثت عن محاولة عثمان بن الحويرث بن أسد في التملك على قريش ، وعثمان هذا أعتنق هو وورقة بن نوفل النصرانية[4] ، ووفد على قيصر البيزنطيين وحصل على لقب (البطريق) ، وعرض عليه ان يجعل مكة تابعة له مقابل ان يجعله ملكا عليها ، فأعطاه ما أراد وجاء عثمان إلى مكة وأخبر قريشاً بالأمر ، وكادت ان ترضى ، لكن الأسود بن المطلب ابن عمه أفسد الأمر وأخذ ينادي: (إن قريش لقاح لا تملك فرفضوا أمره وخرج إلى الشام ومات فيها)[5].

وهذه الرواية تؤيد ما ذهبنا إليه في ان قبائل المطيبين ، كانت تخاف من سيطرة البيزنطيين على التجارة ، وبالتالي تتضرر مصالحهم الاقتصادية ، لذلك نشطوا في إفشال أمر عثمان بن الحويرث ، لأن هذا معناه عدم وصول تجار اليمن إلى مكة نتيجة للعداء بين الفرس المسيطرين على اليمن وبين البيزنطيين.

---

١ ـ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٧٢، ابن حبيب، المحبر، ص١٣٧.

٢ ـ ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ٣٥٦/١، وكان يبيع البر وهو نوع من الأقمشة.

٣ ـ الواقدي، المغازي، ١٤٤/١.

٤ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١١٥.

٥ ـ ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ٤٢٥/١ ـ ٤٣٠.

أما الأحداث المهمة الأخرى التي شاركت فيها أسرة السيدة خديجة فهي حرب الفجار ، التي شاركت فيها جميع البطون القرشية ومن ضمنها بني أسد ، وسبب هذه الحرب هو ان أحد أفراد قبيلة كنانة اعتدى على قافلة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ، كانت قادمة إلى سوق عكاظ ، وقتل ضامن هذه القافلة الذي ينتمي إلى قبيلة هوازن ، والذي تعهد للنعمان في إيصالها دون ان يتعرض لها أحد ، فلجأ القاتل إلى قومه وهاجت الحرب بين قريش وكنانة من جهة وبين هوازن من جهة أخرى[1].

وسبب مساندة قريش لقبيلة كنانة في هذه الحروب ، هو خوف قريش من ان تخرج التجارة من يدها[2] ، إذ ان إيصال قبيلة هوازن القوافل التجارية إلى الأسواق المحيطة بمكة ، يعني عدم حصول قريش على أي عوائد مادية من هذه التجارة ، وقد ذكر أحد الباحثين ان الهجوم على القافلة كان متعمدا ، إذ ان القرشيين حاولوا إغلاق هذا الطريق التجاري الذي يربط الحيرة باليمن مروراً بالطائف أو السيطرة عليها[3] ، وبالرغم من أننا لا نؤيد تعمد الاعتداء على القافلة ، لأن ذلك لم يكن وفق تخطيط مسبق ، لكننا لا نستبعد كون قريش ساعدت كنانة من أجل الحفاظ على مواردها الاقتصادية ، التي قد يضرها وصول تجارة من الحيرة دون ان يكون لها يد فيها.

ولعل مشاركة جميع البطون القرشية بما فيها قبائل المطيبين في هذه الحرب ، يدل على ان الجميع كان يشعر بالخطر المحدق بمصالحهم التجارية ، حتى ان بني أسد بن عبد العزى تحملوا دورا كبيرا في هذه الحرب ، فقد قاتل فيها نوفل بن أسد وحبيب بن أسد وطالب بن أسد وطليب بن أسد[4] ، والعوام بن خويلد[5] ، وحزام بن

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١/١٦٨ ـ ١٧٠.

٢ ـ العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٣٤.

٣ ـ واط، محمد في مكة، ص٣٨ ـ ٣٩.

٤ . ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٦٩.

٥ ـ ابن حبيب، المحبر، ص١٨٨، ابن قتيبة، المعارف، ص٥٨٩، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥/٢٤٨.

خويلد[1] ، وكان زعيم هذه العائلة في الحرب هو خويلد بن أسد كما ذكرت الروايات الروايات المختلفة[2] ، وذكرت بعض المصادر أنه قتل فيها[3] ، في حين ذهبت أخرى إلى أنه قتل بعدها[4] ، وعلى أية حال فإنه كان زعيماً لقومه في هذه الحرب ، ولا نستبعد كونه قتل فيها ، لكن هناك رواية مفردة أوردها أبن حبيب ، ذكر فيها ان الذي قتله كعب بن عمرو من بني خزاعة[5] ، دون ان يحدد متى قتل.

وكان لهذه العائلة ميول دينية فقد اعتنق أثنين من أفرادها النصرانية هما عثمان وورقة ، وهذا الاتجاه لا يأتي من فراغ ، فربما كان هناك توجه ديني في العائلة أثر في هذين عن طريق التربية ، لاسيما إذا أضفنا إلى ذلك الرواية التي أوردها الزبير بن بكار ، والتي تدل على توجه خويلد بن أسد الديني ونصها: (لما حفرت زمزم وأدرك عبد المطلب ما أدرك وجدت قريش في نفسها مما أعطى عبد المطلب فلقيه خويلد بن أسد فقال:

يا بن سلمى لقد سقيت ماء رغدا ونثلت عادية حسدا ، فقال: يا بن أسد أما أنك تشرك في فضلها ، والله لا يساعدني أحد عليها ببر ولا يقوم معي إلا بذلت له خير الصهر فقال خويلد:

أقول وما قولي عليك بسبة إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر وركضة جبريل على عهد آدم

---

١ ـ ابن دريد ، الإشتقاق، ١٩٣/١.

٢ ـ ابن حبيب، المنمق، ص١٩٩ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٢/١ ، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٠٢ ، السهيلي، الروض الأنف، ٢١٣/١.

٣ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٦/٢ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٢/٢ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٥٠/١ ، المقريزي، إمتاع الأسماع، ١١/١.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٦/٨.

٥ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٨٩.

فقال عبد المطلب: ما وجدت أحد ورث العلم إلا قدم غير خويلد بن أسد)[1].

وعلى الرغم من ان هذه الرواية غير موجودة إلا عند ابن أبي الحديد ، لكن هذا لا يعني أنها لا أساس لها ، وربما قد حصل عليها من مصادر متقدمة لم تقع بين أيدينا ، وهي تَدلُّ على معرفة بالدين فما هو العلم الذي ورثه خويلد بن أسد غير الدين ، وإذا جمعنا هذه الرواية مع تنصر أثنين من أبناء هذه العائلة ، نعرف ان هناك توجه ديني ويتضح هذا بجلاء في المستوى الديني الذي تمتعت به السيدة خديجة(ع) واختيار الرسول (ص) لها وموقفها في بداية الدعوة الإسلامية[2].

وعلى الرغم من ان المصادر لا تفصل كثيرا في أخبار أبناء خويلد ، لكنها ذكرت بعض أخبارهم ، إذ كان عدي أكبر أبناءه لكننا لم نحصل على أي رواية عنه سوى أنه (أنقرض عقبه)[3] ، ثم العوام بن خويلد الذي تزوج من صفية بنت عبد المطلب ، فولدت له الزبير والسائب وأم حبيب وعبد الكعبة ، الذي سماه الرسول(ص) عبد الرحمن[4] ، وقد قتل العوام في حرب الفجار[5] ، وأبنه الثالث حزام بن خويلد الذي تزوج من فأختة بنت زهير بن الحارث بن أسد فأنجبت له حكيماً وخالداً وهاشماً[6] ، وقد قتل حزام بن خويلد في حرب الفجار أيضاً[7] ، والرابع هو نوفل بن خويلد ويقال له ابن العدوية نسبة إلى أمه ، تزوج الفريعة بنت نوفل بن عبد مناف فأنجبت له الأسود بن نوفل الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة[8] ،

---

١ ـ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢١٧/١٥ ، وأورد البلاذري أبيات الشعر فقط ، أنساب الأشراف ، ٢١٧/١.

٢ ـ سنتعرض للتوجهات الروحية للسيدة خديجة عند الحديث عن دورها في البعثة.

٣ ـ مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٣١.

٤ ـ مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٨٧٣/٤.

٥ ـ ابن حبيب ، المحبر ، ص١٨٩ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢١٩.

٦ ـ مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٣١.

٧ ـ ابن دريد ، الإشتقاق ، ٩٣/١.

٨ ـ مؤرج ، حذف من نسب قريش ، ص٥٢ ، مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص٢٠٣ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ١/ ١٠٦.

وبقي نوفل على شركه وكان شديدا على المسلمين ، لذلك عندما أسلم طلحة بن عبيد الله التيمي ، قام نوفل بربطه هو وأبكر(رض) بحبل لذلك سموا القرينين[١] ، ومن شدته على المسلمين قال فيه الرسول(ص): (اللهم أكفني نوفل بن خويلد) ، فقتله الإمام علي بن أبي طالب(ع) في معركة بدر مشركا[٢].

أما بنات خويلد فهن ثلاثة رقيقة وهالة والسيدة خديجة(ع) ، فأما رقيقة فهي أكبر بناته تزوجت في بني تيم بن مرة[٣] ، وولدت بنتاً أسمها أميمة[٤] ، ولم نحصل على روايات عنها ، والثانية هالة التي تزوجت من الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ثم تزوجت من أخيه ربيعة ، ثم تزوجت أحد الثقفيين ثم تزوجت في بني خزاعة.

أما والدة السيدة خديجة فلم نحصل على روايات عنها ، سوى أنها من بني عامر القرشيين الذين سكنوا ظواهر مكة[٥] ، وأخوها قيس بن زائدة العامري والد الصحابي عمرو الذي عرف باسم ابن أم مكتوم(رض) ، الذي كان يخلفه الرسول(ص) مرات متعددة على المدينة عند خروجه بالغزوات ، وهو ابن خال السيدة خديجة(ع)[٦].

وفي ظل هذه العائلة عاشت السيدة خديجة(ع) حياة أبناء العوائل الشريفة الكبيرة منعمة مترفة ، مع ما لأبيها من مكانة في قريش كونه أحد زعمائها ورجالها

---

١ - مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٠٣، الجاحظ، الرسائل السياسية، ص٤٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ٨٠ - ٨١.

٢ - الواقدي، المغازي، ١/ ٩١ - ٩٢، ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص١٢٠، المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٩٢.

٣ - مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢٩، ابن حبيب، المحبر، ص٩٩ - ١٠٠، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٦، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢٠.

٤ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/ ٢٥٥ - ٢٥٦، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٧٩١.

٥ - مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣٧، المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٢٦٩.

٦ - مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣٧، النووي، المجموع، ٣/ ٨٦.

البارزين ، ومما لا يقبل الشك ان قوة شخصيتها ومكانتها جاءت نتيجة لتأثير هذه العائلة فيها فضلا عن مميزاتها الذاتية.

وعلى الرغم من عدم وجود روايات تشير إلى حياتها قبل عمل الرسول(ص) في تجارتها نستطيع ان نعرف ان تأثير الأسرة كان كبيرا فيها لأنها خير قاعدة يبدأ منها الإنسان حياته وتقرر معالم شخصيته ، ولأن الجماعات الإنسانية مهما بلغت من التماسك والوحدة فلن يجد فيها الإنسان هذا اللون من العطف الخالص الذي يشعر به في حمى أسرته ، لذلك نفترض ان نشأتها الأولى في أسرتها كانت مميزة جدا فقد أطلق عليها لقب الطاهرة قبل ان تتزوج بالرسول(ص)[1] ، ويتضح من هذا اللقب أنها نالت مكانة كبيرة في مجتمع مكة حتى استحقته فلقبت به دون غيرها من نساء قريش.

وليس من المستبعد ان يكون هذا اللقب قد أطلق عليها نتيجة لظروف أسرتها ، حيث قتل أثنين من أخوتها في حرب الفجار ، وربما قتل أبوها أيضا فيها أو بعدها بقليل ، كذلك فإن أخاها عديا ربما توفي في فترة مبكرة ، لذلك لم يبقَ لها سوى أخوها نوفل بن خويلد مما جعلها تتحمل مسؤولية نفسها ، لأن علاقتها به كانت بعيدة ، وهذا ما نراه بوضوح في عدائه للإسلام ، وعدم مساعدته لأخته في المقاطعة ، التي فرضت على بني هاشم ، وعدم ورود أي رواية تدل على علاقته بها ، مما أضطرها إلى ان تعتمد على نفسها في إدارة شؤونها ، وإدارة أموالها التي ربما ورثتها عن عائلتها ، ويتضح ذلك في مباشرتها للعمل التجاري ، الأمر الذي يؤكد استقلالها بنفسها ، وعدم وجود أشخاص يقومون به نيابة عنها.

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٥/٨ ، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣٣٤، البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٠٧/١.

ولادة السيدة خديجة عليها السلام

من الضروري ان نعرف السنة التي ولدت فيها السيدة خديجة(ع) ، وذلك من اجل التعرف على ولادة أبناءها وعمرها عند زواجها من الرسول(ص) ، لاسيما ان هناك بعض الباحثين اعتقدوا ان الرسول(ص) تزوجها وهي كبيرة في السن طمعا في أموالها ، وهذا ما سنناقشه لاحقا.

على الرغم من عدم تحديد الروايات لسنة ولادتها لكننا نستطيع وضع تاريخ تقريبي لهذه الولادة ، وذلك من خلال مناقشة الروايات التاريخية التي تناولت هذا الأمر ، فهي - أي الروايات - لم تحدد سنة ولادتها بل تعرضت لعمرها عند زواجها من الرسول(ص) ، والرواية التي اعتمدت عليها معظم المصادر هي الرواية التي تحدد عمرها بأربعين سنة[1] ، حتى نجد ان هذه المسألة أخذت أخذ المسلمات التي لا يجوز الشك فيها نتيجة لانتشارها في اغلب كتب المسلمين ، والمصدر الأول الذي نقل عنه هذا الأمر ، هو روايتان عن حكيم بن حزام ابن اخ السيدة خديجة(ع):

الأولى نصها: (سئل حكيم بن حزام أيهما أسن رسول الله(ص) أو خديجة فقال: كانت خديجة أسن منه بخمس عشرة سنة ، لقد حرمت على عمتي الصلاة قبل ان يولد رسول الله)[2].

---

١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٧/٨ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، ٩٨/١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢٠٨/٢ ، المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص٢١٥ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٤/ ١٣٨ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٧/٢ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٩/٢ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٢/ ٨٢ ، المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ٩/١ ، ابن حجر ، الإصابة ، ٢٨٢/٤.

٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٥/٨ ، ومعنى حرمت على عمتي الصلاة أي حاضت ، وتكلم بما تكلم به أهل الإسلام.

والثانية نصها: (تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وهي ابنة اربعين سنة ورسول الله ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت اسن مني بسنتين ، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشرة سنة)[1].

لكن المصادر ذكرت روايات أخرى عن عمر السيدة خديجة(ع) ، لكنها لم تلق الشياع الذي حظيت به روايتا حكيم بن حزام ، على الرغم من كثرتها وقربها للواقع ، فهناك روايات عن الصحابي عبد الله بن عباس(رض) ، يقول فيها ان السيدة خديجة(ع) ، عندما تزوجت بالرسول(ص) كان عمرها ثمانية وعشرين عاما[2] ، وأورد الزبير بن بكار ان عمرها كان ثلاثين سنة عند الزواج[3] ، فيما أوردت بعض المصادر ان عمرها كان خمس وعشرين سنة[4] ، وذكرت أخرى ان عمرها كان خمساً وثلاثين سنة[5]. في حين ذهبت بعض المصادر إلى ان عمرها كان أكثر من أربعين عاما ، حيث ذكر أحدها ان عمرها كان أربعا وأربعين عاما[6] ، وبعضها خمسا واربعين عاما[7] ، وأخرى ستا وأربعين عاما[8].

ومن خلال ما تقدم يتضح ان هناك اختلافات في عمرها عند الزواج ، يتبعه

---

١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٧/٨.

٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٧/٨ ، ابن حبيب، المحبر، ص٧٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٨/١، النويري، نهاية الأرب، ٩٩/١٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٢/٢، مغلطاي، سيرة مغلطاي، ص١٢ ، العامري، بهجة المحافل، ٤٨/١ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٩٤/١ ، ابن العماد ، شذرات الذهب، ٤١/١.

٣ - مغلطاي، سيرة مغلطاي، ص١٢ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٩٤/١ ، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٤٠/١.

٤ - البيهقي، دلائل النبوة، ٧/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٤/٢، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٤٠/١.

٥ - ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٥/٢ ، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٤٠/١.

٦ - ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق لأبن عساكر، ٣٠٣/١.

٧ - مغلطاي، سيرة مغلطاي، ص١٢ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٣٠١/١، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٤٠/١.

٨ - البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٨/١.

اختلاف في سنة ولادتها ، وسنعتمد في مناقشة هذا الأمر على روايتي حكيم وعبد الله بن عباس(رض) ، لأنهما من الصحابة ومعاصرين لتلك الفترة.

فإذا أخذنا رواية حكيم بن حزام نجد إنه ربط عمر السيدة خديجة(ع) عند الزواج بمقدار عمره ، فقال إنها أكبر منه بسنتين ، وقد ذكرت المصادر ان حكيم بن حزام توفي سنة خمس وخمسين للهجرة[1] ، عن عمر ناهز المائة والعشرين عاش ستين منها في الجاهلية وستين في الإسلام[2] ، فإذا كان قد ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة حسب روايته ، فإن عمره إلى البعثة النبوية ثلاث وخمسين سنة ، لأن البعثة كانت بعد أربعين عاما من عام الفيل[3] ، الذي ولد فيه الرسول(ص) فيكون عمره عند الهجرة إلى المدينة المنورة ستا وستين سنة على اعتبار بقاء الرسول(ص) في مكة ثلاث عشرة عاماً[4] ، ويكون عمره عند فتح مكة أربع وسبعين عاما ، لان بقاء الرسول(ص) في المدينة ثمان سنين قبل فتح مكة ، وهو العام نفسه الذي أسلم فيه حكيم بن حزام ، فحياته قبل الإسلام ليست ستين سنة كما رأينا ، لذلك فتحديد عمرها بناءً على هكذا روايات أمر صعب ، لاسيما إنه لا يوجد تقويم ثابت في تلك المدة لكي نستند إليه.

ونضيف إلى ما تقدم ان النضج في المناطق الحارة يكون سريعا ، لذلك يكون عمر الأربعين أقرب إلى الشيخوخة[5] ، وعليه فإن زواجها من رسول الله(ص) قد لا يكون معقولا في مثل هذا العمر ، وقد يعزز رأينا هذا إنها أنجبت جميع أبناء

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٩/١.

٢ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣١ ، ابن قتيبة ، المعارف، ص٣١١، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٩/١، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢١ ، ابن الجوزي، الوفا ، ٩٣/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤٦/٢، ابن حجر، الإصابة، ٣٤٩/١.

٣ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٣٠ ، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٦/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٠/١.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٢٤/١ ـ ٢٢٥ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٨٤/٢ ـ ٣٨٧.

٥ ـ بودلي، الرسول حياة محمد ، ص١٢٩ ، العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٦٩.

الرسول(ص) بصورة طبيعية وليس بمعجزة ، وكما تذكر الروايات فإنها أنجبت بعض أبنائه بعد السنة الخامسة للبعثة ، أي ان عمرها - حسب رواية حكيم - أكثر من ستين سنة ، وهذا أمر غير مقبول لأن الإنجاب عند المرأة يتوقف عند الخمسين ، وإذا افترضنا جدلا ان الإنجاب أستمر عندها حتى الستين ، فإن ذلك لا يتلائم مع ولادة أحد أبنائها في حصار الشعب ، بعد السنة السابعة للبعثة لأن عمرها تجاوز الثانية والستين ، وعلية تكون رواية ابن عباس أقرب للمعقول وتناسب ولادة السيدة هذا العدد من الأبناء ، لذلك تكون ولادتها قبل عام الفيل بثلاث سنوات.

حياة السيدة خديجة
قبل زواجها من الرسول(ص)

أزواجها قبل الرسول(ص)

بعد التعرف على أوضاع مكة قبيل البعثة وأسرة السيدة خديجة(ع) ، لابد من التواصل للتعرف على حياتها حتى ارتباطها بالرسول(ص) ، لاسيما ان هذه الفترة من حياتها غير واضحة ويشوبها الكثير من الغموض ، فقد ذكرت الروايات أنها تزوجت رجلين قبل النبي(ص) ، زوجها الأول من قبيلة تميم العربية والآخر مخزومي قرشي ، لكن الروايات اختلفت اختلافا كبيرا في أسميهما وأيهما تزوجها أولا ، وعدد أولادها منهما وأسمائهم.

ونحن هنا لا نريد الخوض في تفاصيل هذا الموضوع ، لاسيما ان أغلب الرواة ذكروا ان عتيق بن عائذ(أو عابد) المخزومي هو الذي تزوجها أولا[1] ، وينتسب عتيق إلى قبيلة بني مخزوم القرشية فهو عتيق بن عائذ (أو عابد) بن عبد الله بن عمر بن

---

١ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٢٤٥ ، أبو عبيدة، تسمية أزواج النبي(ص)، ص٢٠ ، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٧ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦١/٣ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩٠/٣ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٥٠/١ ، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٣/٢ ، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٢ ، النويري، نهاية الأرب، ١٧١/١٨ ، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢١٩/٩ ، ابن حجر، الإصابة، ٢٨١/٤ ، المجلسي، بحار الأنوار، ١/١٦.

مخزوم بن يقظة بن مرة ، لكن الصحيح هو عتيق بن عابد لأن عائذ هو من أبناء عمران بن مخزوم ، كذلك فإن الشاعر حسان بن ثابت(رض) ، قال أبياتاً من الشعر هجا فيها رفيع بن أمية بن عابد الذي قتل في معركة بدر كافرا ، وهو أخو صيفي بن أمية زوج هند بنت عتيق التي ذكرت الروايات إنها ابنة السيدة خديجة منه ، وابن أخي عتيق بن عابد ، والأبيات هي:

فإن تصلح فإنك عابدي وصلح العابدي إلى فساد

وإن تفسد فما الفيت إلا لئيما تؤول إلى رشاد[1]

وعلى الرغم من ان اغلب المصادر التي تطرقت إلى حياة السيدة خديجة ذكرت هذا الزواج ، إلا أنه بقي غامضا شأنه شأن الكثير من الأحداث التي شهدها تاريخ هذه الفترة ، وقد يعود السبب في هذا الأمر إلى ان المصادر لم تهتم بحياة السيدة خديجة(ع) قبل الارتباط بالرسول(ص) ، واكتفت بالقول إنه ينتمي إلى بني مخزوم ، ومن المعروف إنهم من أغنى الأسر القرشية قبل الإسلام ، وقد كانوا في جانب بني عبد الدار في النزاع الذي نشب بسبب وظائف الكعبة ضد بني هاشم وبني أسد ، كما كان لهذه الأسرة أثر كبير في مواجهة الدعوة الإسلامية ، ومن أبرز شخصياتهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل (عمرو بن هشام).

كما تذكر الروايات إنها أنجبت منه بنتا اسمها هند ، هذه البنت تزوجت من ابن عمها صيفي بن أمية بن عابد ، وأنجبت ولدا أسمه محمد[2] ، ولقب أبناء

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٢٠١.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/ ٢١٤، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/ ١٥، ابن حبيب، المحبر، ص٧٨، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٧، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٤٢ ـ ١٤٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣/ ١٩٠، السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٦، ابن الجوزي، الوفا، ١/ ١٤٥.

محمد المذكور بأبناء الطاهرة نسبة للسيدة خديجة(ع)[1] ، وفي رواية نسبة لهند بنت عتيق[2] ، ووردت روايات أخرى تقول ان السيدة خديجة(ع) أنجبت لعتيق ابن يسمى عبد الله[3] ، وآخر أسمه عبد مناف[4] ، وذكرت عامة الروايات ان عتيقا توفي عن السيدة خديجة(ع)[5] ، بينما ذكر البلاذري إنه طلقها[6].

وهذه تقريبا مجمل الروايات التي تناولت زواج السيدة خديجة منه ، وقد تبدو طبيعية ان تكون امرأة في سن الزواج تتزوج من شخص ما وتنجب منه أولادا ، لكن غير الطبيعي هو عدم الوضوح الذي يكتنف هذا الزواج . إذ لم تذكر لنا الروايات متى تزوجت منه ، ومن زوجها ، ومتى أنجبت هؤلاء الأبناء ، وما هي علاقتهم بأمهم ، ويبقى لنا مجرد الافتراض الذي قد يكون صحيحا أو العكس. فإذا قلنا ان السيدة خديجة ولدت قبل عام الفيل بثلاث سنوات ، تبعا لرواية ابن عباس فتكون قد تزوجت منه في السنة العاشرة أو الحادية عشر بعد عام الفيل ، استنادا إلى بلوغ المرأة وسرعة نضجها في المناطق الحارة ، وهذا يقودنا إلى القول ان الذي زوجها هو أبوها خويلد بن أسد لأنه كان حيا في هذه الفترة ، كما أننا إذا ذهبنا مع رواية حكيم بن حزام التي تقول إنها ولدت قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، فيكون

---

١ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٥/٨، ابن حبيب، المحبر، ص٧٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٠٦/١ ـ ٤٠٧.

٢ ـ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص٩٠.

٣ ـ ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣١، النويري، نهاية الأرب، ١٧١/١٨، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٣/١.

٤ ـ السهيلي، الروض الأنف، ٢١٦/١، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٣/١، المكي، سمط النجوم، ٣٦٥/١.

٥ ـ ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٧، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦١/٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩٠/٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٠٧/٢، النويري، نهاية الأرب، ١٧١/١٨، العامري، بهجة المحافل، ١٣٩/٢.

٦ ـ أنساب الأشراف، ٤٠٧/١.

زواجها منه بعد عام الفيل بسنة أو سنتين.

وعلى ما تقدم تكون قد ولدت ابنتها هند في مدة مبكرة جدا ، لاسيما ان الرسول(ص) ابتدأ العمل معها في التجارة في السنة الحادية والعشرين بعد عام الفيل على ما سنبينه لاحقا ، وفي هذه الفترة لم تذكر لنا الروايات أنها كانت مع أحد أزواجها ، لذلك تكون السيدة خديجة قد تزوجت وأنجبت جميع أبنائها قبل هذه السنة ، فيكون عمر أبنتها هند عند البعثة قد تجاوز الثلاثين ، وهذا يعني إنها متزوجة من ابن عمها قبل هذا التاريخ بفترة طويلة ، كما أنه من المنطقي ان تكون أنجبت ابنها قبل البعثة.

وهذه الأمور تقودنا إلى مجموعة من التساؤلات حول هند وأبنها محمد وطبيعة علاقتهما بالسيدة خديجة والرسول(ص) ، من هذه التساؤلات متى ولد محمد بن صيفي؟ فإذا كان قد ولد قبل البعثة ، فإن المؤرخين أحصوا جميع من تسمى بمحمد قبل البعثة ، لكنهم لم يذكروا محمد بن صيفي بينهم[1] ، وإذا كان قد ولد بعد البعثة ، وهو احتمال ضعيف لأن أمه كما قدمنا كانت كبيرة في السن ، فكيف ان يسمي مشرك وهو صيفي بن أمية أبنه محمد وهو مشرك أسر في معركة بدر[2] ، ولم تذكر أحد المصادر التي اهتمت بالصحابة بأنه أسلم ، وهذا يقودنا إلى الافتراض على إنه بقي على شركه ثم توفي قبل فتح مكة ، إذن كيف يقال لأبناء صيفي بن أمية (بنو الطاهرة) وهو مشرك؟ فإذا كان المقصود أبناء محمد بن صيفي فهذا يعني أنه أسلم ، لكن متى أسلم؟ إذا كان أسلم في مكة وأبوه على الشرك ، فهذا يعني أنه من الصحابة ، لكننا لم نجد في كتب السيرة أو الكتب التي اهتمت بأسماء

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٦٩/١ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ٥٣٨/١ ، حتى أنهم أحصوا من تسموا بمحمد بعد البعثة.

٢ ـ الواقدي، المغازي، ١٤١/١ ، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٤٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٢/٣.

الصحابة أي ذكر له ، وقال ابن الأثير فيه (لا رواية له وفي صحبته نظر)[1].

وهناك تساؤلات تخص هند نفسها ، فعندما توفي أبوها هل بقيت مع السيدة خديجة(ع) أم أخذها أهلها؟ وما هي علاقتها بأمها؟ الذي يبدو ان هنداً ليست لها علاقة بأمها ، لعدم ورود أي رواية تدل على ذلك ، كذلك لا توجد أي رواية تذكر علاقتها بالرسول(ص) ، ثم أننا لم نحصل على رواية تدل على إسلامها ، ولم تذكرها كتب الطبقات والتراجم في الصحابيات ، أما الأبناء الآخرون الذين ذكرتهم المصادر عند مناف وعبد الله ، يبدو ان هناك خلط فيها لاسيما ان نفس الأسماء نسبوها للرسول(ص).

أما الزوج الثاني الذي ذكرته الروايات فهو أبو هالة الذي ينتسب إلى قبيلة تميم العربية ، وذكر هشام بن محمد الكلبي نسبه بالشكل الآتي (أبو هالة هند بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غوي بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم)[2] ، جاء إلى مكة في ظروف غير معروفة وحالف بها بني عبد الدار[3].

وذكرت الروايات أنه كان ذا شرف في قومه ، وحتى بعد ان نزل في مكة[4] ، ووردت رواية عن الزبير بن بكار أنه كان يقال في الجاهلية (والله لأنت أعز من آل النباش وأشار بيده إلى دور حول المسجد ، فقال: كانت هذه رباعهم)[5] ، وقد توفي بمكة قبل الإسلام[6].

---

١ ـ أسد الغابة، ١٩٦/٥.

٢ ـ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٢٦٩، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٧/١٣، ٦٥، ٨٦، أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٤/٤، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦١/٣، ابن ماكولا، الإكمال، ٥٢٣/١، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩١/٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤١٧/٥.

٤ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٩٣/٣.

٥ ـ ابن ماكولا، الإكمال، ٥٢٣/١، الفاسي، شفاء الغرام، ٢٩/٢.

٦ ـ ابن قتيبة، المعارف، ص١٣٣، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٣، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦١/٣، ابن دريد، الإشتقاق، ٢٠٨/١، العامري، بهجة المحافل، ١٣٩/٢.

لم نحصل على شيء يخص أبو هالة سوى هذه المعلومات ، فلم تبين لنا الروايات أين كان منزله قبل مجيئه إلى مكة؟ وما هي الظروف التي أجبرته على ذلك؟ ومتى تزوج من السيدة خديجة(ع)ومن زوجه منها؟ ولماذا تزوج في بني أسد بن عبد العزى ولم يتزوج في حلفائه بني عبد الدار؟ وكم بقي مع السيدة؟.

وكما هو الحال مع الزوج الأول للسيدة خديجة(ع) اختلفت الروايات في عدد أبناءه منها ، وظروف ولادتهم وحياتهم ، فقد تفاوتت المصادر في عددهم وأسمائهم وغير ذلك من الأمور ، فذكرت الحارث بن أبي هالة والزبير بن أبي هالة والطاهر بن أبي هالة وهالة بن أبي هالة وزينب بنت أبي هالة.

ونبتدأ مع الحارث الذي ذكرت الروايات أنه أول شهيد في الإسلام ، إذ أستشهد وهو يدافع عن الرسول(ص) ، وذلك بعد ان جهر بدعوته في السنة الثالثة للبعثة ، قال لقريش: (قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، فقالوا إليه فأتى الصريخ أهله فأدركه الحارث بن أبي هالة فضرب فيهم فعطفوا عليه فكان أول شهيد في الإسلام)[1] ، وفي رواية أخرى ان الحارث كان عند السيدة خديجة(ع) وكان يظهر إسلامه ، فجلس مع جماعة من قريش في أحد الأيام فنالوا من النبي(ص) ، فغضب وتشاجر مع أحدهم فقتل على أثر هذه الحادثة[2].

وعلى الرغم من ان بعض المصادر ذكرت ان السيدة خديجة ولدت له ابنين هما هند والحارث[3] ، لكن هاتين الروايتين لا تدلان على كون الحارث هو ابنها من أبي هالة ، وجاء ذكر الحارث عند العباس بن هشام بن السائب الكلبي ، نقله عنه البلاذري[4]. ولو تتبعنا ذكر الحارث من أجل التعرف على الراوية الأصلي الذي نقل

---

١ ـ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٧٤ ، ابن حجر، الإصابة، ٢٩٣/١.

٢ ـ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٢.

٣ ـ أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٧٤ ، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٤٤ ، ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣١.

٤ ـ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٢.

عنه وجود هذا الابن ، نجد ذلك عند ابن حجر العسقلاني الذي يقول: (ذكر ابن الكلبي وابن حزم أنه أول من قتل في سبيل الله تحت الركن اليماني ، وقال العسكري في الأوائل ، لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصدع بأمره...... ، وفي الفتوح لسيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن أبيه قال عثمان بن مظعون: أول وصية أوصانا بها النبي صلى الله عليه وسلم لما قتل الحارث بن أبي هالة ونحن أربعون رجلا ليس بمكة أحد مثل ما نحن عليه فذكر الحديث - أي لما صدع بأمره.....)[1] ، إذن المصدر الأساس الذي نقلت عنه هذه الرواية هو سيف بن عمر التميمي البرجمي ويقال: السعدي الضبيعي ويقال: الاسيدي الكوفي من بني أسيد بن عمرو بن تميمي وهو صاحب الردة والفتوح[2].

وسيف بن عمر أحد الرواة الذين رَووا تاريخ فترة صدر الإسلام صاحب (كتاب الفتوح الكبير والردة ، وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي)[3] ، روى عنه اغلب المؤرخين ولاسيما الطبري[4] ، اجمع اهل الحديث على انه كاذب في رواياته وغير امين في النقل ، بل كان يروى عن اشخاص وهميين ليس لهم وجود إلا في رواياته ، ويضع الروايات ، وسنذكر بعض آراء اهل الحديث عنه ، إذ قالوا عنه:(متروك ، ضعيف ، أتهم بالزندقة ، يروي الموضوعات عن الاثبات ، ليس منه خير ، متهم في دينه مرمي بالزندقة ساقط الحديث لا شيء ، عامة حديثه منكر ، بعض احاديثه مشهورة وعامتها منكرة ، انه يضع الحديث)[5]. وعلى الرغم من هذه الآراء في

---

١ ـ الإصابة، ٢٩٣/١.
٢ ـ الذهبي، ميزان الإعتدال، ٢٥٥/٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٩٥/٤.
٣ ـ النديم البغدادي، محمد بن إسحاق ت٤٣٨هـ، كتاب الفهرست، مصر ١٩٧١، ص١٠٦.
٤ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٣٦٠ ـ ٣٩٩، ٤٤٧ ـ ٤٦٢.
٥ ـ ابن معين، تاريخ ابن معين، ٣٣٦/١، العقيلي، كتاب الضعفاء الكبير، ١٧٥/٢، الرازي، الجرح والتعديل، ٥٧٩/٣، ابن حبان، كتاب المجروحين، ٣٤٥/١، ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، ٤٣٥/٣، أبو نعيم الاصبهاني، كتاب الضعفاء، ص٩١، الذهبي، من له رواية في كتب الستة، ٤٧٦/١، الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢٥٥/٢، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨/ ٩٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٥٩/٤ ـ ٢٦٠.

شخصية سيف ، ومعرفة المؤرخين واصحاب الحديث النبوي ، بطبيعة شخصيته فقد نقلوا عنه كثيرا ، بدون ان يدققوا رواياته ، التي كانت السبب في الكثير من الاختلافات بين المسلمين حتى وقتنا الحاضر.

وقد استطاع هذا الراوية ان يبث العديد من الروايات في كتب التاريخ ، فنقل المؤرخون عنه ، حتى أصبحت هذه الروايات بحكم المسلمات ، التي لا يجوز التشكيك بها ، ثم نقلها الباحثون المعاصرون من مستشرقين وعرب عن المصادر القديمة ، دون نقد او تحليل ، والحقيقة ان أساس هذه الروايات هو سيف بن عمر وحده ، ولم يذكرها أي مؤرخ آخر غيره ، لذلك يجب ان نكون على حذر من روايات سيف ، لأنه غير جدير بالثقة ، وكان مستعدا لاختلاق أحداث وشخصيات غير موجودة ، إذ نقلت عنه الكتب التي اهتمت بالصحابة ، أسماء صحابة لا يعرفون الا عنده ، ونقلت كتب الرجال رواة لا وجود لهم إلا في أسانيده ، كما اختلق أسماء أماكن جغرافية نقلتها كتب الجغرافية الإسلامية عنه ، وهي في الحقيقة غير موجودة إلا في رواياته[١].

كما إننا لو ناقشنا ما جاء في متن الروايات من ان الحارث كان أول شهيد في الإسلام ، نجده يناقض ما أجمعت عليه كتب السيرة في كون سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر(رض) كانت أول شهيد في الإسلام[٢] ، وهذا طبعا يشمل النساء والرجال من المسلمين.

والأمر الآخر الذي يجب الالتفات إليه هو انه كان يدافع عن رسول الله(ص) عندما جاهر بدعوته ، ومن المعروف ان الرسول(ص) كان ينتمي إلى بني هاشم ،

---

١ ـ ينظر مرتضى العسكري، عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، ٧٣/١ وما بعدها ، الشرهاني، حياة السيدة خديجة بنت خويلد ، ص٨٥ ـ ٩٦.

٢ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٩٢ ، المنقري، صفين، ص٣٢٥، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٧٩/١، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٦٤/٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٥٨/١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٢/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٤٠/٤، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٧/٢٠.

وهي من أقوى وأمنع الأسر القرشية ، لاسيما مع وجود أبي طالب الذي كان يدافع عن النبي(ص) ويحميه ، وتفيد الروايات التاريخية بأن قريشاً لم تتجرأ عليه في حياة أبي طالب ، وحتى بعد وفاته عندما أرادوا قتله ، لم تستطع إحدى الأسر الإنفراد بهذا الأمر ، وجمعوا من كل قبيلة رجلا حتى لا ينفرد بنو هاشم بإحدى القبائل[1].

كما ان دفاع الحارث عن رسول الله(ص) عند الجهر بدعوته ، أمر مستغرب لأن الروايات تذكر ان المشركين لم يتعرضوا للرسول(ص) في بداية الدعوة ، حتى ذكر آلهتهم وآباءهم الذين ماتوا على الكفر[2]. زيادة على ان الكتب التي اهتمت بأسماء الصحابة وفصلت في أخبارهم ، لم تذكره مع أنه أول شهيد في الإسلام ، إذ لم يرد له ذكر عند ابن سعد أو ابن عبد البر أو ابن الأثير وغيرهم.

ثم نقلت المصادر عن سيف بن عمر التميمي ابناً آخرَ للسيدة خديجة(ع) هو الطاهر بن أبي هالة ، فذكر ابن عبد البر(الطاهر بن أبي هالة الأسيدي التميمي حليف بني عبد الدار أمه خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بعثه رسول الله عاملا على بعض اليمن ، ذكر سيف بن عمر قال: أخبرنا جرير بن يزيد الجحفي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى ، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم خامس خمسة على أخلاف اليمن أنا ومعاذ بن جبل وخالد بن سعيد بن العاص ، والطاهر بن أبي هالة وعكاشة بن ثور فبعثنا متساندين ، وأمرنا ان نتياسر وأن نيسر ولا نعسر ونبشر ولا ننفر وإذا قدم معاذ طاوعناه ولم نخالفه)[3].

وهذا النص يشير إلى ان الطاهر هو ابن أبي هالة والسيدة خديجة(ع) ، وأنه كان أحد عمال النبي(ص) على اليمن ، وقد ذكر ابن الأثير نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم (طاهر بن أبي هالة أخو هند بن أبي هالة التميمي ، وأسم أبي هالة

---

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ٩١/٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٢٧/١.

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٨/٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٨/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٢٢/٢.

٣ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ٧٧٥/٢ - ٧٧٦، ابن حجر، الإصابة، ٢٢٢/٢.

النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غوي بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار بن قصي بن كلاب ، وأمه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم)[1]. وأورد الطبري ستة نصوص عن الطاهر بن أبي هالة ، كلها عن سيف بن عمر تتحدث عن أثر الطاهر في مناطق اليمن ، فأحد هذه الروايات تتكلم عن تولية الرسول(ص) له على إحدى مناطق اليمن[2] ، والثانية تعينه على منطقة تسمى عك والأشعريين[3] ، والرواية الثالثة تتحدث عن خروج الأسود العنسي في حياة الرسول(ص) ، وطرده للعمال بما فيهم الطاهر ، وموقف الرسول(ص) من خروج الأسود فيقول:(فنزا بهم الأسود في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فحاربه بالرسل والكتب حتى قتله الله وعاد الأمر كما كان قبل وفاة النبي(ص) بليلة ، إلا ان مجيئهم لم يحرك الناس ، والناس مستعدون له)[4] ، والرواية الرابعة مكملة للثالثة في طرد الأسود العنسي للطاهر وبقية العمال ، والمنطقة التي سيطر عليها هي:(وغلب الأسود على ما بين صيهد مفازة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن وطابقت عليه اليمن وعك بتهامة معترضون عليه وجعل خبره يستطير استطارة الحريق وكان معه سبعمائة فارس يوم لقى شهرا سوى الركبان)[5]. وتتحدث الرواية الخامسة عن كتاب أرسله الطاهر للخليفة أبي بكر(رض) في أمر الأسود ، وتوجيهه جيش لمقاتلته في منطقة تسمي الأعلاب ، وحث الخليفة للعمال من أجل مقاتلة المرتدين[6]. والرواية السادسة تتحدث عن كتاب وجهه الخليفة للطاهر من أجل مساعدة أهل اليمن في القتال[7].

---

١ ـ أسد الغابة، ٧٣/٣.
٢ ـ تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٨/٣.
٣ ـ تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٨/٣.
٤ ـ تاريخ الرسل والملوك، ٢١٨/٣.
٥ ـ تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٩/٣ ـ ٢٣٠.
٦ ـ تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٠/٣ ـ ٢٣١.
٧ ـ تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٨/٣ ـ ٢٢٩.

هذه النصوص تدل على ان أول ذكر ورد للطاهر عن سيف بن عمر ، وأول مصدر نقله هو الطبري في تاريخه ، فيما نقل ابن عبد البر رواية واحدة من الروايات أعلاه. وهنا نحتاج إلى مناقشة الأسانيد قبل الخوض في متن هذه الروايات.

ففي الرواية التي نقلها ابن عبد البر عن سيف ذكر في سندها ان سيف بن عمر نقل عن جرير بن يزيد الجعفي ، وهذه الشخصية لم نجد لها ذكراً في كتب الرجال ، ولا نعرف من أين أتى بها سيف ، ربما يكون من اختلاق سيف بن عمر لأنه لا يعرف إلا في رواياته ، وقد أشار الذهبي إلى ذلك بقوله: (يروي عن خلق كثير من المجهولين)[1]. أما الأسانيد التي أوردها الطبري في نقله عن سيف بن عمر ، ففي اثنين من رواياته ينقل سيف عن سهل بن يوسف عن ابيه يوسف بن سهل ، وفي واحدة ينقل عن سهل بن يوسف ، وسهل وأبوه يوسف لا يعرفون إلا في روايات سيف بن عمر كما قلنا سابقا ، ثم ينقل الطبري روايتين عن سيف عن عبيد بن صخر بن لوذان السلمي ، وبنو سليم من الأنصار من قبيلة الأوس ، وليس في جمهرة أنساب العرب لأبن حزم[2] ، ذكر لهذه الشخصية بل وردت عند سيف بن عمر فقط ، وليس في الكتب التي اهتمت بأسماء الصحابة صحأبي بهذا الاسم ، إلا عند ابن عبد البر ومن جاء بعده استنادا إلى رواية سيف.

أما متن هذه الروايات فهو أكثر تناقضا من الأسانيد ، وفيه الكثير من الأحداث التي لم يذكرها أحد من الرواة غير سيف ، فمثلا قائمة العمال الذين أرسلهم الرسول(ص) إلى اليمن وغيرها والتي ذكرها ابن إسحاق ، تخلو من أي ذكر للطاهر بن أبي هالة ، كما إنها تخالف تماما القائمة التي ذكرها سيف[3]. كما إنه ذكر ان الأسود العنسي خرج في حياة الرسول(ص) ، وقتل قبل وفاته[4] ، ثم يذكر في رواية

---

١ - ميزان الإعتدال، ٢٥٥/٢.

٢ - ينظر نسب الأوس، جمهرة أنساب العرب ص٣٣٢ - ٣٤٦.

٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، ٦٠٠/٤.

٤ - تاريخ الرسل والملوك، ٣١٨/٣.

أخرى ان أول ردة كانت في اليمن ردة الأسود العنسي في خلافة أبي بكر (رض)[1].

ولو أخذنا خروج الأسود العنسي من مصدر آخر غير سيف سنجد ان الأمر مختلف ، فمثلا البلاذري لم يذكر ان الأسود أسلم حتى يرتد عن الإسلام ، إذ يذكر ان الرسول(ص)أرسل إليه جرير بن عبد الله البجلي لدعوته للإسلام ، وعندما توفي الرسول(ص) غلب على صنعاء بعد ان أخرج خالد بن سعيد بن العاص ، ثم قتل على يد مجموعة من الأبناء[2] ، وذكر في رواية أخرى ان قتل الأسود كان قبل وفاة النبي(ص) بخمسة أيام[3].

أما المنطقة التي سيطر عليها الأسود حسب رواية سيف ، فهي كبيرة جدا وتطوق الدولة الإسلامية ، لكن سيف في روايته يذكر ان الرسول(ص): (فحاربه بالرسل والكتب) ، وهذا أمر غريب جدا إذ كيف تكون الدولة مهددة بهذا الخطر الكبير الذي يكاد ينهي كيانها ، وهي تملك جيشاً قوياً ، والرسول(ص) يحارب الأسود بالكتب والرسل ، ولا يرسل له أي جيش في الوقت الذي يرسل جيشا إسلاميا كبيرا إلى بلاد الشام ، رغم ان خطر الدولة البيزنطية بعيد عن الدولة الإسلامية الناشئة ، أليس الأولى ان يحارب الخطر الكبير المحيط بمركز الدولة!. وخلاصة القول ان هذه الروايات لا أساس لها من الصحة وهذا الابن لا وجود له إلا في مرويات سيف.

ويعد هالة هو الابن الثالث الذي نسبته الروايات للسيدة خديجة(ع) ، فذكر بعض الرواة إنها أنجبت له ولدا أسمه هالة[4]، في حين ذكرت مصادر أخرى أنها

١ ـ تاريخ الرسل والملوك، ٣٢٨/٣.

٢ ـ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٩ ـ ١١٠.

٣ ـ البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٩ ـ ١١٠.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٥/٨ ، ابن حبيب، المنمق، ص٢٩٩ ، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٩ ، العسكري، الأوائل، ص٩٩، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩٣/٣ ، ابن الجوزي، الوفا ، ١٤٥/١ ، الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ١٢٣/٢ ، القسطلاني، المواهب اللدنية ، ٢٠٢/١ ، الحلبي، السيرة الحلبية ، ١٥٦/١.

أنجبت له بنتا اسمها هالة[1]، والذي يبدو ان الرواة لم يجمعوا على وجود هذا الابن، إذ لم يرد ذكره إلا عند هشام بن محمد الكلبي والزبير بن بكار[2]، في حين لم يذكر عامة الرواة هذا الابن، إذ اتفقوا على أنها لم تنجب له سوى هند[3].

ولم يرد أي ذكر لهذا الابن سوى رواية واحدة ذكرها الطبراني: (حدثنا علي بن محمد بن عمرو بن تميم بن زيد بن هالة بن أبي هالة التميمي، حدثني أبي محمد عن أبي تميم عن ابيه زيد بن هالة عن ابيه هالة بن أبي هالة التميمي إنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مستيقظ فضم هالة إلى صدره وقال: هالة هالة هالة)[4]، وفي هذا يقول الذهبي: (هالة بن أبي هالة التميمي الأسيدي أخو هند له حديث في معجم الطبراني عن مجاهيل من أولاده)[5]، وهذا الحديث لا يعني وجود هالة ابنا للسيدة خديجة(ع).

أما الابن الذي اتفق عليه الرواة فهو هند بن أبي هالة، إذ وردت مجموعة من الروايات تتحدث عنه، إذ يقول الرواة إنه تربى في حجر الرسول(ص)[6]، كما نقلت بعض المصادر رواية عن أبي عبيدة، تتحدث عن الهجرة إلى المدينة، ذكر فيها ان عمار بن ياسر وأبا رافع مولى الرسول(ص) وهند بن أبي هالة، جلسوا يتحدثون عن هجرة علي بن أبي طالب(ع)، فتذاكروا حماية أبي طالب للرسول(ص)، وأمره لعلي(ع) بالمبيت على فراشه، ثم بعد ذلك قالوا: (استتبع

---

١ - الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٣/١، المكي، سمط النجوم، ٣٦٥/١.

٢ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٥/٨، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٧.

٣ - أبو عبيدة، أزواج النبي، ص٢٠، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٤/٤، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦١/٣، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٧/١، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩٠/٣.

٤ - الطبراني، المعجم الأوسط، ١٣٢/٤، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٧٩/٥، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٣٧٧/٩.

٥ - الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ١٢٣/٢.

٦ - ابن قتيبة، المعارف، ص١٣٣، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣١/١٥.

رسول الله(ص) ابا بكر بن أبي قحافة وهند بن أبي هالة وأمرهما ان ينتظراه بمكان عينه لهما في طريقه إلى الغار، ولبث رسول الله(ص) يوصي عليا)، ثم خرج الرسول(ص) ولحق بصاحبيه فساروا معا حتى وصلوا إلى الغار فرجع هند إلى مكة لما أمره النبي(ص) ودخل الرسول وأبو بكر إلى الغار[١].

ثم يذكر ابن الكلبي أنه شارك في معركتي بدر وأحد، ونزل في قبر حمزة بن عبد المطلب[٢]، كما أورد ابن حبيب رواية تقول ان الرسول(ص) بعثه لتحطيم أحد الأصنام، الذي كانت تعبده قبيلة بني تميم، على اعتبار أنه ينتمي إلى هذه القبيلة، وسدنته من بني أوس بن مخاشن التميميين[٣].

وقد أختلف الرواة في كيفية وفاة هند، إذ ذكر بعض الرواة إنه توفي بالطاعون الجارف[٤]، (وذلك أنه مر بالبصرة مجتازا فمات بها ولم يقم سوق البصرة يومئذ وقالوا: مات أخو فاطمة بنت رسول الله)[٥]، وفي ذلك اليوم مات ناس كثير، فشغل الناس بجنائزهم، ولم يحمل جنازة هند أحد، لكنهم انتبهوا لهذا الأمر وحملوا جنازته على أطراف أصابعهم تعظيما لربيب رسول الله(ص)[٦]، فيما أورد الزبير بن بكار رواية تخالف ما تقدم مفادها ان أبنه هو الذي مات في الطاعون وليس هو[٧]، في

---

١ - الطوسي، الأمالي، ص٤٦٣، الشيرازي، الدرجات الرفيعة، ص٤٠٩ - ٤١٠، المامقاني، تنقيح المقال، ٣٥٠/٣.

٢ - ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٢٦٩، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٣، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٠.

٣ - المحبر، ص٣١٦.

٤ - أبو عبيدة، أزواج النبي، ص٢٠، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٥/١، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٣/١، المكي، سمط النجوم، ٣٦٥/١.

٥ - أبو عبيدة، أزواج النبي، ص٢٠، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٥/١.

٦ - السهيلي، الروض الأنف، ٢١٦/١، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥٦/١.

٧ - ابن قتيبة، المعارف، ص١٣٣، ابن دريد، الإشتقاق، ٢٠٨/١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٥/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤١٩/٥.

حين ذكرت مصادر أخرى أنه قتل في الجمل مع الإمام علي(ع) ، وإن ابنه قتل مع مصعب بن الزبير في حربه مع المختار[1]. وذكر بعض الرواة أنه بعد وفاة هند أنقرض عقبه ولم يبق منهم أحد[2].

وورد في بعض المصادر إنه كان يقول: (أنا أكرم الناس بأربعة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمي خديجة ، وأختي فاطمة ، وأخي القاسم)[3]. كما روي عنه حديث مطول في وصف الرسول(ص)[4].

أما أحاديثه التي نقلتها المصادر عن رسول الله(ص) فهي اثنان فقط ، الأول عن سيف بن عمر (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله أبى لي ان أتزوج أو أزوج إلا أهل الجنة)[5] ، والحديث الثاني عن مالك بن دينار (قال: حدثني هند بن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: مر النبي بالحكم أبي مروان فجعل يغمزه فالتفت إليه النبي فقال: اللهم اجعل به وزغا فرجع مكانه ، والوزغ الارتعاش)[6].

والشيء الذي يجب ان نلتفت إليه ان الروايات التي تناولت ذكر هند بن أبي هالة ، جاءت عن طريق ثلاثة رواة فقط هم هشام بن السائب الكلبي ، وابو عبيدة

---

١ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٥/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤١٩/٥.

٢ ـ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٢٦٩، البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤١٧/٥.

٣ ـ البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٣، الثعالبي، ثمار القلوب، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣١/٥ ـ ١٣٢، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥٦/١.

٤ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٨٦/١، أبو الفرج الاصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨، أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٦٠٥/٣ ـ ٦٠٩، أبو الشيخ، اخلاق النبي وآدابه، ص٢٢، ٢٣، ٨٩، ٩١، ٩٥، ١٩٠، البيهقي، دلائل النبوة، ٢٨٥/١ وما بعدها، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤١٧/٥، الزرندي، نظم درر السمطين، ص٦٢ ـ ٦٨.

٥ ـ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٠. المتقي الهندي، كنز العمال، ٤٨/١٢.

٦ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٦/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤١٩/٥.

معمر بن المثنى ، والزبير بن بكار ، إذ انفرد كل منهم برواية واشتركوا في بعض الروايات ، لكن لم نستطع تحديد المصدر الرئيسي الذي جاءت عن طريقه هذه الروايات ، لاسيما ان أغلبها جاء بدون سند ، وبقية الرواة ذكروا اسمه فقط ، دون أي تفصيل في أخباره[1].

وبقية الروايات التي نقلت عنه غامضة ، لاسيما من ناحية السند ، فالرواية التي أوردها ابن حبيب عن كسره لصنم تميم ، لم يبين من أين أخذها ، إذ لم نجدها في أي مصدر آخر ، وكذلك قوله: (أنا أكرم الناس...) ، لم تبين لنا المصادر من أين أخذت هذا القول ، أما الحديث الذي كان يصف فيه الرسول (ص) ، وهو حديث طويل ينتهي سنده بالإمام الحسن(ع) ، بالصيغة التالية: (عن جميع بن عمر العجلي حدثني رجل بمكة من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافا عن حلية النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشتهي ان يصف لي منها شيئا أتعلق به)[2] ، وكما يبدو ان سند هذا الحديث فيه غموض ، فإذا اعتبرنا ان عقب هند قد انقرض فمن هذا الذي نقل عنه الحديث ، كذلك فإن سؤال الحسن(ع) لهند ، أمر غريب حيث أنه عاش مع جده حتى بلغ عمره ثمان سنين ، وهي فترة كافية ليعرف صفات جده ، ثم لو كان نسي هذه الصفات ، فلماذا لم يسأل أباه عليا(ع) وهو أقرب من أي شخص آخر للرسول(ص)؟ وقد ورد عنه حديث في وصف الرسول(ص)[3].

والحديثان اللذان رويا عنه ، لم يرد لهما ذكر في كتب الحديث ، فقال البخاري: (روى عنه قوم مجهولون لذلك لم يؤخذ بأحاديثه وأدخله في كتاب الضعفاء)[4].

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٤/٢، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦١/٣، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٣٨/٤، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٧/١، الأربلي، كشف الغمة، ١٣١/٢.

٢ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٨٦/١، أبو الشيخ، اخلاق النبي وآدابه، ص١٩٠.

٣ ـ المقدسي، البدء والتاريخ، ١/٥ ـ ٢.

٤ ـ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٤/ق١١٦/٢.

على الرغم مما قدمناه من روايات فإن حياة هند غامضة جدا ، إذ لم تذكر الروايات شيء عنه عندما عمل الرسول(ص) في تجارة السيدة خديجة(ع) ، أو عند زواج الرسول(ص) ، وأين كان في هذه الفترة وكم هو عمره ، ومتى أسلم وموقفه من البعثة ، لاسيما ان الكتب التي اهتمت بأسماء الصحابة ، لم تذكره مع من أسلم في السنوات الثلاث الأولى ، كذلك لم نجده في أي قائمة من قوائم المهاجرين إلى الحبشة ، أو من دخل الشعب ، أو من هاجر إلى المدينة وغير ذلك ، وطيلة الفترة التي مكثها الرسول(ص) في مكة لم ترد عنه رواية واحدة ، كما ان بعض المصادر التي عدته في الصحابة ، ليس على أساس أي مشاركة في الأحداث بل استنادا إلى الروايات التي قدمناها ، فمثلا ابن خياط ذكره في طبقاته استنادا إلى حديث الوصف ، او الحديث الذي ذكرناه عن مالك بن دينار[1].

كما ان المصادر التي اهتمت بمعارك الإسلام لم تتطرق ولو بإشارة بسيطة لمشاركة هند في معركتي بدر وأحد[2] ، ولم يذكره من المصادر المتقدمة سوى مؤرج السدوسي إذ قال: (يقول بعض أهل العلم أنه شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس بالمجتمع عليه[3].

والرواية التي نقلتها المصادر في إنه قتل في معركة الجمل ، فقد انفرد بها الزبير بن بكار ، ولم يذكرها راوٍ غيره ولم ترد في كتب التاريخ العام والحوليات وغيرها[4] ،

١ . ابن خياط، كتاب الطبقات، ٩٧/١، ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣٠٠.

٢ . ابن الزبير، مغازي رسول الله، ص١٤٧ . ١٤٩، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٣٢/٢ . ٢٥١، من أشترك في معركة بدر من المسلمين، و ١٤/٣ . ٤٤، من أشترك من المسلمين في معركة احد، الواقدي، المغازي، ١٥٢/١ . ١٧٢، الذين اشتركوا في معركة بدر من قريش ومواليهم وحلفائهم ومن الأنصار، والذين إشتركوا في معركة أحد ص١٩٩ . ٣٠٠، لابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٥/٣.

٣ . حذف من نسب قريش، ص٥١.

٤ . ذكرت المصادر التي سندرجها أدناه أسماء من توفي سنتي، ٣٦، ٣٧ هـ من الصحابة، ومن توفي منهم في خلافة الإمام علي عليه السلام، ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ٢٠٨/١، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٦، ٢٢٠، ابن حبيب، المحبر، ص٢١٩، ٢٩٢، ٢٩٣، الغلابي، معركة=

وكذلك الحال مع رواية وفاته في طاعون البصرة، لم يرد له ذكر في الصحابة الذين توفوا في طاعون البصرة سنة سبع وستين للهجرة[1]، أو الطاعون الذي وقع سنة ست وثمانين[2].

واستنادا على ما تقدم فإن هناك الكثير من التساؤلات التي يمكن ان تثار حول وجود هند بن أبي هالة، من هذه التساؤلات لماذا لم تهتم المصادر بأخباره؟، بالرغم من إنه ربيب الرسول(ص)، وابن زوجته الأولى السيدة خديجة، وأخو فاطمة والقاسم (ع) أبناء الرسول(ص)، بينما نجد هذه المصادر اهتمت بكل ما له علاقة بالرسول(ص)، فنجدها فصلت بدرجة كبيرة في أخبار زيد بن حارثة(رض)، ربيب الرسول(ص)، واهتمت هذه المصادر بأخبار أبناء أم سلمة زوجة الرسول(ص)، ويمكننا ان نستدل على ذلك بمطالعة أي كتاب أهتم بالسيرة أو صدر الإسلام.

=الجمل، لم يرد في هذا الكتاب ذكر لهند، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٤٦/٤، من توفي من الصحابة سنة ٣٦هـ، ٥٧٦/٤ من توفي من الصحابة سنة ٣٧ هـ، المفيد، الجمل، ص٣٥ ـ ٣٦، من شهد معركة الجمل من المهاجرين والأنصار، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص٨٤ من قتل في معركة الجمل مع الإمام علي(ع)، الذهبي، دول الإسلام، ١٦/١ ـ ١٧، الذهبي، العبر، ١٩/٥، من شهد صفين من البدريين مع الإمام علي(ع)، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٧٨/٢ ـ ٢٧٩، من توفي في خلافة الإمام علي(ع) من الصحابة، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤٣/١ ـ ٤٤، من توفي سنة ٣٦ هـ من الصحابة، عمروش، الفتنة ووقعة الجمل من روايات سيف بن عمر، لم يرد له ذكر في هذا الكتاب.

١ ـ ينظر المصادر التي أهتمت بأسماء من توفي من الصحابة في هذه السنة، ابن خياط، تاريخ خياط بن خياط، ٣٣٦/١ ـ ٣٤٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٨٠/٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٤/١، العبر، ٥٥ ـ ٥٦، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢١٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٧٥/١.

٢ ـ ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ٣٨٢/١، من توفي من الصحابة في سنة ٨٦ هـ، ابن الكازروني، مختصر التاريخ، ص٩٢، أخبار طاعون البصرة، الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك، ص١، أخبار طاعون البصرة، الذهبي، دول الإسلام، ٤٠/١، العبر، ٧٥/١ ـ ٧٦، من توفي من الصحابة في هذه السنة، ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٠/٩، طاعون البصرة، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢١٥، من توفي من الصحابة من هذه السنة، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٣١١/٢، من توفي من الصحابة في هذه السنة.

أما بنات أبي هالة من السيدة خديجة(ع) فقد ذكرت الروايات بنتا اسمها زينب[1] ، لكن هذه البنت لم يرد ذكرها إلا عند ابن هشام في تلخيصه لسيرة ابن اسحاق ، ولم ترد عند أحد من الرواة غيره ، حتى ابن اسحاق صاحب السيرة التي اعتمدها ابن هشام[2].

وبعد هذا العرض لأزواج السيدة خديجة(ع) وأبناءها قبل الرسول(ص) ، توصلنا إلى نتيجة مفادها الشك في هذه الزيجات ، ووجود هذا العدد من الأبناء ، لكن في الوقت نفسه لا نملك دليلا قويا على نقضها ، وقد وجدنا في أحد المصادر ان الرسول(ص) تزوج بها وهي عذراء لم تتزوج غيره (روى أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما والمرتضى في الشافي وأبو جعفر في التلخيص ان النبي تزوج بها وكانت عذراء)[3]. وفي كتاب الاستغاثة لأبي القاسم الكوفي هناك رأي نصه (ان الإجماع من الخاص والعام من أهل الأنام ، ونقلت الأخبار على أنه لم يبق من أشراف قريش ومن ساداتهم ، وذوي النجدة منهم إلا من خطبها ورام تزوجها ، فامتنعت على جميعهم ، فلما تزوجت رسول الله(ص) غضبن عليها نساء قريش وهجرنها ، وقلن لها: خطبك أشراف قريش وأمراؤها ولم تتزوجي أحدا منهم ، وتزوجتي محمدا يتيم أبي طالب فقيرا لا مال له ، فكيف يجوز في نظر أهل الفهم ان تكون خديجة يتزوجها أعرابي من تميم ، وتمتنع من سادات قريش وأشرافها على ما وصفناه ، ألا يعلم ذوي التمييز والنظر أنه من أبين المحال وأفضح المقال ، ولما وجب هذا عند ذوي التحصين ثبت ان خديجة لم تتزوج غير رسول الله(ص))[4].

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٤/٤، ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣٢، النويري، نهاية الأرب، ١٧١/١٨.

٢ ـ ابن اسحاق، السير والمغازي، ص٢٤٥، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٠/٥ ـ ١١، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١١.

٣ ـ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ١٣٨/١.

٤ ـ أبو القاسم الكوفي، الإسغاثة، ص٨٣.

وعلى الرغم من ان النص المتقدم هو مجرد رأي ، لكن الأسس التي استند عليها منطقية جدا ، فقد ذكرت الروايات ان كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليها[1] ، وكان ممن خطبها وامتنعت عليه (أبو جهل عمرو بن هشام وعقبة بن نافع بن أبي معيط والصلت بن أبي ايهاب وابو سفيان بن حرب)[2]. لذلك فزواجها من تيمي غير معروف أمر غريب ، لأنه لم يكن سوى حليف لبني عبد الدار وليس لأهلها بني أسد.

كما ان اتفاق الرواة على وجود هند لا يعني بالضرورة إنها كانت متزوجة قبل الرسول(ص) ، لأن من المعروف ان السيدة خديجة (ع) كانت ثرية ، وهذا الثراء لم يكن خاصا بها بل عم الكثير من الأفراد والأسر ، وربما يكون هند ربيبا لها من أحد أقرباءها ونسبه الرواة لها ، كما هو الحال مع زيد الذي اشترته للرسول(ص) وأتخذه كالابن ، وكما هو الحال أيضا مع الإمام علي(ع) الذي أخذه الرسول(ص) من عمه وتربى في حجره وحجر زوجته ، وقد ذكر أبو القاسم الكوفي ما يؤيد هذا حيث أنه التقى بجماعة ممن أنتسب إلى هند بن أبي هالة ، وهذا يعني أنه لم ينقرض عقبهم ، كما ذكرت الروايات ودليل على كون الرواة غير متأكدين من هند وأبنائه ، وجادلهم في أنهم ينتسبون إلى هالة بنت خويلد وليس للسيدة خديجة(ع) ، وذكر لهم أنهم يجهلون نسبهم الصحيح حيث ان هالة تزوجت برجل من تميم ثم توفي عنها ، وقد بلغ هند مبلغ الرجال فالتحق بأهله بالبادية[3].

وإذا أيدنا أنها لم تتزوج قبله ، يبرز لنا تساؤل ، هو كيف بقيت السيدة خديجة(ع) حتى بلغت ثمانية وعشرين عاماً بدون زواج؟ على الرغم من ان تقاليد المجتمع كانت تقضي بالزواج المبكر ، لاسيما إذا كانت المرأة عندها ما يميزها على

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٣/١، الكلاعي، الاكتفاء، ١٩٩/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩١/٢.

٢ ـ المجلسي، بحار الأنوار، ٢٣/١٦.

٣ ـ أبو القاسم الكوفي، الإستغاثة، ص٨٠ ـ ٨١.

غيرها ، كالجمال والنسب والثراء وقوة الشخصية.

وهذا تساؤل منطقي جدا ، والإجابة عليه تحتاج إلى أدلة تؤيده ، لم نتمكن من إيجادها ، لكن على الرغم من ذلك يمكن القول ان ما نقلتة الروايات في كون السيدة خديجة(ع) ، كانت تتمتع بشخصية قوية ومميزة عن بقية النساء ، أهلتها ان تؤثر بصورة كبيرة في حياة الرسول(ص) ، يجعلنا نفكر في أنه ليس من المستحيل ان تبقى بدون زواج حتى تزوجت من الرسول(ص) ، فهي أصغر أخوتها قتل أبيها في حرب الفجار أو بعدها ، وكذلك أخوتها ولم يبق أحد منهم له تأثير عليها ، فاضطرت للعمل في مجال التجارة ، وهذا العمل كان بحاجة إلى التفرغ التام لإدارته ، كما يمكن القول ان مميزاتها التي ذكرتها الروايات ، جعلتها تختلف عن بقية النساء ، إذ ربما كانت تبحث عن شخص كُفئً لها ، لم تجده طيلة تلك الفترة في من عرفتهم أثناء العمل بالتجارة ، ولم يتحقق هذا الأمر إلا بعد تعرفها على الشاب الهاشمي الصادق الأمين ، وهو ما رسمته لنفسها زوجا تربط حياتها به.

تجارة السيدة خديجة(ع)
وعمل الرسول(ص) في هذه التجارة

كان النشاط الاقتصادي السائد في مكة هو التجارة، نتيجة لطبيعة المنطقة الصحراوية وعدم وجود مصادر أخرى للرزق، ونشطت هذه التجارة مع الاتفاقيات التي عقدها هاشم وإخوانه من بعده، مع حكام المناطق المجاورة للجزيرة.

وعرف عن السيدة خديجة(ع) انها كانت تاجرة، قبل ان يعمل الرسول(ص) معها، إذ مارست هذا النشاط كما مارسه الرجال المكيون، لكن الملاحظة المهمة هنا هي إنها كانت امرأة ومع ذلك عملت في هذا المجال، ويبدو أنها كانت تمتلك صفات شخصية أهلتها لهذا العمل، يُزادُ على ذلك طبيعة الحياة التجارية في مكة، التي جعلت العمل بالتجارة أمراً ميسوراً حتى بالنسبة للنساء، إذ ان المعروف عن قريش كانت ترسل قوافل تجارية مشتركة، لذلك من الممكن للنساء الثريات إرسال أموالهن مع هذه القوافل، مع وجود وكلاء يقومون على خدمة هذه الأموال، وتحدثنا الروايات التاريخية بأن هناك مجموعة من النساء عملن بالتجارة، وتذكر ان أسماء بنت مخربة (أم أبي جهل)[1]، تعمل ببيع العطور التي يجلبها لها ابنها عبد الله بن أبي ربيعة من اليمن[2]، وكانت قيلة أم أنمار تعمل بالتجارة[3]، وهالة بنت خويلد

---

١ ـ وهي أم أبي جهل (عمرو بن هشام) وكانت عند هشام بن المغيرة ثم طلقها فتزوجها أخوه أبو ربيعة فأنجبت له عبد الله وعياشا أخوان أبي جهل لأمه وقد أسلموا في عام فتح مكة سنة ثمان للهجرة.

٢ ـ الواقدي، المغازي، ١/٧٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/٣٠٠ ـ ٣٠١؛ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣١٧ ـ ٣١٨.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ٣١٧.

أخت السيدة خديجة(ع) كانت تبيع الأدم في مكة[1].

وقد يكون سبب ذلك هو ان مجتمع مكة كان أكثر تحضرا من بقية مجتمعات الجزيرة العربية ، كنتيجة طبيعية لمجتمع يمارس التجارة ، تفد عليه العديد من الثقافات مع التجارة الداخلة اليها ، وتبع هذا الأمر تطور مكانة المرأة في هذا المجتمع ، فاشتركت النساء في كثير من نشاطاته ، وأهم هذه النشاطات هي التجارة التي لم تبق حكرا على الرجال.

مصادر أموال السيدة خديجة وإدارة هذه الأموال

لم تبين الروايات من أين حصلت السيدة خديجة على أموالها ، وهذا ناتج عن كون الروايات لم تهتم إلا بحياتها قبيل ارتباطها بالرسول(ص) ، ومن الممكن القول إنها ورثت هذه الأموال من أسرتها ، وكما قدمنا فإن أباها وأثنين من إخوتها قتلوا في حرب الفجار ، فورثت جزءاً من هذه الأموال من عائلتها ، لاسيما ان خويلد لم يبقَ من ورثته غير نوفل والسيدة خديجة(ع) ، وقد نستدل على ثراء هذه الأسرة الحالة الاقتصادية التي كان عليها حكيم بن حزام ، إذ كان من التجار المعروفين والمعدودين في مكة[2]. وإذا عرفنا إنها كانت تدير أموالها بنفسها ، فإن هذا يقودنا إلى التأكيد على الرأي المتقدم ، إذ لو كانت تملك من يقوم على تجارتها لما عملت بنفسها.

أما الآراء التي تذكر انها ورثت هذه الأموال عن أزواجها[3] ، فهي غير دقيقة وتفتقد إلى الموضوعية ، لأن الروايات لا تذكر لنا ان هؤلاء أغنياء ، وحتى لو كان أحدهم من بني مخزوم الأثرياء ، فهذا لا يعني انه كان غنياً ، ففي رواية ان صيفي بن أبي رفاعة بن عابد عندما أسره المسلمون في معركة بدر ، لم يكن عنده مال

---

١ - ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٣٩ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٢١٢/٩.

٢ - ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ٣٧١/١.

٣ - ينظر مثلا بودلي ، الرسول ، ص٤١ ، دور منغم ، حياة محمد ، ص٤١.

يفك به أسره فمكث عند الذي أسره ثم أطلقه[1] ، وصيفي هذا زوج هند بنت عتيق وهذا يدلل على مدى فقر هذه العائلة.

ولو نظرنا إلى قوانين الوراثة في تلك الفترة ، لوجدنا ان الزوجة لا ترث أي شيء ، ويأخذ أهل الزوج كل الأموال التي تركها ولدها ، ففي رواية ان امرأة عبد الرحمن بن ثابت عندما توفي زوجها ، أخذ أبناء عمه الميراث ولم يتركا لامرأته شيئا ، وكانوا لا يورثون النساء ولا الصغير ، فجاءت زوجته (أم كحة) للرسول(ص) واشتكت الأمر ، فطلب من الورثة ان ينتظروا فانصرفوا ، وبعد ذلك نزلت آيات المواريث بقوله تعالى: (للرِّجَال نَصيبٌ ممَّا تَرَكَ الْوَالدَان وَالْأَقْرَبُونَ وَللنِّسَاء نَصيبٌ ممَّا تَرَكَ الْوَالدَان وَالْأَقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ منْهُ أَوْ كَثُرَ نَصيبًا مَفْرُوضًا)[2] ، ونزلت بعدها آيات أخرى تفصل في الإرث ثم نزلت (يُوصيكُمُ اللَّهُ في أَوْلَادكُمْ للذَّكَر مثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْن)[3] ، كما ان هناك روايات تشير إلاّ ان الزوجة قد تنتقل مع بقية الأموال إلى الابن الأكبر[4] ، وله الحق في الزواج منها أو تفتدي نفسها منه بدفع بعض الأموال ، وروي عن عبد الله بن عباس(رض) إنه قال: (كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، ان شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاؤوا زوجوها ، وإن شاؤوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها) ، فنزلت الآية (يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لَا يَحلُّ لَكُمْ ان تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لتَذْهَبُوا ببَعْض مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إلَّا ان يَأْتينَ بفَاحشَة مُبَيِّنَة وَعَاشرُوهُنَّ بالْمَعْرُوف فَإنْ كَرهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى ان تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فيه خَيْرًا كَثيرًا)[5].

وحتى لو افترضنا جدلا ان السيدة خديجة(ع) ورثت الأموال عن هؤلاء ، فهي ليست حرة في التصرف بها ، لاسيما ان الروايات ذكرت إنها أنجبت أبناء من

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٠٢/١.

٢ ـ سورة النساء، الآية ٧.

٣ ـ سورة النساء، الآية ١١.

٤ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، الالوسي، روح المعاني، ٢٤٢/٤.

٥ ـ البخاري، صحيح البخاري، تفسير سورة النساء، الآية ١٩.

أزواجها ، وبالتأكيد فإن هؤلاء لهم حصة في تلك الأموال ، ولا يحق لها ان تستأثر بالأموال دونهم ، فضلا عن ان تعمل بها ما تشاء أو تعطيها للرسول(ص) ، وتنفقها على الدعوة الإسلامية ، وهي ليست أموالها ولأبنائها فيها حصة ، وكيف نتصور ان النبي(ص) قبل هذه الأموال منها وهي ليست لها ، وإن كانت قد أعطت لهؤلاء الأبناء حصصهم ، لكان بإمكان هند بنت عتيق إرسال فداء زوجها ، عندما أسر في معركة بدر بدلا من بقائه في الأسر ، لأنه لا يمتلك ما يفدي به نفسه.

أما الكيفية التي كانت تدير بها هذه الأموال فلم تبين الروايات ما يوضح هذه المسألة ، لكنها تقول إنها كانت ترسل الأمناء في تجارتها[1] ، وقد ذكرت الروايات بعض من أسماء الذين عملوا معها ، إذ كان غلامها ميسرة يذهب مع القوافل التجارية لخدمة أموال السيدة خديجة(ع)[2] ، وهو نفسه الذي رافق الرسول(ص) في رحلته إلى الشام بأموالها[3] ، كما ذكرت الروايات أسماً آخراً عمل معها في تجارتها وهو أحد أقربائها أسمه خزيمة بن حكيم البهزي[4] ، زيادة على عمل الرسول(ص) معها ، وهذا يدل على ان هناك الكثير من الرجال عملوا في هذه التجارة ، لأن الروايات لا تذكر لنا إنها كانت تخرج بنفسها لممارسة هذا العمل ، وفي رواية ان حكيم بن حزام كان يشتري لها بعض السلع من سوق تهامة القريب[5] ، وربما كان يعمل معها في تجارة مستمرة.

على الرغم من قلة المعلومات عن هذا الأمر ، لكن من الممكن القول إنها

---

١ ـ ابن اسحاق، السير والمغازي، ص٨١، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٠/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦/١.

٢ ـ لم تفصل لنا الروايات في أخباره إذ لم يرد عنه في الروايات سوى خروجه مع الرسول(ص) في تجارة السيدة خديجة (ع) ال سوقي حباشة وبصرى.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٢/١.

٤ ـ ابن الأثير، أسد الغابة، ١٣٤/٢.

٥ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤١/٣، ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٣١٨.

اعتمدت على النظام التجاري السائد في مكة ، والقائم على القوافل التجارية المشتركة ، فالسلع والبضائع التي تتاجر بها كانت تشتريها وترسلها مع القوافل الذاهبة للتجارة ، وتكلف أحد الأشخاص بمرافقة الأموال والقيام عليها ، ونفس هذا الشخص تكلفه بشراء بعض السلع لتبيعها في مكة ، وتباشر عملية البيع بنفسها ، حسب ما تذكر الروايات ، وهذا ما ميزها على غيرها ، كونها امرأة وهذا العمل محصور بالرجال ، والسبب في ذلك إنها كانت تتمتع بنضوج عقلي ومكانة اجتماعية ، أهلتها للقيام بهذا العمل[١] ، لكن في الوقت نفسه كانت تبحث عن شخص تثق به لمساعدتها في إدارة هذه الأموال ، ووجدت ما تبحث عنه عندما التقت بمحمد(ص) ، فهو شاب في بداية حياته العملية ، لم يكن من الأثرياء المنعمين بثروات أسرهم ، بل هو مجرد شاب يبحث عن عمل يديم به حياته ، وهو في الوقت نفسه من ذوي السمعة الطيبة في مجتمع مكة ، من أسرة حازت كل الفضائل ولها تاريخ مشرف في خدمة الكعبة وزوارها.

العمل المشترك بين الرسول(ص) والسيدة خديجة (ع)

قبل ان يعمل الرسول(ص) مع السيدة خديجة اكتسب خبرة تجارية أهلته للعمل معها ، لأنه نشأ يتيما في كنف جده وعمه ، وكان محتاجاً لممارسة العمل من أجل إعالة نفسه ، وتكوين شخصية مستقلة غير مرتبطة بالآخرين ، فبعد وفاة جده عبد المطلب ، أختار عمه أبا طالب لكي يعيش معه ، وذلك لأنه رأى عطفه عليه ورحمته به[٢] ، وقد قام أبو طالب بالعناية بمحمد(ص) عناية كبيرة ، إذ تذكر الروايات أنه كان يحبه حبا شديدا لا يحبه لأولاده[٣] ، فنشأ النبي (ص) في اسرة أبي طالب كأحد

---

١ ـ قطب، خديجة بنت خويلد (رض)، ص١٨.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١١٩/١.

٣ ـ ابن أسحاق، السير والمغازي، ص٦٩، الصنعاني، المصنف، ٣١٨/٥، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١١٩/١.

أفرادها ، وتعلم في هذه الأسرة على طبيعة العمل في مكة ، إذ كان أبو طالب يعمل بالتجارة في بيع العطور[1] ، لكنه لم يكن غنيا مثل بقية أثرياء قريش ، وهو في الوقت نفسه لم يكن مملقا كما تحاول بعض الروايات تصويره ، ففي رواية عن الواقدي (ان أبا طالب كان مقلا بالمال ، وكان له قطعة من الإبل يستطيع ان يعيش منها)[2].

ويبدو ان أبا طالب كان يفكر في تدريب الرسول(ص) على العمل التجاري في فترة مبكرة من حياته ، لذلك أخذه معه في إحدى سفراته التجارية إلى الشام ، وهو في الثانية عشر من عمره[3] ، وهذه الرحلة المبكرة هيأت للرسول(ص) الإطلاع على طبيعة الحياة خارج مكة ، وتعرف على العديد من الديانات والثقافات أثناء هذه الرحلة ، وتعرف على طبيعة العمل التجاري ، ومن خلالها تهيأ لدخول ميدان العمل. ورغم ان الروايات لا تفصل كثيرا في كيفية دخول الرسول(ص) للعمل ، إلا إنها ذكرت إنه ورث عن أبيه بعض الأموال ، منها خمسة جمال وقطعة من غنم[4] ، على الرغم من ان هذا المال كان قليلا ، إلا إنه كان كافيا للبدء بعمل بسيط.

ويبدو أنه عمل بهذه الأموال منذ فترة مبكرة بالتجارة ، لذلك أطلق عليه لقب الأمين قبل ان يعمل في تجارة السيدة خديجة(ع) ، وهذا اللقب يقترن بالعمل التجاري ، ولو أخذنا الرواية التي تقول ان الرسول(ص) التقى بقس بن ساعدة الأيادي (وهو ممن كانوا يدينون بالديانة الحنيفية ديانة إبراهيم الخليل) في سوق عكاظ ، وسمع كلامه[5] ، يتضح لنا انه كان يذهب إلى الأسواق التجارية القريبة.

وذكر ابن عبد البر رواية تعرفنا على الفترة التي ابتدأ بها عمله (فصار في حجر

---

١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٢٠/١ ، أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ٢٩٠/١ ، ابن الجوزي، الوفا ، ١٣٠/١.

٢ - البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٣/٢.

٣ - البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٣/٢ ، الفاسي، شفاء الغرام، ٩٠/٢.

٤ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٢١/١.

٥ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٢٦/١.

عمه حتى بلغ خمس عشرة سنة وكان أبو طالب يحبه ثم أنفرد بنفسه)[1] ، وهذه الرواية تقودنا إلى معرفة المدة التي ابتدأ فيها الرسول(ص) العمل ، وهي فترة مبكرة بالتأكيد ، لكنها تلائم وضعه الاجتماعي إذ كان يتيما وبحاجة إلى العمل ، يزاد على ذلك الوضع المادي لعمه أبي طالب ، لذلك استمر بعمله هذا ، وكان يتنقل بين الأسواق القريبة لمكة ، وهذا ما تؤكده الرواية التي وردت عن حكيم بن حزام ، في انه التقى بالرسول(ص) في سوق حباشة ، وأشترى منه أحد أنواع الأقمشة[2].

كما ورد في بعض الروايات ان الرسول(ص) كان يعمل برفقة أحد الأشخاص ، وهذا الشخص ينتمي إلى بني مخزوم ، وقد دخل على الرسول(ص) عند فتح مكة ، فقال له: (كنت شريكي لنعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري)[3] ، وأسم هذا الشخص هو عبد الله بن السائب المخزومي[4] ، ثم وردت رواية أخرى مفادها ان

---

١ ـ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٥٥٧٠/١٥، المسعودي، مروج الذهب، ٨٢/١.

٢ ـ ابن اسحق، السير والمغازي، ص٨١، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٨،١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٠/٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٩/٢، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٢ ـ ١٣، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٢/٢، الكلاعي، الاكتفاء، ١٩٦/١، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٣/٢ ـ ٢٩٤، السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢٦/١.

٣ ـ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢٢/٩.

٤ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤٤٥/٥، البخاري، التاريخ الكبير، ٨/٥ ـ ٩، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٤٣/٢، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٤٣، أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١٢٤/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٥٤/٣، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ابن حجر، الإصابة، ٣١٤/٢، السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢٢٥/١، وذكرت مصادر أخرى ان اسمه السائب بن أبي السائب وأبنه أسمه عبد الله وروى عنه، أبو داود، سنن أبي داود، ٢٦٠/٤، ابن عبد البر، الدرر، ص١١٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣١٥/٢، وذهبت مصادر أخرى إلى ان اسمه السائب بن صيفي بن عائذ بن عبد الله بن مخزوم، ابن الجوزي، الوفا، ١٤٢/١، المقريزي، إمتاع الأسماع، ٨/١ ـ ٩، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥١/١، وذكر الذهبي أنه صيفي بن عائذ، ويكنى أبي عبد الله، معرفة القراء الكبار، ٤٠/١ ـ ٤١، وذكرت مصادر أخرى أنه السائب بن عبد الله، أبن حنبل، المسند، ٤٢٥/٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣١٦/٢.

هالة بنت خويلد استأجرت إبلا تحمل عليها بضائعها (فكان في الإبل هو وشريك له ، فأكريا أخت خديجة فلما قضى السفر ، بقي لهم عليها شيء ، فجعل شريكه يأتيها فيتقاضى ، ويقول لمحمد: أنطلق فيقول: اذهب أنت فانما أستحي)[1].

هذه الروايات تؤيد ما ذهبنا الية في كون الرسول(ص) ، كان يعمل بالتجارة قبل عمله مع السيدة خديجة لمدة من الزمن ، كما يبدو ان تعامل بعض أفراد عائلة السيدة خديجة معه ، مثل حكيم بن حزام وهالة بنت خويلد ، قرب بين السيدة خديجة والرسول(ص). وهذا التعامل دفع السيدة خديجة إلى ان تعرض عليه العمل معها ، لذلك أرسلته إلى سوق حباشة القريب من مكة ، وهي من الأسواق الموسمية إذ لا تستمر سوى ثمانية أيام[2] ، ويبدو من خلال رواية الزهري ان الرسول(ص) كان يذهب إلى هذه السوق عدة مرات: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استوى وبلغ أشده وليس له كثير مال ، فاستأجرته خديجة بنت خويلد إلى سوق حباشة[3] ، واستأجرت معه رجلا من قريش ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت صاحبةً خيراً من خديجة ما كنا لنرجع أنا وصاحبي إلا وعندها تحفة من طعام تخبئه لنا ، واستأجرته بسقب[4] يدفعه إليه غلامها ميسرة إذا رجع من سفرة من يمينه وخلفه البركة في سفره والزيادة في الربح وما رأه من رسول الله(ص) قالت: فأرنيه ، فلما أقبلت العير أشار إليه وإذا سحابة تظله وتسير معه ، فأمرت له بسقب آخر)[5].

---

١ ـ ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ٣٧١/١، البكري، معجم ما أستعجم، ٤١٨/٢، المقريزي، إمتاع الأسماع، ٨/١، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥٢/١.

٢ ـ ذكر الفاسي إنها لم تكن من الأسواق الكبيرة حيث لا تقام في مواسم الحج بل كانت تقوم في شهر رجب، شفاء الغرام، ٢٨٣/٢.

٣ ـ حباشة بضم أوله وبالشين المعجمة على وزن فعالة ويقال حباشة دون الف ولام، سوق للعرب معروف بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة، البكري، معجم ما أستعجم، ٤١٨/٢.

٤ ـ السقب هو ولد الناقة ساعة يولد، ابن منظور، لسان العرب، ١٦٢/٢.

٥ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٢١/٢.

وهذه الرواية تبين لنا عدة أمور ، منها إنها أرادت ان تختبره في تجارة قريبة وبسيطة قبل ان تعمل معه في تجارة أكبر ، كما تقودنا إلى التعرف على الخبرة التجارية التي كان يمتلكها الرسول(ص) ، ففي البداية اتفقت معه على أجر معين ثم ضاعفته له ، بعد ان رأت نسبة الربح الكبيرة ، كما ان هذه الخبرة التجارية ساهمت في توثيق العلاقة بينهما ، وأدت إلى استمرار العمل التجاري حتى انتهى هذا التعامل بزواجهما ، كما يبدو من هذه الرواية ان الرسول(ص) عمل معها لفترة من الزمن قبل ان يذهب بتجارة كبيرة إلى الشام ، ويتضح هذا من الرواية التي رويت عن حكيم بن حزام: (كان حكيم بن حزام رجلا تاجرا لا يدع سوقا بمكة ولا تهامة إلا حضره ، وكان يقول: كان بتهامة أسواق أعظمها سوق حباشة وكنت أحضره ، وقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر فاشتريت منه بزا من بز تهامة (أي ثياب) وقدمت به مكة ، فذلك حين أرسلت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعوه إلى ان يخرج لها في تجارة إلى سوق حباشة ، وبعثت معه غلامها ميسرة فخرجا فأبتاع بزا من بز الجند وغيره مما فيه من التجارة ورجع إلى مكة فربحا ربحا حسنا وكانت تقوم ثمانية أيام)[1].

كما تقودنا الروايات المتقدمة إلى البحث في عمر الرسول(ص) ، عندما عمل مع السيدة خديجة(ع) ، من أجل معرفة المدة التي عملا فيها معا ، ففي رواية عن الزهري مفادها ان عمر الرسول(ص) عند زواجه بالسيدة خديجة(ع) ، كان إحدى وعشرين سنة[2] ، فيما ذكرت روايات أخرى ان عمره كان خمساً وعشرين[3] ، على

---

١ ـ ابن اسحق، السير والمغازي، ص٨١، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٨، ١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٠/٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٩/٢، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٢ ـ ١٣، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٢/٢، الكلاعي، الاكتفاء، ١٩٦/١، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٣/٢ ـ ٢٩٤، السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢٦/١.

٢ ـ الدميري، حياة الحيوان، ٢٥٧/٢، الدياربكري، تاريخ الخميس، ٢٦١/١، المكي، سمط النجوم، ٣٦٥/١.

٣ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٨/١.

الرغم من أننا نؤيد ان زواج الرسول(ص) بها كان عندما بلغ الخامسة والعشرين ، وذلك لان هناك شبه إجماع عليه بين الروايات ، لكننا نستفيد من رواية الزهري في أنها حددت عمره عندما عمل معها ، إذ يقول إنه تزوجها بعد عودته من رحلة تجارية إلى سوق حباشة ، والاختلاف الذي وقع بين الرواة وقع نتيجة لأن الرسول(ص) ، تزوج منها بعد عودته من إحدى الرحلات التجارية ، فظن الزهري إنها بعد عودته من سوق حباشة عندما كان عمره إحدى وعشرين عاما ، فيما ذهب غيره إلى إنه كان بعمر الثلاثة والعشرين[1] ، وفي هذا دلالة على تواصل هذا العمل ، بينما جزم عامة الرواة إنه كان يبلغ من العمر خمساً وعشرين عاما ، لأنه تزوجها بعد عودته من رحلة الشام.

ثم استمر عملهما بصورة متواصلة على الرغم من عدم وجود تفاصيل عنه ، إذ ذهب إلى سوق جرش مرة أو مرتين[2] ، وفي كل سفرة تعطيه قلوص[3] ، وهذا يدل على ان عمله التجاري معها كان منذ فترة مبكرة قبل ذهابه إلى الشام ، ويعزز هذا الرأي ما ورد في رواية الزهري (ما رأيت من صاحبة خيراً من خديجة ، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا)[4] ، وهذه الرواية تدل على أنه أنه كان يذهب بتجارتها مرات متعددة.

ثم تعددت الروايات التي تتحدث عن ذهاب الرسول(ص) إلى الشام ، حتى يتصور القارئ ان هذه الروايات تتحدث عن رحلات متعددة ، فروى محمد بن إسحاق (كانت خديجة بنت خويلد(ع) امرأة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها ،

---

١ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢٠٨/٤ ، السهيلي، الروض الأنف، ٢١٦/١ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٤٧/١ ، مغلطاي، سيرة مغلطاي، ص١٢ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٣/٢.

٢ ـ جرش بضم أوله وفتح ثانيه وبالشين المعجمة موضع باليمن، البكري، معجم ما أستعجم، ٣٧٦/٢، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٢٦/٢ ، ينظر حول الرواية، البيهقي، سنن البيهقي، ١١٨/٦ ، الدميري، حياة الحيوان، ٢٥٧/٢ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٥/٢ ، المقريزي، إمتاع الأسماع، ٩/١، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥١/١.

٣ ـ القلوص هي الشابة من الأبل بمنزلة الجارية لاالفتاة من النساء، ابن منظور، لسان الميزان، مادة قلص، ١٦٠/٢.

٤ ـ ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٦.

وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوم تجار ، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضت عليه ان يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام)[1].

كما أورد الواقدي بسنده عن نفيسة بنت منية[2] ، رواية تتحدث عن ذهاب الرسول(ص) إلى الشام (لما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة ، وليس له بمكة اسم إلا الأمين ، لما تكامل فيه من خصال الخير فقال له أبو طالب : يا بن أخي أنا رجل لا مال لي ، وقد أشتد الزمان علينا ، وألحت علينا سنون منكرة ، وليست لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيرها فلو تعرضت لها ، وبلغ خديجة ذلك فأرسلت إليه وأضعفت له ما كانت تعطي غيره ، فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم بصرى من الشام)[3].

---

١ ـ ابن الأثير، الأسد الغابة، ١٣٤/٤، ابن حجر، الإصابة، ٤٢٧/١، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٤٦٢/١، المجلسي، بحار الأنوار، ١٧/١٦.

٢ ـ هي نفيسة بنت أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي، أخت يعلى بن أمية حليف قريش، ومنية هو إسم أمها منية بنت الحارث المازنية التي تزوجت بعد ذلك خويلد بن أسد والد السيدة خديجة (ع)، وأنجبت له العوام وعدي وحزام ورقيقة، ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٨٣/٧، ابن حجر، الإصابة، ٦٦٨/٣، لكن ابن حزم ذكر ان أمها هي منية بنت جابر عمة الصحابي عتبة بن غزوان بن جابر من مازن بن منصور، وهم حلفاء بني نوفل بن عبد مناف ولم يشر إلى أنها هي التي تزوجها خويلد أو هي أم العوام وأخوانه، جمهرة أنساب، ص٣٢٩، لكن الرواية التي أوردها ابن الأثير بما تكون هي الصحيحة وذلك تبلعا للصلة الوثيقة بين نفيسة والسيدة خديجة (ع)، ذكرت المصادر ان نفيسة أسلمت وروت أحاديث عن الرسول(ص)، ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٨٣/٧.

٣ ـ ابن بكار، نسب قريش، ٣٧١/١.

ثم يروي الواقدي رواية أخرى بسنده عن نفيسة نصها(كانت خديجة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام ، فيكون عيرها كعامة قريش ، وكانت تستأجر الرجال ، وتدفع المال مضاربة ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة ، وليس له اسم بمكة إلا الأمين ، أرسلت إليه خديجة بنت خويلد تسأله الخروج إلى الشام في تجارتها مع غلامها ميسرة ، وقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطي قومك ، ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج إلى سوق بصرى فباع سلعته ، التي خرج بها وأشترى غيرها ، وقدم بها فربحت ضعف ما كانت تربح ، فأضعفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمت)[١].

ثم أوردت المصادر رواية أخرى عن عبد الله بن محمد بن عقيل نصها: (وقال أبو طالب: يا بن أخي قد بلغني ان خديجة استأجرت فلانا ببكرين[٢] ، ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطت ، فهل لك ان تكلمها ، قال:ما أحببت ، فخرج إليها فقال: هل لك ان تستأجري محمد ، فقد بلغنا أنك استأجرت فلانا ببكرين ، ولسنا نرضى لمحمد دون أربع أبكار ، قال: فقالت خديجة: لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا ، فكيف وقد سألت لحبيب قريب)[٣].

كما وردت رواية عن الزهري نصها: (كان خزيمة بن حكيم يأتي خديجة في كل عام ، وكان بينهما قرابة فأتاها ، فبعثته مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام)[٤].

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢٩/١ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، ٩٧/١ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ١٣٧/٤ ـ ١٣٨ ، أبو نعيم الأصبهاني ، دلائل النبوة ، ٢٢١/١ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٤/٣ ـ ١٥ ، ابن الجوزي ، الوفا ، ١٤٣/١ ، صفة الصفوة ، ٧١/١ ـ ٧٢ ، الكلاعي ، الاكتفاء ، ١٩٥/١ ـ ١٩٦ ، الدميري ، حياة الحيوان ، ٢٥٧/٢ ، الدياربكري ، تاريخ الخميس ، ٣٦٣/١ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ١٤٧/١ ، المكي ، سمط النجوم ، ٣٦٥/١.

٢ ـ البكر ولد الناقة وهو في الإبل بمنزلة الفتى في الناس والبكرة بمنزلة الفتاة ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة بكر ، ٢٥٠/١.

٣ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٦/٨.

٤ ـ الصنعاني ، المصنف ، ٣٢٠/٥ ، ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٣٦ ، الطبري ، =

وعلى الرغم من اختلاف ألفاظ الروايات أعلاه لكنها تتحدث عن رحلة واحدة ، والمفيد فيها هو إنها فصلت في هذه الرحلة ، إذ روى كل من الرواة جزء منها ، ولو أتينا إلى تحليل هذه الروايات نجد إنها متسلسلة ويكمل بعضها بعضا ، فرواية ابن إسحاق ليس فيها تفاصيل عن الرحلة ، بقدر ما هي توصيف لعمل الرسول(ص) مع السيدة خديجة(ع) ، والسبب الذي دفعها إلى اختياره لهذا العمل ، ومرافقة غلامها ميسرة له في هذه الرحلة ، أما روايتا الواقدي عن نفيسة بنت منية ، ففيها تفاصيل مهمة جدا ، فهي تبين لنا ان الرسول(ص) لم يذهب في تجارة إلى الشام ، على الرغم من عمله مدة من الزمن في أموال السيدة خديجة. كما إنها أكثر الروايات قربا للواقع ، لأن نفيسة كانت وثيقة الصلة بالسيدة خديجة(ع) ، لأنها أخت العوام بن خويلد لأمه ، وربما كانت تعيش عندها ، فتكون روايتها إخباراً عن الواقع وليس استنتاجاً ، فهي تنقل حديث أبي طالب مع الرسول(ص) ، وحثه على الذهاب في تجارتها بالقول: (فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك) ، وهذا يعني أنها كانت قد تعاملت معه قبل ذلك ، وقد قدمنا تفاصيل عن هذا الأمر ، والدليل على ذلك انها كانت تعرف مواهبه التجارية ، يزاد على ذلك معرفتها بصفاته كالصدق والأمانة ، وربما كان حديث أبي طالب معه قبل مدة من خروج القوافل ، حتى يتهيأ النبي(ص) للعمل معها ، أما الذي أبلغها بقول أبي طالب ، فهو أبو طالب نفسه وهذا الأمر ذكره البلاذري عندما نقل رواية الواقدي عن نفيسة (فكلمها أبو طالب في رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجهته إلى الشام)[1] ، وكذلك رواية ابن سعد عن عبد الله بن محمد بن عقيل والتي تعتبر مكملة لرواية

=تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٢/٢ ، البيهقي، دلائل النبوة، ٩٠/١ ، الطبرسي، إعلام الورى، ص٣٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١٠/٢ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٥٠/١ ، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٢/٢ ، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٤ ـ ١٥ ، مغلطاي، سيرة مغلطاي، المقريزي، أمتاع الأسماع، القسطلاني، المواهب اللدنية، ٣٨/١ ، المجلسي، بحار الأنوار، ٩/١٦ ـ ١٠.

١ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٩٨/١.

الواقدي الأولى ، إذ كلم أبو طالب الرسول(ص) في الخروج في تجارتها فوافق على الأمر ، فذهب أبو طالب إلى السيدة خديجة(ع) وطلب منها ان تعطي محمداً مالاً يتجر به ، وأشترط عليها ان تعطيه أربعة أبكار ، الأمر الذي يتناسب وكفائته التي تعرفها السيدة خديجة(ع) لأنها تعاملت معه سابقا.

أما ردها على أبي طالب (لو سألت لبغيض بعيد فعلنا فكيف وقد سألت لقريب حبيب) ، يعني أنها على معرفة وثيقة بالرسول(ص) هذه الصلة التي تكونت نتيجة لصلة القرابة التي تربطهما ، وعمله معها لفترة من الزمن.

وبعد ان كلمها أبو طالب بالأمر ، وأشترط عليها ان تعطيه ضعف ما تعطي رجل من قومه ، قبلت بالأمر وبعثت الرسول(ص) في تجارتها ، وهذا ما تبينه رواية الواقدي الأولى[1] ، أما روايته الثانية التي نقلها عن نفيسة بنت منية فهي تشبه رواية ابن إسحاق في كونها استنتاج لما حدث ، إذ أعطى صورة عامة عن عمل الرسول(ص) معها ، فيبين صفاتها أولا ، ثم ينتقل إلى وصف عمل الرجال معها من حيث كونه مضاربة ، ثم إجمال ما حدث وسؤالها له ان يخرج في مالها بناءا على طلب عمه أبي طالب المذكور في رواية الواقدي الاولى.

ومن خلال ما عرضناه من روايات تتضح لنا مسألة مهمة تحتاج إلى مناقشة وهي ما ورد في روايتي ابن اسحاق والواقدي من كون الرسول(ص) كان أجيرا في تجارة السيدة خديجة(ع). إذ ذكر ابن إسحاق في روايته إنها كانت(تستأجر رجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم) ، وفي رواية الواقدي إنها كانت(تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة) ، وورد في بعض الروايات أنها استأجرته وأرسلته ، أي أنه كان أجيرا في عمله معها ، ثم أشار ابن القيم الجوزية إلى هذا المعنى إذ قال: (إنما يحفظ عنه أنه أجر نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم ، وأجر نفسه من خديجة في سفره بمالها إلى الشام ، وإن كان العقد مضاربة ، فالمضارب أمين أجير ، ووكيل وشريك ، فأمين

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢٩/١.

إذا قبض المال ، ووكيل إذا تصرف به ، وأجير فيما يباشره من العمل ، وشريك إذا ظهر الربح)[1].

وعلى الرغم من ان الرسول(ص) لم يكن ثريا لكن في الوقت نفسه لم يكن بحاجة ماسة ليكون أجيرا عند الآخرين ، فرأي ابن القيم في إنه أجر نفسه في رعاية الغنم غير دقيق ، لأن الرسول(ص) عندما عمل في رعاية الغنم ، كان يرعاها لأهله كما هي طبيعة المجتمع الصحراوي في تلك الفترة ، إذ يشترك أفراد الأسرة في العناية بالإبل والأغنام ، وهذا ما ورد عن الرسول(ص): (بعث موسى عليه السلام وهو راعي غنم وبعث داود عليه السلام وهو راعي غنم وبعثت وأنا أرعى غنم أهلي بإجياد)[2] ، وقد كان جزء من هذه الغنم ملكا له.

أما مسألة كونه كان أجيرا في مال السيدة خديجة(ع) كما يرى ابن القيم ، فهو رأي يحتاج إلى دليل لأن الروايتين اللتين ذكرناهما لا تدلان على ذلك ، إذ جاء فيهما لفظ المضاربة وهو يعني ان تعطي المال لغيرك يتجر به فيكون له سهم معلوم من الربح[3] ، وقد يكون الربح مشتركا[4] ، ويعزز رأينا هذا ما روي عن الصحابي عمار بن ياسر(رض) إنه كان يغضب على من يقول (استأجرته وأرسلته)[5] ، ونقل عنه إنه كان يقول: (وأنه ما كان مما يقول الناس إنها استأجرته بشيء ولا كان أجيرا لأحد قط)[6]. كما ان رواية ابن اسحاق التي استند عليها ابن القيم والتي وردت فيها كلمة تستأجر أوردها الطبري بصيغة أخرى وهي (كانت خديجة بنت خويلد بن

---

١ ـ ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ، ٥٧/١.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢٦/١ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٤٤ ، أبو نعيم الأصبهاني ، دلائل النبوة ، ٢٠٦/١ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١٨٣/١٤.

٣ ـ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ضرب ، ٥٢٠/٢.

٤ ـ الصفوري الشافعي ، نزهة المجالس ، ١٦٧/٢.

٥ ـ ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٤١.

٦ ـ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ١٦/٢.

أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستتجر الرجال في مالها.....)[1] ، والفرق بين تستأجر وتستتجر كبير ، لأن الثانية تأتي من التجارة أي البيع والشراء وليس الاستئجار[2]. كما أورد ابن حزم الأندلسي ما يؤيد ذلك ، إذ قال: (وكانت قريش أهل تجارة لا معاش لهم غيرها ، وفيهم الشيخ الكبير الذي لا يطيق السفر ، والمرأة والصغير واليتيم وذوي الشغل والمرض ، فكانوا يعطون المال مضاربة لمن يتجر به بجزء من الربح ، فأقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في الإسلام وعمل به المسلمون)[3].

كما ان الرواية التي وردت عن جابر بن عبد الله الأنصاري(رض) تؤيد كون الرسول(ص) عمل شريكا في هذه التجارة: (وكانت خديجة بنت خويلد امرأة لها شرف..... ، وكانت تبضع البضائع مع عبيد لها ومضاربين إلى الشام في التجارة..... ، ولما انتهى إليها عن رسول الله (ص) ما قد فشى واستفاض عنه به الخبر ، أرسلت إليه في ان تعطيه مالا يتجر لها به إلى الشام)[4].

---

١ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ٢٨٠.

٢ ـ تجر يتجر تجرا وتجارة باع وأشترى وكذلك أتجر وهو أفتعل ابن منظور، لسان العرب، مادة تجر، ١/ ٣١٢.

٣ ـ ابن حزم، المحلى، ٨/ ٢٤٧.

٤ ـ النعمان المغربي، شرح الاخبار، ١/ ١٨٣.

لقاء الرسول(ص) ببعض الرهبان

عند دراستنا لعمل الرسول(ص) في التجارة ، برزت لدينا مسألة لقاءه ببعض الرهبان أثناء هذه الرحلات ، وهي بحاجة للمناقشة لاسيما لقاءه بالراهب بحيرا ، وقد بنيت على هذا اللقاء العديد من الآراء ، خرجت في كثير من الأحيان عن حدود العقل والمنطق ، ولم تتناولها أقلام الباحثين بصورة دقيقة ، وسوف نناقش كل الروايات المتعلقة بهذا الأمر.

وفي بداية هذا الموضوع نتطرق لرأي أحد المستشرقين في تأثير هؤلاء في الرسول(ص) ، الذي يتضمن إنكار لنبوة محمد(ص) وأثر ورقة بن نوفل والسيدة خديجة(ع) في خلق هذه النبوة: (إن محمدا لم ينزل عليه وحي في غار حراء ، وإنما خيل له ذلك بسبب الإعداد والتهيئة ، التي قام به نحوه ورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد ، وكان نص ما كتبه ملحمة خالدة ، سلخت من عمر الطاهرة وورقة عقدا ونصف عقد من الزمان في الإعداد والتصنيع والتأهيل ، حتى طرح ذلك العمل الصبور والدؤوب المتأني والمخطط المرسوم ثمرته الناضجة ، وحدثت واقعة غار حراء بصورة فذة معجبة ، أدهشت حتى فاعليها ورقة وخديجة)[1].

ثم يعود صاحب هذا الرأي إلى ذكر الأسباب ، التي حدت بالسيدة خديجة إلى الخوض في مثل هذه التجربة (تجربة تصنيع نبي) ، فيقول: (لقد كانت تعرف القراءة والكتابة ، وابن عمها ورقة بن نوفل كان قد ترجم التوراة والإنجيل إلى اللغة العربية ،

---

١ ـ احمد إبراهيم ، موسى وعيسى ومحمد ليسوا أنبياء الله ، جريدة الأهرام ، العدد ٤١٨١٥ في ٢٠٠٠/٦/١ .

وحفظت خديجة منهما ما حفظت ، وعرفت معانيهما من أساتذتها ورقة وبحيرا الراهب وغيرهما. وعرفت ان شخصاً مأمولاً منتظراً أي رسولاً سيأتي ، وإن زمان مجيئه قد حان ربما يكون من اليهود ، وربما يكون من العرب ، فأصرت على ان يكون ذلك المأمول المنتظر من العرب ، ووجدت في صفات محمد ما يؤهله لأن يكون هو ذلك الرسول المأمول ، ووافقها على ذلك ورقة وبحيرا ، ونصحاها بالتزويج منه ، ليكون موضوع التجربة (تصنيع نبي) ، فتزوجته وعملت على تخريجه من شواغل الحياة ، لتقوم هي بإعداده وتصنيعه)[1].

قد يتعجب المرء وهو يقرأ هذه الآراء ، لما فيها من ركاكة وابتعاد عن العقل السليم ، وعن أي منطق ديني أو فكري ، لكنها أثيرت وما زالت تثار ، ويجب ان ينبري لها الباحثون من اجل التوصل إلى الأساس الذي استندت إليه ، ونحن نعرف ان بعض المستشرقين حاولوا من خلال طرح هكذا أراء ، تقديم صورة مشوهة عن الإسلام لأسباب سياسية أو دينية ، من أجل التشكيك بالعقيدة الإسلامية من خلال إنكار نبوة محمد (ص) ، غير ان هذا لا يعني ألا نكون موضوعيين في تعاملنا مع هذه المسالة ، إذ ان منهم من أنصف الإسلام ودافع عنه ، فضلا عن ان المستشرقين وجدوا في بعض روايات السيرة النبوية ، مجالا خصبا لطرح هذه الآراء ، وسينصب موضوع هذا البحث على عرض هذه الروايات ومناقشتها ، سندا ومتنا لاسيما اسم بحيرا الراهب ، وسنترك موضوع ورقة عند مناقشة نزول الوحي على الرسول(ص) ، وذكر آراء المستشرقين فيها ومحاولة الرد عليها بطريقة علمية.

وفي هذا الموضوع لدينا مجموعة من الروايات:

١ . ذكرت أغلب كتب السيرة الأولية والمتأخرة رواية تحت عنوان لقاء النبي(ص) بالراهب بحيرا ، ونص هذه الرواية (ان أبا طالب هو الذي يلي أمر

---

١ - احمد إبراهيم ، موسى وعيسى ومحمد ليسوا أنبياء الله ، جريدة الأهرام ، العدد ٤١٨١٥ في ٢٠٠٠/٦/١ .

الرسول(ص) وكان معه ، ثم ان أبا طالب خرج في ركب من قريش إلى الشام تاجرا ، فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به رسول الله(ص) فرق له أبو طالب ، فقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه ابدا ، فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة مذ قط الدهر ، راهب إليه يصير علمهم عن كتاب يتوارثونه كابرا عن كابر ، فلما كان ذلك العام مروا ببحيرا ، فصنع لهم طعاما كثيرا ، وذلك إنه رأى رسول الله(ص) وهو في صومعته ، وعليه غمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، فنظر إلى الغمام حين أظل الشجرة ، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله(ص) حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرا رسول الله(ص) جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء في حاله في يقظته وفي نومه ، فجعل رسول الله(ص) يخبره فيجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال بحيرا لعمه أبي طالب ما هذا الغلام منك؟ قال: أبني ، فقال له بحيرا: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حياً ، قال: فأنه ابن أخي ، قال: فما فعل أبوه ، قال: مات ، قال: صدقت أرجع به إلى بلدك ، وأحذر عليه يهود ، فوالله لأن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شراً ، فانه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده ، فخرج به عمه سريعاً حتى أقدمه مكة)[1].

وتذكر روايات أخرى ان عمر النبي(ص) حينذاك كان اثني عشرة سنة ، وكان معه في هذه الرحلة أبو بكر وبلال بن رباح (قال لهم بحيرا: وقد أخذ بيد الرسول(ص) هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا بعثه رحمة العالمين ، فقال

---

١ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٨٠/١- ١٨٤ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٥٣/١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٢٧٧/٢- ٢٧٨ .

له أشياخ قريش: ما علمك قال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجد إلا لنبي ، وإني لأعرفه بخاتم النبوة بأسفل من غضروف كتفيه مثل التفاحة ، ثم جلسوا إلى شجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، ثم أمرهم ألا يذهبوا به إلى الروم لأنهم ان عرفوه قتلوه ، ثم أتى النفر الذين أرادوا قتله ، وهم سبعة فقالوا له: ان هذا النبي الذي بلغنا انه خارج في هذا الشهر فأرجعهم عنه ، ثم بايعوه وأقاموا معه ، فأتاهم فقال: أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قال أبو طالب: أنا ، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب ، وبعث معه بلال وزوده بالكعك والزيت)[١].

وأغلب المصادر ذكرت ان بحيرا كان راهباً نصرانياً ، وقال المسعودي: ان اسمه جرجيس وهو من عبد القيس ، وإن عمر النبي(ص) عند خروجه إلى الشام كان تسع سنين[٢] ، لكن الروايات التي وردت عن الزهري ذكرت إنه كان يهودياً من أهل تيماء[٣].

٢ - الرواية الثانية جاءت عن طريق ابن جريج عن عطاء عن عبد الله بن عباس(رض) من دون ان تذكر سلسلة السند حتى ابن عباس ، ونصها:(إن أبا بكر صحب النبي (ص) وهو ابن ثماني عشرة سنة ، والنبي ابن عشرين سنة ، وهما يريدان الشام في تجارة ، حتى إذا نزلا منزلاً فيه سدرة ، قعد النبي(ص) في ظلها ، ومضى أبو بكر إلى راهب اسمه بحيرا يسأله عن شيء ، فقال له: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال له: هذا والله النبي ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم إلا محمد ، فوقع في قلب أبي بكر

---

١ - الترمذي، سنن الترمذي، ٢٥١/٥ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٧٩/٢ ، المسعودي، مروج الذهب، ٨٩/١- ٩٠، أبو نعيم، دلائل النبوة، ٢١٨/١- ٢١٩ ، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٦١٥/٢ ، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٣٨، الفاسي، العقد الثمين، ٢٢٢/١- ٢٢٣

٢ - المسعودي، مروج الذهب، ٢٨٦/٢ ،ابن حجر، الإصابة، ١٧٦/١- ١٧٧.

٣ - الصنعاني، المصنف، ٣١٨/٥ ، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٦٦/١ ، ابن حجر، الإصابة، ١٧٦/١- ١٧٧ .

اليقين والتصديق ، فلما نبئ النبي (ص) أتبعه أبو بكر)[1].

٣ ـ الرواية الثالثة أوردتها المصادر عن كعب الأحبار يقول فيها: (وذلك انه كان تاجرا بالشام ـ يقصد ابا بكر(رض) ـ فرأى رؤيا فقصها على بحيرا الراهب ، فقال له: من أين أنت؟ ، فقال: من مكة ، فقال: من أيها؟ ، قال: من قريش ، قال: فأي شيء؟ ، قال: تاجر ، قال ان صدق الله رؤياك ، فأنه يبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته ، وخليفته من بعد وفاته ، فأسر ذلك أبو بكر في نفسه ، حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه فقال: يا محمد ما الدليل على ما تدعي ، قال: الرؤيا التي رأيت بالشام ، فعانقه وقبل بين عينيه ، وقال: اشهد ان لا اله إلا الله ، واشهد انك رسول الله ، قال أبو بكر :ومابين لابتيها أشد فرحا من سرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامي)[2].

٤ ـ الرواية الرابعة تشير إلى لقاء الرسول(ص) راهباً آخر اسمه نسطورا ، عند ذهابه بتجارة السيدة خديجة(ع) إلى الشام: (فنزل رسول الله(ص) في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة[3] ، فقال له: من هذا الرجل تحت الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي)[4] ، وبعد هذا اللقاء توجها إلى سوق بصرى ليبيعوا تجارتهم ، ويشتروا سلعاً أخرى ، فوقعت مشادة بين رسول الله(ص) وبين رجل من اليهود حول البيع والشراء ، فقال الرجل اليهودي لرسول الله(ص): أتحلف باللات والعزى ، فقال الرسول(ص) ما حلفت بهما قط ، واني لأمر فأعرض

---

١ - ابن الأثير، أسد الغابة، ١٩٩/١، الواحدي، أسباب النزول، ص٢٥٤- ٢٥٥، السيوطي، خصائص النبوة، ٧٢/١، ابن حجر، الاصابة، ١٧٦/١- ١٧٧.

٢ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٨/٣٠ ـ ٢٩، السيوطي ، الخصائص ، ٧٢/١ .

٣ - ميسرة غلام للسيدة خديجة كان يرافق رسول الله عند ذهابه بتجارتها .

٤ - ابن هشام، السيرة النبوية، ١٨٨/١، المسعودي، مروج الذهب، ٢٧١/٢، ابن الجوزي، الوفا بأخبار المصطفى، ١٤٤/١ .

عنهما ، قال الرجل: القول قولك ، ثم قال لميسرة وخلا به: والله انه نبي ، والذي نفسي بيده ، إنه لهو الذي تجده أحبارنا في كتبهم منعوتا)[1]. ثم رجعا إلى مكة وما ان حلت (الظهيرة وأشتد الحر لم يزل ملكان يظلانه من الشمس ، فلما قدم ميسرة على خديجة أخبرها بقول الراهب وما رأى من الملكين)[2]. فقامت خديجة بإخبار ورقة بن نوفل بالأمر (وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ، ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه انه كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة: لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت إنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر وهذا زمانه)[3].

إن هذه الروايات التي قدمناها تشير إلى لقاء الرسول(ص) بعض الرهبان النصارى والأحبار اليهود ، وهناك روايات غيرها سنعرضها في الصفحات القادمة ، هي التي جعلت بعض الباحثين لاسيما من المستشرقين يكيل التهم للرسول(ص) والإسلام ، وأسباب ذلك تعود إلى التفاوت العقائدي بين الإسلام وثقافات المستشرقين ، مما جعل الكثير منهم يقعون في الشطط العقلي والعلمي ، وهذا ناتج في كثير من الأحيان عن تعصبهم الديني من جانب آخر ، وحتى كتابات المحايدين منهم لا تكاد تخلو من بعض تلك الشطحات[4] ، وسنحاول ان نستعرض بعض الآراء الاستشراقية التي استندت إلى الروايات المتقدمة ، المعتدلة منها والمتطرفة ونناقشها .

يعلق المستشرق وليام على لقاء الرسول(ص) الراهب بحيرا (أثناء عودة القافلة من سوريا إلى مكة وعلى مقربة من سيناء ، كان يعيش راهب مسيحي تقي يدعى بحيرا ، اعتاد التجار ان يمروا بصومعته ، ويتوقفوا عندها قليلاً ومن بين هؤلاء ، كان غلام عربي يعده القدر ليقف في وجه الكنيسة ، واستطاع بحيرا ان يتنبأ بمستقبل

---

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ١٨٩/١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٥٦/١ .

٢ - ابن بكار، المنتخب، ص٣٧- ٣٩ ، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٨٩/٦ .

٣ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٨٩/١ ، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧١/١ .

٤ ـ حسن الحكيم، المستشرقون ودراستهم للسيرة النبوية، ص١٤٤ .

محمد ، فقرر ان يحول محمدا إلى المسيحية ، وحينما وصل الغلام إلى فناء صومعة الراهب ، أخذت أبوابها الصغيرة في الارتفاع ، وتأكد العرب ان هذا الحدث ينبئ بان الغلام سيكون مستقبله عظيماً ، استطاع الراهب ان يجعل محمداً يعتنق المسيحية ، وعامله كابن له ، وبذلك نشأ محمد بعيدا عن الوثنية التي تدين بها القبائل العربية)[١] .

أما غوستاف لوبون الذي يعد من الكتاب المعتدلين ، فيرى ان محمدا (سافر مع عمه إلى سوريا مرة ، وتعرف في بصرى على راهب نسطوري في دير نصراني وتلقى منه علم التوراة)[٢].

ويرى المستشرق حيبرت (أن ابرز الأحداث في تاريخ حياة محمد ان ناسكا مشكوكا في عقيدته وأخلاقه ، حاول عبثا ان يصل إلى منصب بطريك الإسكندرية ، فلما فشلت محاولاته أراد الانتقام من الكنيسة ، ولجأ إلى العزلة وأستطاع ان يستخدم من اجل إغراضه الشريرة شابا ما لبث ان قدمه إليه القدر ، ولم يكن هذا الشاب سوى محمد ، واستطاع الناسك ان يسخر محمدا ، لتحقيق إغراضه ومساعدته على الزواج من خديجة ، فقد كان تصوير الناسك لمحمد بأنه رسول الله ، عاملا على قبول خديجة الزواج من محمد رغم إنه كان فقيرا ، وأقل حبا منها وما لبث محمد ان أصيب بنوبات من الصرع ، مما جعل خديجة تشعر بالخوف فأسرعت إلى ذلك الناسك ، لتجد تفسيرا لمرضه فأكد لها ما تظنه انه نوبة صرع ، ما هو في الحقيقة إلا صورة لنزول الوحي ، وما لبث هذا الراهب ان اقترح على محمد ان يجعل تعاليمه على شكل كتاب سماوي ويعززه بمعجزة)[٣].

وهناك رأي أكثر تطرفا مما سبق ذكره نصه (أن بحيرا كان عالما فلكيا وحاسبا وساحرا ، وإنه يعتقد ان الله ظهر له ، وأنبأه بان سيكون لآل إسماعيل نبي ، فكان

---

١ - خوادا بخش، الحضارة الإسلامية، ص٥٧ .

٢ - حضارة العرب، ص١٢- ١٣ .

٣ - بخش، الحضارة الإسلامية، ص٥١- ٥٢ .

معلما وهاديا لمحمد ، ومصاحبا له بعد رسالته ، وإن محمدا ما حرم الخمر ، إلا لأنه قتل أستاذه بحيرا وهو سكران)[1].

كما لا تخلو آراء المستشرقين المعتدلين من هذه الأفكار ، فيقول المستشرق أرفنج (استقبل الرهبان أبا طالب وابن أخيه بترحيب عظيم ، تحدث أحد الرهبان يسميه البعض سرجيوس ، ويسميه البعض الآخر بحيرا ، مع محمد وأعجب كثيرا بعقليته ورغبته في الاستزادة من العلم ، وبخاصة في المسائل الدينية ، وتبادل الراهب مع محمد الحديث في عدة مواضيع ، ولاشك ان الراهب قد وضع همه في القضاء على تعاليم الكفر التي تلقنها الشاب ، وكان النساطرة المسيحيون ينهون عن الصور والتماثيل ، بل ان الصليب وهو شعار المسيحية كان يدخل ضمن ما ينهى عنه ، وينسب الكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحي إلى محادثاته مع ذلك الراهب)[2] . ويعلق بودلي على هذه الروايات (وهناك إلى جانب سوق بصرى دير للرهبان النسطوريين المسيحيين ، وكانوا يعرفون أبا طالب فدعوه إلى طعام ، وقد لفت محمد نظر بحيرا الراهب بأسئلته وتفكيره وتطلعه إلى المعرفة ، وقد أثرت فيه أفكاره السديدة فراح الراهب يحادث العربي الصغير ، وكأنما كان يحدث رفيقاً من رفقائه ، فأخبره بعقيدة عيسى وسفه عبادة الأصنام ، وأرهف محمد السمع إلى ما ينطق به الرجل ، كان يخالف ما نشأ عليه واعتقد به) ويضيف (وليس من المعقول ان لدى محمد أية فكرة عن الديانة ، أو كيفية تطبيقها على نفسه ، وما كان من شبابه شك في عبادة أصنام الكعبة ، إنه اختزن في عقله الواعي ، ما قاله الراهب النسطوري ، فإذا جد الجد وجد عنده قدراً من المسيحية استغله خير استغلال)[3].

ثم يعود بودلي ليعلق على التأثير الذي تركته الشخصيات المتقدمة الذكر في النبي(ص): (وأما حقيقة ان القوى النابتة في الديانتين القديمتين ظاهرة في كل وجه

١ - محمد رضا ، الوحي المحمدي ، ص٦٦ .

٢ - حياة محمد ، ص٤٨ .

٣ - بودلي ، الرسول ، ص٣٤- ٣٥ .

من وجوه الديانة الجديدة ، فترجع إلى ما سمعه محمد في رحلاته ، وتعود إلى تعاليم بحيرا وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة حبر نجران... ان حالة محمد هي حالة وثني تحول إلى التوحيد ، وامتص نظرياته وتطبيقاته من حلقات العابدين ، والإنصات إلى الوعاظ المسترشدين)[1].

ويرى دور منغم ان هناك تشابها بين تعاليم الإسلام وبين النصرانية ، ورأيه يتلخص بالآتي: (ومما لا مراء فيه إنه كان للنصرانية اثر في محمد ، وان حنفاء العرب كزيد بن عمرو بن نفيل ، ورهبان النساطرة كبحيرا ، ونصارى مكة كورقة بن نوفل أيقظوا شعوره الديني قبل بعثته)[2].

إن هذه الآراء التي عرضناها هي مجرد نماذج من آراء المستشرقين في نبوة محمد(ص) ، وهي بمجملها المعتدلة والمتطرفة تشير إلى ان هناك شخصيات كانت أساساً للدعوة الإسلامية ، وهي بحيرا ونسطورا وورقة بن نوفل ، معتمدة في ذلك على ما جاء في روايات كتاب السيرة النبوية عن هؤلاء الأشخاص ، وسنحاول مناقشة الروايات والآراء مبتدئين بشخصية بحيرا.

تكاد كتب السيرة تجمع على ذكر هذه الرواية ، وهي تقع بين الإسهاب والإيجاز والإضافة والحذف ، لكنها باجمعها متفقة على سندها. فقد ورد ذكرها عند الزهري وابن إسحاق والواقدي ، والراوي لهذه الرواية والذي أخذت منه المصادر هو أبو نوح قراد (عبد الرحمن بن غزوان) ، قال فيه الترمذي بعد ان نقل الرواية (هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه)[3] ، أي لم يروها غير قراد بسنده عن أبي بكر بن أبي موسى ، وقال فيه الذهبي (حدث عنه احمد ، وكان يحفظ ، وله مناكير)[4] ، وقال ابن كثير (وقال عباس الدوري ليس في الدنيا أحد يحدث به غير

---

١ - بودلي، الرسول، ص٧٦ .

٢ - دور منغم، حياة محمد ، ص١٠٠ .

٣ - الترمذي، سنن الترمذي، ٥/٢٥١.

٤ - الذهبي، ميزان الإعتدال، ٢/٥٨١.

قراد بن أبي نوح ، وقد سمعه أحمد بن حنبل رحمه الله ويحيى بن معين لغرابته وانفراده ، حكاه البيهقي وابن عساكر ، قلت: فيه من الغرائب أنه من مرسلات الصحابة فإن أبا موسى الأشعري إنما قدم في سنة خيبر سنة سبع من الهجرة ، .....وعلى كل تقدير فهو مرسل ، فإن هذه القصة كانت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر فيما ذكر بعضهم اثنتا عشرة سنة)[1] ، كذلك فإن هذه الرواية أوصلوا سندها إلى أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه أبي موسى الأشعري[2].

وهذا الأمر يجعل الرواية مشكوك في صحتها من حيث السند ، وذلك لان هذه الحادثة وقعت قبل البعثة بثمان وعشرين ، وأبو موسى أسلم في السنة السابعة من الهجرة[3]. أي بعد ثمانية وأربعين عاما من الحادثة ، فمن أين حصل على هذه الرواية ، التي لا يوجد لها طريق آخر سواه ، على الرغم من كثرة تداولها؟! لكن المصدر واحد هو أبو بكر بن أبي موسى ، الذي كان ضعيف الرواية كما يرى محمد بن سعد[4] ، وقال فيه أحمد بن حنبل إنه لم يسمع أبيه[5] ، فضلا عن ان الرواية من المرسلات لأنها غير مسندة إلى الرسول(ص) ، ولم يروها أحد من الصحابة الذين عاشوا مع النبي(ص) في مكة.

والرواية الثانية التي تنص على ذهاب أبي بكر مع الرسول(ص) إلى سوق بصرى ، تشبه إلى حد كبير ما جاء في الرواية الأولى ، وقد نسبتها بعض المصادر إلى الصحابي عبد الله بن عباس(رض) ، وعلق عليها المؤرخ الهندي خوادا بخش بالقول: (أن القصة بأكملها موضوعة ، وهي من صنع خيال ابن عباس الخصب ، وربما تكون

١- ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٤٦/٢.

٢- الترمذي، سنن الترمذي، ٢٥١/٥ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٧٨/٢، السهيلي، الروض الأنف، ٢٠٧/١ ، السيوطي، الخصائص، ٢٠٦/١- ٢٠٧.

٣ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ٩٧٩/٣ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٦٣/٣ .

٤ - الطبقات الكبرى، ٢٦٩/٦

٥ - ابن حنبل، العلل، ٥٤١/١، ابن حجر ،تهذيب التهذيب ، ٤١/١٢ .

قد دونت حوالي سنة١٠٠هـ) ، لكن هذا الرأي غير مقبول ، وفيه اعتداء على شخصية الصحابي عبد الله بن عباس حبر الأمة ، لاسيما إنه لا يوجد دليل واحد على ان مصدر هذه الرواية هو ابن عباس ، على الرغم من نسبتها إليه ، وربما ان هذه الرواية نسبت إلى ابن عباس كما هو حال الكثير من الروايات.

أما الرواية الثالثة التي وردت عن كعب الأحبار ، فهي مشكوك في صحتها ايضا ، لان راويتها لم يدخل الإسلام إلا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب(رض) ، فكيف يروي أحداث وقعت قبل البعثة بعشرين سنة أو أكثر ، وكعب من مسلمي أهل الكتاب ، عاصر الرسول(ص) لكنه لم يسلم حتى عهد الخليفة عمر (رض) ، فسأله العباس بن عبد المطلب(رض) عن سبب تأخر إسلامه ، فأجاب: (إن أبي كتب لي كتابا من التوراة ، فدفعه إلي وقال: اعمل بهذا واتبعه ، واخذ علي بحق الوالد ان لا أفض هذا الخاتم ، وختم على سائر كتبه ، فلما رأيت الإسلام قد ظهر ، ولم أر إلا خيرا ، قالت لي نفسي: لعل أباك قد غيب عنك علما ، ففضضت الخاتم فإذا فيه صفة محمد وأمته ، فجئت الآن فأسلمت)[1] ، وهذه الرواية تدل على ان العباس كان مرتابا بإسلام كعب ، لذلك اعتذر كعب بهذا العذر ، كذلك فأنه من المستبعد ان يوصي يهودي ولده بالخروج من اليهودية والدخول في دين يناهضها ، إذ انه كتب له ورقة وختمها وفيها صفة محمد(ص) فلو لم يكن يريد لابنه الدخول في الإسلام ، لما ترك هذه الورقة بين يديه ، وهو عاجلاً أم أجلاً سيقرؤها ، والذي يبدو من القول كعب (فلما رأيت الإسلام قد ظهر) ، انه كان ينتظر نتيجة الصراع بين الإسلام وخصومه.

وأخذ كعب بعد إسلامه ، يحدث في مسجد المدينة عن أخبار الأنبياء ، فأخذ بعض الصحابة عنه ، وامتلأت كتب الحديث والسيرة النبوية بالأحاديث التي رويت عنه ، فكان الباب الأول الذي دخلت من خلاله الإسرائيليات إلى التاريخ الإسلامي ، ويرى جواد علي (إن اغلب الروايات التي يتصل سندها بكعب

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١/٣٥- ٣٦ ، ٧/٤٤٥.

الأحبار ، ومحمد بن كعب القرظي ، وهما من مسلمي أهل الكتاب ، يغلب عليها طابع القصص الإسرائيلي ، وفي اغلبها دس على الرسول(ص) وعلى الإسلام ، وظهر من دراسة هذا النوع من القصص ، ان أصحابه كانوا يريدون من روايته ونشره وإدخاله بين المسلمين أمراً ، وان قلوبهم لم تكن مسلمة ، كألسنتهم وإنهم كذبوا على التوراة والإنجيل أحيانا ، ذلك على سبيل التودد للمسلمين ، والتقرب إليهم على ما يبدو)[1] ، والذي قدمناه يبين ان إسلام كعب مشكوك فيه ، فكيف نقبل روايته ، وهو يريد بهذه الروايات ان يتقرب من المسلمين.

والرواية الرابعة التي ذكرت لقاء رسول الله(ص) راهباً اسمه نسطورا ، عندما سافر بتجارة السيدة خديجة (عليها السلام) إلى الشام ، فقد وردت عن ابن إسحاق والواقدي وغيرهما من الرواة ، ولم يذكر ابن إسحاق اسم الراهب فيما ذكره الواقدي[2].

واختلف الرواة في سند هذه الرواية ، فلم يذكر ابن إسحاق المصدر الذي نقل عنه ، وأوصل الواقدي سنده روايته إلى نفيسة بنت منية[3] ، وبقية المصادر أخذت الرواية عن ابن إسحاق والواقدي ، والذي يبدو من خلال تتبع سياق الروايات التي ذكرت لقاء الرسول(ص) بهذا الراهب ، يتضح لنا ان هذا الأمر قد حشر فيهما حشرا ، لان تفاصيله تشبه إلى حد بعيد ، تفاصيل لقاء الرسول(ص) بالراهب بحيرا ، ومن المحتمل جدا ان الرواة أدخلوا هذه المسألة في سفر الرسول(ص) إلى الشام من دون ان يذكرها الناس ، الذين عاصروا الحدث في محاولة منهم لإضفاء طابع قدسي على حياة رسول الله(ص) قبل البعثة ، وإعطاءه قبول لرواياتهم ، ولاسيما ان ابن إسحاق لم يذكر اسم الراهب ، في حين سماه الواقدي نسطورا وهو أحد حواريي

---

١ - تاريخ العرب في الإسلام، ص٣٣.

٢ - ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٢/١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٥٦/١.

٣ - نفيسة بنت أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي، أخت يعلى بن أمية حليف قريش ومنية هو اسم أمها منية بنت الحارث المازنية التي تزوجت من خويلد بن أسد أنجبت له العوام وحزام وعدي ورقيقة ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٨٣/٧.

عيسى(عليه السلام) أطلق اسمه على المذهب النسطوري في بلاد الشام، وهناك من تحدث عن ذهاب رسول الله(ص) إلى هذا الراهب[1]. وهذا يعني ان سند الرواية لاشك فيه، لاسيما وإن هناك شبه إجماع على هذه الرواية.

أما متن الروايات فسوف نناقشه ابتداء بالرواية الأولى التي تحمل بين طياتها تناقضا كبيرا، إذ جعلت بعض الروايات بحيرا يهوديا، في الوقت الذي يحذر أبا طالب من اليهود، في حين جعله بعضهم الآخر نصرانيا، وذكرت بعضها أمورا لم تذكرها الروايات الأخرى، فقد كان مظللا حينا بالغمام وبالملائكة حينا آخر، وعندما يجلس تحت الشجرة يميل فيئها عليه، وهذه الشجرة كما يبدو مخصوصة بالأنبياء، لأن الراهب قال إنها لم ينزل تحتها إلا نبي منذ عهد عيسى(ع)، أي أنها بقيت قرابة ستمائة عام، لم يجلس تحتها أحد إلا النبي(ص)، فتورق وتتهصر أغصانها وتنزل على الرسول(ص)، أما القافلة التي كانت ذاهبة إلى الشام، فقد كانت تضم أناساً من قريش بحسب ما صرحت به الروايات، وهذا يبدو غريباً لأنها لم تترك أثراً في هؤلاء الناس، والراهب يقول لهم: (هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين)، واخبرهم بما رآه من كرامات هذا الغلام، وعند إعلان الدعوة الإسلامية لماذا لم يتذكر هؤلاء هذه الأمور؟ ولماذا لم يذكرهم الرسول(ص) ولم يحتج بها عليهم، يوم كذبوه وطاردوه وآذوه وحاصروه؟ ولماذا لم ترد هذه الرواية من قبل الأشخاص الذين شاهدوا الحدث، ولا نعرفها إلا عن طريق شخص اسلم بعد ثمانية وأربعين عاما من الحادثة ؟ وإذا كان الراهب رأى الغمام أو الملائكة تظلل النبي(ص)، ورأى الحجر والشجر يسجدون لرسول الله(ص)، فلماذا لم يرها الناس الذين كانوا في القافلة؟!، أم ان الرؤية كانت خاصة بهذا الراهب فقط؟ وما الحكمة في هذا الأمر؟، ونحن نرى ان الحجة والإقناع هما الأساس الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية.

---

١ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/٣٠، رواية عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب.

ونجد في هذه الرواية ان الراهب يحذر أبا طالب من اليهود خوفا عليه من ان يغتالوه ، إذا عرفوا أمره وعرفوا منه ما عرف الراهب ، أي ان إشارات النبوة ، كان لا يعرفها سوى اليهود والنصارى ، وكأنها أشياء مكتوبة على جسد رسول الله(ص) لا يعرفها إلا هؤلاء ، إذن ما نقول بإسلام من اسلم بعد نزول الوحي ، هل ظهرت هذه القراءات لمن اسلم ، فرآها ودخل في الإسلام؟ ، أليس في هذا الأمر اعتداء على إسلام الكثير من المسلمين الذين امنوا بالإسلام فكرا ومنهجا ، واعتنقوه أيمانا وسلوكا ، وذلك لقناعتهم بصلاحية هذا الدين لواقعهم ومجتمعهم ، ورأوا فيه صلاحا للدنيا والآخرة؟ ، لكننا نرى في الرواية الثانية انه ذهب إلى الشام ، ثم ذهب مرة ثالثة بتجارة السيدة خديجة(ع) ، وعمه هو الذي حثه على هذا الأمر[1] ، كما قدمنا في روايات ذهاب الرسول(ص) بتجارة السيدة خديجة(ع) إلى الشام ، وهنا نسأل ألا يخاف أبو طالب على ابن أخيه؟ وهو كما تذكر الروايات كان يحبه حبا لا يحبه لأبنائه[2].

ثم أضافت هذه الرواية ان أبا طالب بعد ان سمع قول بحيرا ، أرجعه مع أبي بكر وبلال إلى مكة ، خوفا عليه من اليهود ، وهذا الأمر يبين بجلاء ، ان هذه الرواية لا أساس لها وموضوعة بأكملها ، ففي ذلك الزمن كان عمر النبي(ص) اثنتي عشرة سنة ، وعمر أبي بكر كان عشر سنوات لأنه اصغر من الرسول(ص) بسنتين ، وبلال كان عمره اقل من ذلك[3]. ولم تذكر الروايات إذا كان قد جاء إلى مكة أو لا ، وحتى إذا كان في مكة فما علاقته بأبي بكر ، ولو تركنا هذا سيرد لنا تساؤل مفاده كيف يقوم أبو طالب مع حبه الشديد لابن اخيه ، وحرصه عليه بإرساله مع طفلين في وسط هذه الصحراء الموحشة مع وجود الكثير من القرشيين في القافلة؟ بينما تذكر الروايات ان أبا طالب (كان يحبه حباً شديدا ، لا يحبه لولده ، وكان لا

---

١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٢٩/١ .

٢ - الصنعاني، المصنف، ٣١٨/٥، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١١٩/١.

٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٣٨/٢ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٤٥/١.

ينام إلا جنبه ، ويخرج فيخرج معه ، وصب به صبابة لم يصب مثلها بشيء قط)[1] ، وهذا خير دليل على ضعف هذه الرواية.

وهنا تبرز لنا مسألة مهمة جدا ، أوجدتها الظروف السياسية التي عاشها المسلمون بعد وفاة رسول الله(ص) ، وما نتج عنها من خلاف فكري ومذهبي ، ومحاولة الأطراف المختلفة تدعيم آرائها ، حتى ولو اختلقوا روايات ونسبوها إلى الرسول(ص) ، فكانت النتيجة الإساءة إلى مقام النبوة ، والينا كمسلمين بقصد أو من دون قصد ، بحسن نية أو بالضد منه. ومن ناحية أخرى حاول بعض الرواة الرد على التشكيك بنبوة محمد(ص) ، من قبل أصحاب الديانات الأخرى ، فحاولوا وضع روايات تؤيد معرفة الرهبان النصارى والاحبار اليهود بأمر النبوة.

كما لم ترد لهذه الرواية إشارة في القرآن الكريم ، الذي يعد أوثق المصادر التي يعتمد عليها الباحث في سيرة الرسول(ص) ، وهو الذي ذكر لنا الكثير من الأحداث ، التي وقعت في حياة الرسول(ص) ، كما لم يرد لهذه الحادثة أي ذكر في أحاديث الرسول(ص) ، والكرامات التي ذكرتها الرواية ابتداءً بتظليل الغمام ، وانتهاءً بسجود الشجر والحجر له ، على الرغم من أنها قد تكون وقعت بالفعل ، ورآها الناس مثلما روي عن السيدة خديجة(ع) أنها رأت الغمام يظلل الرسول(ص) ، لكن ما الحاجة لأن يرى هذا النصراني كل هذه الأشياء؟ وكما أسلفنا فإن الشك في تفاصيل الرواية ، تجعلنا في شك من الأحداث التي رويت فيها ، وفي وجود هذا الراهب أصلاً ، فضلا عن ان رسول الله(ص) لم يخرج يوما عن حياة الناس الطبيعية ، إلا في المعجزات التي أراد الله بها إثبات قدرته للناس ، وإثبات نبوة النبي(ص) مثل الإسراء والمعراج ، وقتال الملائكة يوم بدر وهي محدودة وقليلة ، ورسول الله(ص) كان دائماً يؤكد انه بشر ، يجوع ويشبع وينام ويصحو ويأتي النساء وغير ذلك من ألأمور ، فيقول (لا ترفعوني فوق قدري وتقولوا فيّ ما قالت النصارى

---

١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢٠/١.

في ابن مريم ، فأن الله اتخذني عبدا قبل ان يتخذني رسولا)[1] ، وتذكر لنا الروايات ان رجلا أتى الرسول(ص) فوقف بين يديه ، فأخذته الرعدة من هيبة رسول الله(ص) ، فقال له الرسول(ص): (هون عليك فأني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد)[2]. ولم تكن المعجزات وخوارق الطبيعة بعيدة وعزيزة على قدرة الله عز وجل ، ولا هي قليلة بحق خاتم النبيين حبيب الله ، لكن الله سبحانه وتعالى أراد ان يؤمن الناس بالإسلام بقلوبهم وعقولهم قبل أعينهم بغير خوارق ، فإذا دعت الحاجة إلى مثل هذه الأمور ، كانت هينة على الباري الجبار ، لذلك عندما طلبت قريش من النبي(ص) بأن يسأل ربه الذي بعثه –على سبيل التعجيز– ان يسير الجبال عنهم ، ويشق لهم انهارا كأنهار العراق والشام ، ويحيي لهم موتاهم فيؤمنوا به ، قال لهم: (ما بهذا بعثت إليكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم من الدنيا والآخرة ، وان تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم)[3].

وتبقى المعجزة الكبرى للرسول(ص) هي القرآن الكريم الباقي ما بقي الدهر ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حكيم ، والذي عجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثل اقصر سورة فيه ، بل بآية واحدة منه[4]. والذين آمنوا بدعوة النبي(ص) آمنوا بصدقه وصلاح دعوته ، والنبي يقول على الدوام انه إنسان مثلهم وانه مرسل إليهم ، وانه مجرد من كل سلطان في المعجزات ، وفي هذا قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إليه وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ) ، وقال أيضاً: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ان أَنَا إِلَّا

---

١ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٥/١٦٠.

٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٣/١.

٣ - الكلاعي ، الاكتفاء ، ٣٠٦/١.

٤ - العاملي ، سيرة المصطفى ، ص١٤.

نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[١] ، ورسول الله(ص) يوم كان حملا وطفلا ويافعا وشابا وكهلا ، لم يخرج في شيء من حالاته ، ومراحل حياته عن سنن الكون وقوانين الطبيعة ، ولم تدع الحاجة في طفولته وشبابه إلى تلك الحوادث الجسام ، التي ملئت كتب الحديث والسير[٢] ، لكن رواة التاريخ والحديث اعتادوا على إضافة هذه الأشياء إلى رواياتهم ، وهي متشابهة في كل هذه الروايات ، وكأن الرسالة لا تثبت إلا بإضافة هذه الأمور إلى حياة الرسول(ص) فملؤوا الكتب بهذه الروايات ، ثم جاء بعدهم الكتّاب واستدلوا بها على نبوة محمد(ص) ، ويكفي ان نرى أي كتاب من كتب (الدلائل والشمائل) ، لنتعرف على اثر هذه الروايات في هذه الكتب ، التي حاول أصحابها إثبات النبوة لمحمد(ص) ، متناسين ان الأدلة العقلية التي جاء بها النبي(ص) كافية لهذا الأمر ، وهي لا تحتاج إلى كل تلك الخوارق الهينة على الله عز وجل ، والعظيمة في نظر هؤلاء الرواة.

والروايتان الثانية والثالثة أضعف من الرواية الأولى ، لأن الروايات لا تشير إلا إلى سفرتين قام بهما رسول الله(ص) إلى الشام ، الأولى مع أبي طالب ، والثانية بتجارة السيدة خديجة(ع) ، ومتن هذه الرواية متناقض إلى درجة كبيرة ، ولا نقول إلا ان الروايات أوجدها الجهل والتعصب ، فأدت إلى الإساءة إلى الإسلام ، وأعطت الفرصة لأعدائه لكيل التهم للرسول(ص) والإسلام ، ففي كل حركة يتحركها الرسول(ص) ، وكل مكان يذهب إليه يجد شخصاً من أهل الكتاب يقول له انك نبي ، فقبل ولادة الرسول(ص) يلتقي عبد الله والد الرسول(ص) أخت ورقة بن نوفل ، واسمها قتيلة بنت نوفل فتعرض عليه الزواج ، لأنها رأت نور النبوة في جبهته ، وكانت قد أخذت العلم عن طريق أخيها ورقة[٣] ، وفي اليوم الذي ولد فيه الرسول(ص) أتى يهودي إلى قريش ليسألهم هل فيهم مولود اسمه احمد ، فقالوا له: (لا ، قال: أخطأكم والله معشر

---

١ - سورة فصلت الآية ٦ ، الأعراف الآية ١٨٨.

٢- الحسني، سيرة المصطفى، ص٥٥ .

٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٦٢/١ ، اليعقوبي، التاريخ، ٥/٢ .

قريش ، قد ولد إذا بفلسطين غلام اسمه احمد) ، ثم جاء الخبر ان عبد الله بن عبد المطلب ولد له غلام اسمه احمد ، فأخبروا اليهودي فطلب منهم ان يراه ، فلما رآه بشرهم بنبوته[1] ، وعندما سافر عبد المطلب إلى اليمن ، لتهنئة سيف بن ذي يزن بعد ان قام بطرد الأحباش من اليمن ، بشره سيف بنبوة احمد(ص)[2] ، وفي رواية ان عبد المطلب التقى أسقف نجران ، الذي أخبره بأن نبيا سيظهر من ولد إسماعيل ، فجاء الرسول(ص) فرآه الأسقف وأخذ يتفحصه ويسأل عبد المطلب عن أحواله ، وعندها بشر عبد المطلب بأنه هو النبي المولود ، فقال عبد المطلب لأبنائه (تحفظوا بابن أخيكم ، ألا تسمعون ما يقال فيه)[3].

ولما صار لرسول الله(ص) من العمر سبع سنين ، أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يغن عنه ، فأخذه عبد المطلب إلى عكاظ ، حيث يقيم راهب يعرف معالجة الرمد ، فناداه عبد المطلب فلم يجب الراهب ، فتزلزل الدير وكاد ان يتهدم فخاف الراهب وخرج ، فقال لعبد المطلب: (إن هذا الغلام نبي هذه الأمة ، ولو لم أخرج لخر علي ديري فأرجع وأحفظه)[4].

وعندما أخذته حليمة لترضعه ، بقي عندها مدة من الزمن فمرَّ بها مجموعة من اليهود ، فسألتهم عنه ووصفت حاله عند الولادة (كما وصفت آمنة الأمر) (فقال بعضهم لبعض أقتلوه ، فقالوا: أيتيم هو ، فقالت: لا ، هذا أبوه وأنا أمه ، فقالوا لو كان يتيما لقتلناه) ، وعلى اثر هذه الحادثة أرجعته حليمة إلى أهله[5] ، فبينما هي تدخل مكة ضاع منها ، فأخبرت عبد المطلب بالأمر ، فخرج في رجال من قريش يبحثون عنه فيهم ورقة بن نوفل ، وبعد البحث وجده ورقة وأعاده لعبد المطلب[6] ،

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٩/٢ .

٢ - أبو نعيم، دلائل النبوة، ص٥٢- ٦٠، البيهقي، دلائل النبوة، ٩/٢- ١٤.

٣ - أبو نعيم، دلائل النبوة، ٢٠٧/١- ٢٠٨ .

٤ - العمري، الروضة الفيحاء، ص٦٧.

٥ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١١٢/١.

٦ - البلاذري، أنساب الاشراف، ٩٥/١، الحلبي، السيرة الحلبية، ٥/١، الديار بكري، تاريخ=

وكان هذا لقاء ورقة الأول مع النبي(ص) ، الذي يقول فيه المستشرق مونتجمري وات (أن خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل ، وهو رجل متدين اعتنق أخيرا المسيحية ، ولاشك ان خديجة قد وقعت تحت تأثيره ، ويمكن ان يكون محمد قد اخذ شيئا من حماسته وآرائه)[١]. وتصور لنا الروايات ان عبد المطلب بعد ان وجده ، أخذ يوصي به أعمامه ، وجارية أبيه بركة الحبشية (أم ايمن) ، بقوله: (يابركة لا تغفلي عن ابني ، فإني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة ، وان أهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبي هذه الأمة)[٢].

ولم تكن أسرته وحدها التي تعلم بنبوته ، بل حتى الناس المحيطون به ، ففي رواية ان أبا بكر خرج إلى اليمن تاجرا (فنزل على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب ، وأتت عليه أربعمائة سنة إلا عشر سنين ، فقال: أحسبك حرميا؟ قلت نعم ، قال: أحسبك قرشيا ، قلت نعم ، قال: أحسبك تيميا ، فقلت نعم ، قال بقيت لي منك واحدة قلت ما هي؟ قال: تكشف لي عن بطنك ، قلت لم ذاك ، قال أجد في العلم الصادق ، ان نبيا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل ، فأما الفتى فخواض غمرات ووقاع معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة ، وما عليك ان تريني ، فقد تكاملت لي فيك الصفة ، إلا ما خفي علي ، قال أبو بكر: فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي ، فقال أنت هو ورب الكعبة)[٣] ، ان هذه الرواية نقلت بشارات النبوة إلى الصحابة مثل أبي بكر(رض) وعلي بن أبي طالب(ع) ، وعلامات النبوة أخذت تظهر على جسد أبي بكر ، وتأتينا رواية ثانية عن تبشير أبي بكر بالنبوة ، فبينما هو جالس عند الكعبة ، فإذا هو يسمع محاورة ، بين زيد بن عمرو بن نفيل ، وبين أمية بن أبي

=الخميس، ٢٢٨/١

١ - محمد في مكة، ص٧٤- ٧٥ .

٢ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١١٨/١.

٣ - السيوطي، الخصائص الكبرى، ٧٣/١- ٧٤ .

الصلت[1] ، بشأن النبي الذي ينتظره أهل الكتاب ، فذهب إلى ورقة بن نوفل ، ليسأله عن الأمر فقال: (نعم يا ابن أخي ، إلا ان هذا النبي الذي ينتظر أهل الكتاب من أوسط العرب نسبا ، ولي علم بالنسب ، قال: قلت: يا عم ما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له إلا انه لا ظلم ولا ظالم فلما بعث النبي آمنت وصدقت)[2] .

ووردت رواية عند الواقدي بسنده عن طلحة بن عبد الله(رض) ، مفادها إنه كان في سوق بصرى ، فإذا به براهب قد طلع من صومعته ، يسأل عن شخص من أهل الحرم ، فقال له طلحة أنا من أهل الحرم ، فسأله هل ظهر أحمد (قلت: ومن احمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ ، فإياك ان تسبق إليه ، قال: طلحة فوقع في قلبي فأسرعت إلى مكة ، فقلت: هل من حدث ؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة ، فدخلت عليه فقلت اتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم ، فانطلق فاتبعه فأخبره طلحة واخبر الرسول(ص) بذلك)[3] .

---

١ - زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب أحد الذين تركوا عبادة الأصنام وحاولوا الرجوع إلى دين الحنيفية دين إبراهيم الخليل(ع)، ينظر ابن إسحاق، المغازي والسير، ص١١٨وما بعدها ، أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر قرأ الكتب القديمة وعلم ان الله سبحانه وتعالى يرسل رسولا ، فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فاتفق ان خرج إلى البحرين وتنبأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقام هناك ثماني سنين ثم قدم فلقي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في جماعة من أصحابه فدعاه إلى الإسلام وقرأ عليه سورة يس حتى إذا فرغ منها وثب أمية يجر رجليه فتبعته قريش تقول: ما تقول يا أمية؟ فقال:حتى ينظر في أمره، فخرج إلى الشام وقدم عليه بعد وقعة بدر يريد ان يسلم فلما اخبر بها ترك الإسلام وقال: لو كان نبيا ما قتل ذوي قرابته فذهب إلى الطائف ومات به، ابن حجر، الإصابة، ٣٠٨/٥، وقال فيه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (آمن بشعره وكفر بقلبه) المتقي الهندي، كنز العمال، ١٧١/٦ .

٢ - ابن الأثير، أسد الغابة، ٣١١/٣.

٣ - الذهبي، تاريخ الإسلام، ٨٠/١- ٨١ .

ولم تكن السيدة خديجة(ع) بعيدة عن تبشير أهل الكتاب ، فقد وردت رواية يتصل سندها بابن عباس(رض) ، وهي ان السيدة خديجة(ع) كانت قد اجتمعت مع مجموعة من نساء قريش في عيد لهن فجاءهن يهودي ، فقال: (يوشك ان يبعث في بلدكن نبي ، فأيتكن استطاعت ان تكون له أرضا ، فلتفعل فشتمنه وطردنه ، ووقر ذلك في صدر خديجة)[1] ، فكان هذا الأمر السبب في زواجها من الرسول(ص) حسب ما صرحت به الرواية ، وفي رواية ثانية إنها كانت قرب الكعبة ، فرآها شخص من الحيرة من أهل الكتاب ، فأخبرها إنها ستكون زوجة النبي المنتظر[2]. وعندما عاد النبي(ص) من سفره إلى الشام بتجارة السيدة خديجة(ع) أخبرها ميسرة غلامها بقول الرهبان عنه ، وما رآه هو بنفسه ، ذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وذكرت له (ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان يرى ملكين يظلانه ، فقال ورقة: لئن كان هذا حقا يا خديجة ، ان محمدا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت انه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر وهذا زمانه)[3].

والأمر الغريب في هذه الروايات ، إنها جعلت أمر دخول الصحابة إلى الإسلام ببشارات من الرهبان ، وكأنهم لم يدخلوا الإسلام بدون هذه البشارات ، متجاوزة على إيمانهم بالنبي وبصدق النبي(ص) ، وما جاء به من رسالة عظيمة ، تسابقوا إليها لانهم اقتنعوا بعدالتها وقربها إلى نفوسهم ، فهجروا عبادة الأصنام وحياة الشرك ، وآمنوا بالله الواحد الأحد الذي لا شريك له ، محكمون عقولهم في هذا الأمر ، هذه العقول التي دلتهم على الطريق الحق طريق الإسلام ، فتحملوا اقسى انواع العذاب دون ان يتراجعوا عن ايمانهم ، فهجروا الدار والاهل واصبحوا فقراء بعد ان كان العديد منهم من التجار ، واصبحوا مطرودين خائفين بعد ان كان العديد منهم من الاسر الكبيرة القوية ، كل ذلك لانهم آمنوا بالله ، والأكثر غرابة ان هؤلاء كانوا يرون

---

١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٥/٨ ، العسكري ، الأوائل ، ص٩٠.

٢ - ابن بكار ، المنتخب ، ص٤٦.

٣ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٨٨/١ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٧١/١.

ان محمد نبي ويبشرونه بنبوته ، لكنه الوحيد الذي لا يعلم بالنبوة كما سيأتي.

إن كل ما قدمناه يتناول شخصيات بشرت بنبوة محمد(ص) ، وكان هدف البحث هو مناقشة هذه الأمور ، وقلنا ان تركيزنا سيكون على شخصيات ثلاثة :بحيرا وورقة والسيدة خديجة(ع) ، وقبل ان ننتهي من الشخصية الأولى ، لابد لنا ان نذكر كل الروايات الخاصة بها ونناقشها ، ولاسيما انه أصبح عبارة عن معلم لرسول الله(ص) ، وأساس الدين الإسلامي بحسب ما صرح به المستشرقون ، ودعمهم في ذلك الرواة بإعطائهم الفرصة لهكذا اتهامات.

لقد اخرج الرواة أمر بحيرا وجعلوه أمرا غير مقبول ، فذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف انه سمع نداء في الجاهلية (يهتف ألا ان خير أهل الأرض ، ثلاثة بحيرا ورئاب الشني والثالث المنتظر ، والمنتظر هو الرسول(ص))[1] ، وعندما نزل الوحي على رسول الله(ص) ، وأخبر زوجته خديجة بالأمر ، لبست ثيابها وذهبت إلى بحيرا ، الذي تصوره الروايات على انه عصب حاجبيه ، لأنه كان كبير السن ، وعندما سمع صوتها عرف أنها خديجة ، فأخبرته بقول النبي(ص) فطمأنها وبشرها بنبوته[2].

وأضاف الرواة ان المسلمين عندما فتحوا بلاد الشام ، ووصلوا إلى مدينة صور التي كانت محصنة ، أغلق قائدها أبوابها وفي الصباح رأى قلة المسلمين فخرج إليهم ليقاتلهم ، وترك في المدينة ابن عمه واسمه باسيل الذي كان عالما عندهم قرأ كتب النصارى ، وهو من أصحاب الراهب بحيرا ، قد وفد عليه عندما مرت القافلة التي تحمل أموال السيدة خديجة ، وتجارتها بقيادة الرسول(ص) ، وسمع بشارة بحيرا للنبي(ص) بالنبوة ، وحضر لقاءه بالنبي(ص) ، وما دار فيه من كلام ، فبقي باسيل في حيرة من أمره وكتم سره بعدما علم ان بحيرا لا يتكلم إلا الحق ، لذلك استغل خروج الرجال إلى ملاقاة المسلمين ، وذهب إلى مجموعة من النصارى ، كانوا قد

---

١ - ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٨٦/٢.

٢ - السهيلي، الروض الأنف، ٢١٥/١، النويري، نهاية الأرب، ١٧٢/١٦، الإصابة، ٤٦٦/٢- ٤٦٧.

سجنوا في المدينة ، لأنهم فارقوا النصرانية ودخلوا في الإسلام ، وأراد إطلاق سراحهم ، وكان زعيمهم يدعى يوقنا ، فسأله عن أمره فأخبره بأنه رأى النبي(ص) والشجر والحجر يسجد له ، وما قال له بحيرا من أنه نبي هذه الأمة ، فكان الاتفاق على السيطرة على المدينة والاتصال بقائد المسلمين ، وتم ذلك وفتح المسلمون المدينة[1].

وفي رواية ثانية ان الروم البيزنطيين اسروا مجموعة من المسلمين فدفعوهم إلى دير يسمى دير الزجاج ، فتبعهم المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ، ووصلوا إلى احد الأديرة فاطلع عليهم راهب من أصحاب بحيرا ، وتحاور معهم وعرف انهم من أصحاب محمد(ص) ، فقال لهم: (إن أخباركم عندي في كل وقت ، أعلمك اني رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو في قافلة قريش وأنا عند بحيرا ، فلما مات بحيرا انتقلنا إلى هذا الدير)[2].

لقد أصبح بحيرا الأسطورة الأساس الذي قام عليه الإسلام من خلال الروايات التي نقرؤها عنه ، فهو يظهر أينما توجه الرسول(ص) ، ويجده المسلمون في فتوحاتهم ليسهل عليهم أمور الفتح ، وكل هذا في الكتب الأولى فما هي هذه الكتب؟ ولماذا لم نسمع عنها أو نعرفها؟ ولماذا لم يعرفها النصارى فيدخلوا في دين الإسلام بما في ذلك الرهبان الذين يعرفونها؟ لقد أساء الرواة كثيرا وهم يختلقون هكذا روايات من اجل تدعيم أو إثبات النبوة ، في حين ان دين الإسلام لا يحتاج إلى الكذب من اجل إثبات حقيقته ، ولاسيما ان هذه الروايات لا تثبت بإزاء البحث العلمي السليم.

فذهاب السيدة خديجة(ع) إلى الراهب بحيرا من اجل ان تسأله عن الوحي ، مرفوض جملة وتفصيلاً لان الرواة أقحموا اسم بحيرا إقحاما في روايات الوحي ، ونسبوا له كلاماً كانوا قد نسبوه إلى ورقة بن نوفل ، لاسيما ان بحيرا يسكن في

---

١ - الواقدي، فتوح الشام، ٣٢/٢ .

٢ - الواقدي، فتوح الشام، ٣٣/٢ .

الشام ، فهل من المعقول ان السيدة خديجة(ع) ذهبت إليه لتسأله عن جبريل ، في حين كان الذهاب إلى الشام في ذلك الوقت قد يستغرق شهرا أو أكثر ، أو ان بحيرا جاء إلى مكة من اجل ان تسأله؟

أما الروايات التي ذكرت لقاء اتباعه للمسلمين فهي مرفوضة أيضا ، لان الأمور التي ذكرتها الروايات تشير إلى انهم شهدوا خروج الرسول (ص) بتجارة السيدة خديجة(ع) ، والكلام الذي ذكروه كانت الروايات قد ذكرته عندما خرج الرسول(ص) مع عمه أبي طالب ، وهذا تناقض واضح ودليل على التخبط الذي وقع فيه هؤلاء.

أما آراء المستشرقين التي بنوها على هذه الروايات فلم تكن موضوعية ، ويمكن ان نجملها بالعبارة الآتية (أن محمدا لقي الراهب وتعلم منه والمعارف التي في القرآن الكريم هي نتاج ذلك اللقاء) ، لذلك فإننا نلخص الجواب بالنقاط الآتية :

١ـ ان هذا الرأي ليس له أي دليل يمكنه ان يستند إليه ، لاسيما أنهم لا يستطيعون إثبات أي شيء من ذلك اللقاء أو ما دار فيه ، كذلك لا يمكن لعاقل رزقه الله سلامة العقل ، ان يتصور تلقي غلام لا يتجاوز عمره الثانية عشرة من شيخ لا يعرف لغته ، ولم يجلس إلا ما يستغرقه الجلوس على مائدة الطعام ، المسائل العميقة في نقد عقيدة الشرك ويتعلم المسيحية[1].

٢. ان الروايات التاريخية لا تذكر للرسول(ص) سوى سفرتين إلى الشام الأولى مع أبي طالب والثانية بتجارة السيدة خديجة(ع) ، والروايتان تذكران انه رأى الغمام يظلل رسول الله(ص) ، ولم تذكر أي من الروايتين انه تلقى منه علما ، أو تناقش معه في أي مسألة دينية ، أو تلقى منه أي درس في الدين.

٣. ان الروايات المتقدمة تشير إلى ان الراهب بشر النبي(ص) بالنبوة ، فليس من المعقول ان يؤمن به ثم ينصب نفسه أستاذا عليه ، وهو يعلم ان هذا الشخص سيأخذ علمه من الله تعالى.

---

١ - الندوي، السيرة النبوية، هامش رقم ٣ ص٧٥ .

٤ـ لو كان بحيرا أساس الإسلام الدين الخاتم الذي انتشر في مشارق الأرض ومغاربها ، لكان الأولى ان تكون النبوة له.

٥ ـ ليس من المعقول ان يصل إنسان على وجه الأرض إلى ما وصل إليه النبي(ص) في كونه رمزا للإنسانية ، ويضع نظرية متكاملة للدنيا والآخرة ، لمجرد انه لقي مصادفة راهبا من الرهبان مرة واحدة أو مرتين ، الأولى كان فيها غلاما صغيرا والثانية كان حاملاً لأمانة في عنقه ، وهي تجارة السيدة خديجة(ع) التي تحتاج إلى العمل الشاق من اجل الحفاظ عليها.

٦ـ ان طبيعة الدين الذي ينتمي إليه الراهب لا يمكن ان تكون أساساً للدين الإسلامي ، ولاسيما بعدما أصابه من انحراف عن التعاليم جاء بها نبي الله عيسى(ع) إذا كان هذا الراهب نصرانيا ، ولم نتابع الروايات التي ذكرت انه كان يهودياً ، وقد وجه القرآن الكريم انتقادات كثيرة إلى عقائد النصارى ، وعدها في كثير من الأحيان أنها جهل وضلال ، وصور أعمالهم على انها منكرات.

٧ـ لقد صور هؤلاء القرآن الكريم على انه من صنع محمد ، بعدما تعلم من بحيرا ولو ان هؤلاء قرءوا القرآن ، ولو مرة واحدة بتدبر وتعقل ، وبغير تعصب لعرفوا استحالة صدوره من بشر مهما كان مستواه الفكري ، ولو كان الأمر كما يقولون لكانت قريش ، وهي أعدى أعداء الرسول(ص) وأكثر الناس معرفة بالعربية وعلومها ، قد وجدت ما تريده في تكذيبها الرسول(ص) ، ولاسيما إذا كان هذا الأمر قد نشأ نتيجة للقاء الرسول(ص) وبحيرا ، وهم يعرفون بحيرا جيدا طالما انهم كانوا معه في سفراته إلى الشام[1]. وقد رد المستشرق كارلايل على هذا المزاعم في كتابه الأبطال وفند آراء المستشرقين (آن لنا ان نرفض جميع هذه الأقوال ، فأني لأمقت كل من يرمي محمدا بمثل هذه الأكاذيب ، وما كان ذو نظر صادق ، ليرى

---

١ - للمزيد من التفاصيل راجع الزرقاني ، مناهل العرفان، ٣٠٧/٢.

قط في القرآن مثل هذا الرأي الباطل)[1].

٨ـ ان الأساس الذي بنيت عليه هذه الآراء ضعيف جدا ، إذ أنها استندت إلى روايات بينا ضعفها فيما سبق متنا وسندا ولاسيما رواية بحيرا ، إذ لم ترد إلا عن طريق شخص اسلم بعد اللقاء بثمانية وأربعين عاما ، فكيف تكون أساسا لهذه الآراء مع معرفتنا ان ما بني على خطأ فهو خطأ.

٩ـ لقد وقع المستشرقون في ازدواجية عند تركيزهم على رواية بحيرا ، ففي الوقت الذي ينكرون فيه نبوة محمد (ص) يتناسون بأن الراهب بشره بالنبوة ، وكان محور اللقاء في الرواية هو هذا التبشير وليس تعليمه الدين كما يدعون ، ثم يعودوا مرة أخرى إلى إنكار الخوارق التي ذكرتها الرواية ، وسوف نأخذ مثلا على ذلك المستشرق ارفنج الذي يعده بعضهم من المعتدلين فقد ذكر ان الكتاب المسلمين يروون (كعادتهم كثيرا من الروايات العجيبة عن رحلة الشاب التي تدل على ان العناية الإلهية تحيط به دائما ، ففي خلال سفره في هذه الصحراء المحرقة كان ملاك غير مرئي يظله بأجنحته ....)[2] ، لكنه ليس لديه أدنى شك في ان هذا الراهب علم محمدا(ص) الكثير من الأمور الدينية فيقول: (استقبل الرهبان أبا طالب وأبن أخيه بترحيب عظيم ، تحدث أحد الرهبان مع محمد ، وأعجب كثيرا بعقليته ورغبته في الاستزادة من العلم وبخاصة المسائل الدينية... ولاشك ان الراهب قد وضع همه في القضاء على تعاليم الكفر التي تلقاها الشاب... وينسب الكثيرون معلومات محمد عن الدين المسيحي إلى محادثاته مع ذلك الراهب)[3] ، كما انهم لم يخضعوا هذه الرواية للنقد العلمي اللازم للتحقيق التاريخي ، وذلك لأنهم استفادوا منها في الطعن بالدين الإسلامي ونبوة النبي(ص).

---

١ - كارلايل، الأبطال، ص٦٠- ٦١ وما بعدها.

٢ - ارفنج ،حياة محمد ، ص٤٧- ٤٧ .

٣ - ارفنج، حياة محمد ، ص٤٨.

١٠ـ ذكر المستشرقون ان بحيرا كان راهبا نسطوريا ، مستندين في ذلك إلى ان المذهب النسطوري يحرم الصور والتماثيل ، الأمر الذي حرمه الإسلام أيضا ، فاعتقدوا ان الإسلام مشتق من هذا المذهب ، كذلك استندوا إلى إطلاق اسم نسطورا عند بعض الرواة على بحيرا ، لكنهم اخطأوا في تقديرهم هذا ، وذلك ان المذهب النسطوري كان منتشرا في العراق ، في حين كان المذهب اليعقوبي منتشرا في بلاد الشام ، لاسيما ان صاحب هذا المذهب كان عربيا[1] .

١ - ابن حزم، الملل والنحل، ٤٩/١، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ٦٢٨/٦، عوض الله، مكة والمدينة، ص١٩، المرأة في الشعر الجاهلي، ص٣٤.

موارد إنفاق أموال السيدة خديجة(ع)

لابـد لنـا مـن التعـرف ايـن أنفقـت أمـوال السـيدة خديجة(ع) ، لاسـيما ان هـذه المسـألة كـان لهـا صـدى واسـع في روايـات السـيرة ، وكتابـات البـاحثين سـواء مـن المسلمين أو غيرهم ، فيسأل أحد المستشرقين وأسمه لامنس فقال وهو يتحدث عن زواج فاطمـة بنـت الرسول(ص) (كيـف لـم يكـن باستطاعته ان يخص فاطمـة بهديـة سنية تحملها إلى بيت عريسها؟) ثم يتساءل أين ذهبت هذه الأموال وهي كثيرة؟[1] ، وهذه التساؤلات أجاب عنها أحد الباحثين بأن هذه الأموال كانت قليلة وقد صرفت في الدعوة الإسلامية ، كذلك بقاء الرسول(ص) وزوجته خمسا وعشرين سنة بدون عمل أدى إلى نفاذ هذا المال[2].

لكـن رأي الباحـث أعـلاه غير منطقي لأنـه لـيس مـن المعقـول ان يبقـى رسـول الله(ص) بدون عمل بعد زواجه من السيدة خديجة ، لاسيما ان هذا الأمر لا يتلاءم وسيرته ، فنراه يؤكد بصورة مستمرة على العمـل ويحث عليه ، فبعد الزواج أصبح لديـه رأس مـال كـاف ليبتـدئ بـه تجارة تشبه تجارة أهل مكـة وقتـذاك ، وقد وصلتنا بعض الروايات تشير إلى نشاطه التجاري ، ففـي روايـة أنـه بايع أحـد التجار سلعة ووعده في مكان معين لكن التـاجر نسي الأمر ، وبعـد ان تـذكره أتاه بعد ثلاثة أيام

---

١ ـ نقلا عن عمر أبو النصر ، فاطمة بنت رسول الله(ص) ، ص٧١ ـ ٧٢.

٢ ـ عمر أبو النصر ، فاطمة بنت رسول الله(ص) ، ص٧٢.

فوجد الرسول(ص) ينتظره فقال له: (يا فتى لقد شققت علي أنا ها هنا مذ ثلاثة أيام أنتظرك)[1].

وبعد البعثة وردت رواية عن أبي سفيان أنه كان خارجا إلى اليمن في تجارة ثم عاد إلى مكة ، فجاءه أهل مكة يسألون عن بضائعهم ، ثم جاء النبي(ص) فسلم عليه ولم يسأله عن بضاعته ثم قام ، فقال أبو سفيان لزوجته: (إن هذا ليعجبني ما من أحد من قريش له بضاعة إلا وسألني عنها ، وما سألني هذا عن بضاعته فقالت لي هند: أو ما علمت شأنه ، فقلت وأنا فزع ، ما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله)[2].

ويبدو ان رسول الله(ص) كان مختصا في بيع الأقمشة ، فعندما التقاه حكيم بن حزام في سوق حباشة اشترى منه نوع من أنواع الأقمشة ، وبعد البعثة حصلنا على روايتين تشيران إلى شراء رسول الله(ص) هذا القماش من تجار قدموا إلى مكة[3].

وفي رواية ان أحد تجار قبيلة زبيد اليمنية قدم مكة بتجارة فأراد بيعها إلى أبي جهل بن هشام ، لكنه ظلمه بثمنها فأخذ الرجل يقول: (يا معشر قريش كيف تدخل عليكم مادة أو جلب وأنتم تظلمون من دخل اليكم ، وجعل يقف على الخلق حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ظلمك؟ قال: أبو الحكم طلب مني ثلاثة جمال وهي خيار أبلي فلم أبعه إياها بالوكس ، فليس يبتاعها أحد مني اتباعا لمرضاته ، فقد أكسد سلعتي وظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأين جمالك؟ قال: هي هذه بالحزورة ، فأبتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فباع جملين منها بالثمن الذي التمسته ، وباع البعير الثالث وأعطى ثمنه أرامل بني عبد المطلب)[4].

---

١ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥٩/٧، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٣٢/٢ ـ ٢٣٣، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥١/١.

٢ ـ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢٣/٣.

٣ ـ الترمذي، سنن الترمذي، ٥٦٨/٣، أبو الشيخ، أخلاق النبي، ص١٢٠، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤٩٣/٢.

٤ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٣٠/١.

وقد يتبادر إلى الذهن ان انشغال رسول الله(ص) بالتفكر والتعبد أبعده عن دائرة الأعمال ، لأنه هو الجزء الغالب على مرويات السيرة ، على الرغم من ان هذا الرأي قريب من الواقع ، لكن في الوقت نفسه نقول ان التفكر والتعبد لم يأخذ كل وقت الرسول(ص) ، لأنه كما تذكر الروايات كان في أوقات معينة من السنة ، وهذه الروايات التي قدمناها تشير بوضوح إلى أنه أستمر في العمل التجاري ، لكن ليس فيها ما يدل على أنه خرج إلى خارج مكة للتجارة ، ولا يستبعد ان تبقى السيدة خديجة(ع) تباشر إدارة أموالها وتجارتها ، وإذا رجحنا هذا الاحتمال فهذا يعني ان زوجها رسول الله(ص) لم يمنعها من ممارسة العمل التجاري والتصرف الحر بمالها باسم القوامة الزوجية أو السلطة الدينية وهو صاحب التشريع ، أي ان الإسلام لم يحرم المرأة من حقها في العمل[1] ، كما أننا ذكرنا ان القوافل المشتركة التي كانت تبعث بها قريش هيأت لها إرسال أموالها معها دون ان تخرج هي والرسول(ص) إلى التجارة بأنفسهم ، وهذا ما تشير إليه رواية أبي سفيان.

أما حجم أموال السيدة خديجة(ع) فعلى الرغم من ان الروايات لا تعطينا صورة واضحة عنها ، لكنها تذكر إنها كانت من تجار قريش ، أو ترسل تجارتها مع الأمناء ، أو انها (ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث إلى الشام فيكون في عيرها كعامة عير قريش..) ، أو (أن عيرها كان كعامة عير قريش).

ومن خلال معرفة حجم الإنفاق الذي كان ينفقه الرسول(ص) ، يمكن ان نستخلص ان هذه الأموال كانت كثيرة ، فقد روي ان الرسول(ص) كان يعتمد على مال السيدة خديجة بصورة كبيرة ، فكان (يفك من مالها الغارم والعاني ويحمل الكل ويعطي في النائبة ، ورفد فقراء اصحابة إذ كان بمكة ، ويحمل من أراد منهم الهجرة ، وكانت قريش إذا رحلت عيرها في الرحلتين ، كانت طائفة العير لخديجة ، وكانت اكثر قريش مالا ، وكان ينفق منه ما شاء في حياتها ، ثم ورثها هو وولدها بعد

---

١ ـ طبارة، التحرر يبدأ في عقول الرجال والنساء، ص٦٩ ـ ٧٠.

مماتها)[1] ، ويؤيد هذه الرواية ما جاء في الكثير من الروايات من ان الرسول(ص) كان يساعد أصحابه من هذا المال ، ففي رواية ان عمر بن الخطاب دخل (على حفصة وأسماء بنت عميس عندها ، فقال حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس ، قال عمر: الحبشية هذه ، البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم ، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت أسماء ، وقالت:كلا والله كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار البعداء والبغضاء بالحبشة ، وذلك في الله وفي رسول الله ، وأيم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا ، حتى أذكر ما قلت للنبي ، وأسأله ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه ، فلما جاء النبي قالت: يا نبي الله ان عمر قال: كذا وكذا ، قالت: قال: (فما قلت له؟ قالت: كذا وكذا ، قال: ليس باحق بي منكم له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم هجرتان)[2].

وهذا يعني ان السيدة خديجة كانت تمتلك كمية كبيرة من الأموال ، لأن الرسول(ص) كان ينفق منها حتى هجرته إلى المدينة ، ويساعد الكثير من أصحابه ممن لا يمتلكون أموال ، وقد نستدل على هذه الكثرة من خلال تفرغ الرسول(ص) للتفكر والتعبد بعد زواجه من السيدة خديجة(ع) ، أي إنه لم يعد بحاجة إلى قضاء كل وقته في ممارسة التجارة ، ومن خلال تتبع بعض الإشارات التي أوردتها بعض المصادر ، نستطيع تكوين تصور بسيط عن أموال السيدة خديجة(ع) ، ففي كل سفرة يقوم بها الرسول(ص) ، كانت تعطيه حصة من الأرباح ، فمثلا عندما عاد من الشام أعطته ثمانية أبكار ، وهي نسبة عالية لشخص يعمل في أموال غيره ، مما يدل على كثرة الأموال والأرباح ، كما تذكر الروايات انها أعطت لأبنتها زينب بيتا عندما تزوجت من أبي العاص بن الربيع[3] ، وهو غير البيت الذي سكنته مع الرسول(ص) بعد الزواج.

---

١ - الطوسي، الأمالي، ص٤٦٨ ، المجلسي، بحار الأنوار، ٦٣/١٩.

٢ - مسلم، صحيح مسلم، ١٧٢/٧ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٨١/٨ ، ابن حنبل، المسند، ٣٩٥/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧٢/٧.

٣ - الأزرقي، أخبار مكة، ١٩٩/٢ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٢/٢.

ولو تتبعنا الموارد التي انفقت فيها أموال السيدة خديجة(ع) ، لعرفنا ان أموالها كانت كثيرة وقد انفقت على مراحل ، إذ بقي الرسول(ص) ينفق منها لمدة طويلة جدا ، فكانت خير عون له وللمسلمين في تلك الفترة ، التي عانى فيها المسلمون من المقاطعة والحصار وغيرها من الأساليب ، من اجل ثنيهم عن التمسك بدينهم.

فقبل البعثة النبوية تتبعت السيدة خديجة الأشخاص الذين تربطهم علاقة بالرسول(ص) وأخذت تكرمهم ، فبدأت بإرسال الصلات والعطايا إلى أسرة أبي طالب[1] ، ثم طلب رسول الله(ص) مع عمه أبي طالب ، ان يدفع له أحد ولده ، يتربى في بيته لأن الحالة المادية لأبي طالب لم تكن بالمستوى المطلوب ، فقال له أبو طالب: (إن تركتما لي عقيلا ، فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله عليا وضمه اليه)[2] ، وعندما أخذه الرسول(ص) أهتم به كأنه ولده ، وبالغت السيدة خديجة في إكرامه ، فأخذت تلبسه فاخر الثياب[3].

كما قامت السيدة خديجة(ع) بإكرام ثويبة مولاة أبي لهب ، التي أرضعت الرسول(ص) عند ولادته ، وبقيت ترسل إليها العطايا طيلة حياتها ، وقبل ذلك عرضت على أبي لهب ان تشتريها منه فرفض الأمر[4] ، كما أكرمت السيدة خديجة(ع) حليمة السعدية التي تولت العناية بالرسول(ص) وإرضاعه في صغره ، لذلك عندما قدمت حليمة السعدية لزيارة الرسول(ص) ، أعطتها السيدة خديجة(ع) أربعين شاة وبعيرا[5].

---

١ - المسعودي، إثبات الوصية، ص١٥٩.

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٨/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٨/٢، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٥٧٦/٣، ابن البطريق، العمدة، ص٦٣.

٣ - المسعودي، إثبات الوصية، ص١٥٩.

٤ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٠٨/١ ـ ١٠٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٦/١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٢٨/١، ابن الجوزي، الوفا، ١٠٧/١، النويري، نهاية الأرب، ٨٠/١٦ ـ ٨١.

٥ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١١٤/١، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٥/١، السهيلي، الروض الأنف، ١٩٢/١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٦١/١ ـ ٦٢، أبو الفداء، المختصر، ١١٣/١.

وكانت أموال السيدة خديجة(ع) حاضرة بعد البعثة ، ففي خضم المعركة الكبرى التي خاضها الإسلام لمحاربة الشرك ، قاسى المسلمون فيها شتى أنواع العذاب ، واستخدم المشركون كل الوسائل للتضييق على من اتبع محمد ، وكان في مقدمة هذه الوسائل العامل الاقتصادي ، فصادروا أموال المسلمين وحرموهم من العمل ، فأدى هذا الأمر إلى فقدان الكثير من المسلمين لأموالهم ، وحرموا من العمل نتيجة لهيمنة المشركين على اقتصاد مكة ، إذ كان هؤلاء يحذرون التجار الذين يقدمون إلى مكة من الكلام مع النبي(ص) ، لأنهم كانوا يقولون لهم ان كلام محمد فيه سحر ، لذلك لم يجرؤ أحد على التعامل التجاري معه[1] ، وكان أبو جهل (عمرو بن هشام) يأتي الرجل المسلم فيقول له إذا أسلم: (أتترك دين أبيك وهو خير منك وتفيل شرفه؟ وان كان تاجرا قال ستكسد تجارتك ويهلك مالك ، وان كان ضعيفا أغرى به حتى يعذب)[2]. وهذا يعني ان التجار لا يستطيعون ان يبيعوا محمد(ص) وأتباعه خوفا من وجهاء قريش ، كما ان المسلمين عندما يأتون بتجارة إلى مكة لن يجدوا من يشتريها منهم ، خصوصا وان أكثر التجار كانوا مشركين.

ثم قرر المشركون محاصرة الرسول(ص) ومن يسانده في شعب أبي طالب ، بعد ان يأسوا من رده عن دعوته ، ومن التأثير على عمه أبي طالب بترك الدفاع عنه ، لذلك خرج به إلى الشعب وخرجت معه بنو هاشم وبنو المطلب وقالوا: (نموت عن آخرنا قبل ان يوصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا إلى الشعب مسلمهم ومشركهم المسلم لدينه والمشرك حمية)[3]. فكتبت قريش صحيفة تعاهدت فيها على ان (لا يبايعوا بني هاشم ، ولا يناكحوهم ولا يعاملوهم ، حتى يدفعوا اليهم محمد فيقتلوه)[4] ، ثم وصل الأمر إلى إجبار بني هاشم ألا يخرجوا إلى الأسواق إلا

---

١ ـ ابن كثير، البداية والنهاية، ٦١/٣.

٢ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٩٨/١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٩/٣.

٣ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٣٠/١.

٤ ـ مؤرج، حذف من نسب قريش، ص٢٥ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٠٨/١ ـ ٢٠٩.

في موسم الحج[1] ، لكن هذه الخطوة كانت محفوفة بالصعوبات ، لأن المشركين من كبار قريش كانوا يعملون على زيادة أسعار السلع التي تفد إلى مكة فالتاجر الذي يأتي مكة يدفعون إليه أعلى سعر مقابل سلعته حتى لا يبيعها إلى بني هاشم ، وكان الوليد بن المغيرة المخزومي ينادي: (فمن رأيتموه عنده طعام يشتريه فزيدوا عليه وحولوا بينه وبينهم ، ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعليّ النقد)[2] ، وكذلك كان حال أبي جهل وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث فقد مارسوا شتى أنواع العروض والضغوط على التجار ، لئلا يبيعوا لبني هاشم شيئا ، ثم يعودوا اليهم ليربحوهم على سلعهم ، فوصل بنو هاشم إلى درجة كبيرة من الجهد والبلاء (حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع)[3].

وكان عدد المحصورين في الشعب كبيرا ، وهذا العدد كان يحتاج إلى طعام ومؤونة ، فكان مال السيدة خديجة(ص) خير عون لهم في هذه الأزمة التي استمرت ثلاث سنوات ، لكن صعوبة هذا الحصار أدت إلى نفاد هذا المال ، حيث ذكرت الروايات ان السيدة خديجة(ع) كان لها مال كثير أنفقته في الشعب ، وكذلك فعل أبو طالب والرسول(ص) حتى وصلوا حد الفقر والفاقة[4].

وبعد ان خرج رسول الله(ص) وبنو هاشم من الشعب الذي حوصروا فيه كانت هذه الأموال قد شارفت على الفناء ، لكن بقي منها ما مكن الرسول(ص) من إدامة حياته حتى الهجرة إلى المدينة ، ففي رواية ان رسول الله(ص) عندما أراد الهجرة أشترى أبو بكر (رض) بعيرين فقدم أحدهما إلى الرسول(ص) ، فقال له

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٠٨/١ ، المقريزي، إمتاع الأسماع، ٢٥/١.

٢ ـ ابن أسحاق، السير والمغازي، ص١٥٩.

٣ ـ ابن أسحاق، السير والمغازي، ص١٥٠ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٠٩/١ ، المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٢٤.

٤ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٥/٢ ، الطبرسي، أعلام الورى، ص٦٠ ، ابن شهر آشوب، المناقب، ٥٨/١.

الرسول(ص): (لا ، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به ، قال: أخذتها بكذا وكذا ، وقال: قد أخذتها بذلك ، قال: هي لك ، والحكمة في أنه صلى الله عليه وسلم أحب ان لا تكون هجرته إلا من مال نفسه)[1] ، ومن الطبيعي بعد كل هذا الإنفاق الكبير ان تنتهي هذه الأموال ، أو تتناقص بدرجة كبيرة ، لأن نسبة الصرف كانت أعلى من نسبة التجارة.

---

١ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٣٧٥، المسعودي، مروج الذهب، ٢/٢٧٩.

زواج الرسول(ص) من السيدة خديجة (ع)

أسباب زواج الرسول(ص) منها

يجبُ ان نتساءل في بادئ الأمر ما هو سبب هذا الزواج ، ومن أجل ان نتوقف على هذا السبب ، سندرس أولا ما جاء في بعض الروايات التي تحدثت عن هذا الأمر ، فمثلا روى ابن اسحاق ان سبب زواجها ، هو ما أخبرها ميسرة غلامها من قول الراهب ، وما رآه من تظليل الملائكة له: (فكان ميسرة فيما يزعمون ، إذا كانت الهاجرة ، وأشتد الحر ، يرى ملكين يظلانه من الشمس ، وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به فأضعفت له ، أو قريبا من ذلك ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه ، ...... فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها ، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون: ياابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك....)[1] ، وقد ناقشنا فيما سبق مسألة الرهبان وغيرها ، ويجدر بنا ان نبحث عن أسباب أكثر واقعية ، تلائم هذا الأمر العظيم الذي يربط سيد الكائنات بسيدة النساء.

فلو ناقشنا الأسباب التي جعلت رسول الله(ص) يتأخر في الزواج حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، مع ان المجتمع الذي كان يعيش فيه يركز على الزواج المبكر ، فقد يتبادر إلى الذهن ان الفقر هو السبب ، إلا ان هذا الأمر لا يمكن قبوله ، لأنه كان يمتلك من الأموال ما يؤهله للزواج ، وقد تحدثنا عن عمله في التجارة مع

---

١ . ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٣٦.

السيدة خديجة(ع) وقبلها ، ومع اننا نعرف انه لم يكن بالمستوى المادي لتجار قريش ، لكنه كان يمتلك من المؤهلات ما يفتقده غيره ، فلو تركنا جانبا ما نعرفه عن الرقي الأخلاقي الذي تمتع به ، وأتينا إلى انتمائه الأسري نجد إنه كان واسطة العقد من قريش ، فبالرغم من نشأته يتيم الأب والأم ، لكنه تربى في بيوت سادة قريش وزعمائها ، فعاش في كنف جده عبد المطلب سنتين ، ثم انتقل ليعيش مع عمه أبي طالب كبير بني هاشم وسيد مكة المنظور إليه كأحد أبناءه ، إذن هو يمثلُ امتداداً لتلك الأسرة التي جمعت مكارم الأخلاق والسيادة ، فنشأ سيدا وجيهاً صادقاً أميناً وقورا قبل ان يدعو الناس للإسلام ، فلو انه أراد الزواج ففي بني هاشم الكثير من النساء ، وبإمكانه ان يتزوج وهو صغير السن ، ولو إنه تقدم لقرشية من بنات سادة قريش ، لما ترددت ولما تردد أهلها في الارتباط بمحمد الهاشمي ، ولفرحوا وهم يقرنوا أسمهم باسم هذه الأسرة الكريمة ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما تمتع به محمد من صفات ، صدق أمانة حياء شجاعة نفس كريمة عالية إلى غير ذلك ، نجد ان أمر الزواج سهل عليه ، ولا يحتاج إلى ان نبحث في أسباب مادية زائفة.

لقد كان محمد الهاشمي المكي يختلف عن الآخرين ، لم تكن حياته بهذه البساطة ، كان يعيش مع الناس لكن قلبه معلق بالسماء ، يراهم يسجدون للحجر ويطوفون بالبيت عراة ، يأكلون الميتة ويعتدي بعضهم على بعض ، يكذبون يسرقون يقترفون الرذائل ، لكنه لا يعيش معهم إلا بجسده ، لأنه صنع عالمه المثالي الخاص ، عالم الصفاء الروحي القريب من السماء ، وهو يشعر انه مهيأ لأمر كبير عظيم ، لا يوجد له ما يشبهه في هذا الواقع الذي يعيشه ، فقد نشأ ورعاً فاضلاً رشيداً بعيداً عن الضياع في المنزلقات الدنيوية والشهوات ، وتبدو عليه آثار التفكر والتأمل ؛ يلبث أياماً متفكراً في آثار القدرة الإلهية وعظمة الصانع البديع ، لذلك تأخر في الزواج وهو يبحث عن امرأة تختلف عن الاخريات ، تحمل صفات خاصة ترتقي إلى عظمة نفسه ، تلائم مستواه الروحي والفكري ، فما هي الفائدة في امرأة تتقرب إلى الأصنام ، أو تؤمن بما يؤمن به المجتمع المكي ، لقد كان يبحث عن امرأة تسانده على

ما يشغله من أفكار ، فهو يبحث ويتفكر في عظمة الخالق ، ويشعر بقربه للسماء ، والتساؤلات حول ما موجود نشأت معه منذ طفولته ، فكيف السبيل إلى ذلك هذا ما يرجو ان يجد له إجابة ، لذلك إذا كان لا بد ان يتزوج فيجب ان تكون تلك المرأة بهذا المستوى ، فلما التقى بالسيدة خديجة(ع) وجد كل ما يبحث عنه ، فكانت امرأة بمستوى الاختيار ، اجتمعت فيها كل صفات الخير ، فعجز تاريخ النساء ان يأتي بامرأةٍ كخديجة ، فلم تحفظ لنا ثنايا هذا التاريخ سيرة امرأة كخديجة(ع) فاحت سيرتها بالعطاء والعفاف والقوة ، نعم عرف عن بعض النساء اشتهارهن بفضيلة وبلوغهن لإحدى القمم ، لكنها حازت الفضائل كلها وبلغت ذروة القمم ، ولو أردنا التعرف على صدق ما ذهبنا اليه ، نحتاج إلى دراسة سيرتها بعد الزواج لنعرف دقة اختيار الرسول(ص) ، ونحن هنا لا نستطيع إلا القول ان التوفيق والعناية الإلهية كانت حاضرة في هذا الزواج ، فالذي اصطفاه الباري عز وجل ليجعله خاتما لرسله وأنبيائه ، ليس من المستبعد ان يكون وفقه لهذا الاختيار.

أما سيدتنا خديجة(ع) فلا بد لنا ان نبحث عن أسباب زواجها من الرسول(ص) ، لانها أيضا كانت متأخرة في الزواج ، فلو ذهبنا مع الرواية التي تقول إنها تزوجت منه وعمرها أربعين سنة ، فهو عمر كبير جدا لزواج امرأة في بلد تنضج فيه المرأة بسرعة ، وحتى لو أيدنا الرواية التي تقول ان عمرها ثمان وعشرين سنة فهو عمر كبير أيضا ، فكيف لم تتزوج وهي بهذا العمر؟

ذكرت الروايات أنها كانت امرأة (حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم مالا ، وكل قومها حريص على نكاحها لو قدر على ذلك ، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال)[1]. ولهذه الصفات المجتمعة في هذه المرأة ، سعى كبار قريش لخطبتها وكل سيد من ساداتهم كان يأمل ان ينال موافقتها والزواج منها ، لكنها دفعت كل هؤلاء ، وأخذت تبحث عن

١ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١/١٣١ ـ ١٣٢.

شخص بمواصفات خاصة ، فكل امرأة تبحث عن أشياء ترغب في ان تجدها في الرجل الذي تريد ربط حياتها بحياته ، فهي حسب ما قدمنا تتمتع بصفات قلما تجتمع في امرأة ، فهي جميلة مع حزم وقوة ، جلدة بمعنى إنها صلبة وصبوره ، تعمل في مجال كل رواده من الرجال ، فتبرز وتتصدى له وهي امرأة من دون ان يؤثر ذلك على أنوثتها وعفافها ، فكانت وحيدة بين قومها فريدة بين أترابها ، تنعم بمكانة سامية بين قومها لجمال خلقها ، وكريم أخلاقها ونقاء سريرتها ، وخلوصها من إشراك الجهل وأوثان الفساد[1]. لذلك استمرت في رفض كل من يتقدم لخطبتها من أشراف قريش ، لأنها كانت تقيس الأمور بمقاييس نفسها العالية ، وكانت تحسُ بأن القدر الإلهي يخبئ لها شيئاً ، لا تدري ما هو لكنها تستشعر بالطمأنينة قد دخلت قلبها وملكت حواسها.

لذلك وجدت ما تبحث عنه في شخص واحد ، اجتمع فيه شرف النسب وكمال الأخلاق ، وجمال الطلعة واكتمال الشباب ، وكان هذا الشخص الذي جمع كل هذه الأمور محمد(ص) ، الذي لم يجمعها بالحد الأدنى أو المقبول ، بل جمعها على مستوى الكمال ، لذلك لم تتردد في ان تعرض عليه الزواج ، ولم تفكر بالمال وما يمتلكه هذا الشاب ، لأنها لم تكن بحاجة إلى ان يكدس أمواله على أموالها ، بل كانت بحاجة إلى رجل يسمو عن أقرانه بكرم أخلاقه وحميد صفاته[2] ، أما ما يروى يروى من ان التجارة هي السبب الرئيس في زواجهما ، أو ان الحاجة هي التي دفعتها لتتزوج به من أجل الحفاظ على أموالها وتنميتها ، فهو غير دقيق لأن الأمر لو كان كذلك ، فليس من الصعوبة ان تجد هكذا رجل ، وقد قدمنا ان سبب زواجها بالرسول(ص) لا يتعلق بالماديات ، إذ لو كان كذلك لتزوجت من الأثرياء الذين تقدموا لها ، والسؤال لماذا نستكثر على خديجة(ع) عزوفها عن الزواج حتى هذا

---

١ ـ أبو النصر، فاطمة، ص٣٢.

٢ ـ السحار، خديجة بنت خويلد، ص٤٠.

العمر المتقدم ، وبيننا الآن الكثير من النساء لم يتزوجن ، لأنهن لم يجدن الرجل المناسب لهن ، على الرغم من تقدم الكثير من الرجال للزواج بهن.

وعليه يمكن القول إنها كانت تبحث عن حياة زوجية متميزة ، قوامها التدين والطهر فهي الطاهرة بين النساء ، وقد عرف عنها الرسول(ص) إنها كريمة مع المقربين منها وغيرهم ، قوية في عملها وشخصيتها ، خبيرة بقومها تعرف الرجال وتسخرهم للعمل معها ، وهذا الأمر جعلها تعرف معادنهم ولم يستهوي قلبها أحدهم ، حتى رأت محمداً الهاشمي ، فوجدته كريما حليما صبورا عصاميا ، حلو الطباع لطيف المعشر ، تفيض الرحمة والمودة منه ، اجتمعت فيه كل خصائص الفضل ، فلم تعدو لغيره لتختاره زوجا لها.

لذلك عندما عرضت عليه الزواج لم يتردد في القبول ، لأنه خبرها وعرفها طيلة فترة العمل معها ، وعرف سجاياها الحميدة وخلقها الرفيع ، وشعر بأنها هي الوحيدة القادرة على تحمل ما يشغله ، ومشاطرته الرسالة التي يحس بقرب تحمله لها ، فهي من أسرة متدينة عرفت التوحيد ، وهي نفسها مؤمنة وأن لم تذكر الروايات ذلك ، والدليل إنها صدقته عندما نُبّيء ولم تتردد في إتباعه ، في الوقت الذي كذبه الناس ، وتحملت معه في تبليغ الرسالة ما يعجز عنه اقوى الرجال.

ولو أتينا إلى تأثير العمل التجاري على هذا الزواج ، والذي حاول البعض جعله السبب الرئيسي له ، فلا ضير ان السيدة خديجة عندما عمل معها ، شعرت بالحاجة إلى شخص مثله يتمتع بالأمانة والصدق والأخلاق الرفيعة ، علاوة على الخبرة التجارية فأقبلت عليه لكي يعمل معها من أجل المحافظة على مالها ، لكنه ليس الأساس الذي قام عليه هذا الزواج ، وهو أمر غير موضوعي ان نتجاوز كل الأسباب ، ونركز على السبب المادي فقط ، وفي نفس الوقت نقول ان الذي طرح هكذا آراء ، وجد مبررا لها في الرواية التي تذكر ان عمرها كان أربعين سنة عندما تزوجت بالرسول(ص) ، فافترضوا ان الذي جعله يقدم على هذه الخطوة هو إغراء المال ، لأنهم لم يدر بخلدهم ان شابا في الخامسة والعشرين من عمره ، يقدم على

الزواج من امرأة أسن منه بخمسة عشر عاما وقد تكون بعمر أمه ، إلا إذا كان هناك سبب قوي يدفعه لذلك ، فكان مال خديجة وفق أصحاب هذا الرأي سيكون من أسس الدعوة الإسلامية ، وقد عبر المستشرق بودلي عن هذا الرأي بالقول: (دخل محمد في خدمة خديجة فوضع قدمه على الدرج الأول الذي سيوصله يوما إلى بلاد العرب جميعا)[1] ، ونحن وان كنا مع هذا الرأي ، من حيث أنه كان من الأركان الرئيسية التي ساعدت في انتصار الإسلام ، ووفرت للرسول(ص) حياة هانئة مستقرة مكنته من التفرغ لحياة التعبد ، لكننا في الوقت نفسه نقف ضد الرأي الذي ألمح إليه ولم يفصح عنه بصراحة ، فيما أفصح عنه غيره في ان الرسول(ص) لو لم يحصل على هذا المال لم يكتب له ولدعوته هذا الانتصار الذي حققته ، لأن أمر الله تعالى كان سيتم بمال السيدة خديجة(ع) أو بدونه ، ومكانتها تأتي من حيث انها أعطت هذا المال طائعة مختارة راضية غير آبهه به.

إذن التوافق التام بين الطرفين كان سببا في الزواج وعاملا مهما في نجاحه ، فقد وجدت فيه صفات الرجل الكامل ، ووجد فيها صفات المرأة المثالية ، وهذه العوامل جعلت هذا الزواج ناجحا ، حيث توفرت فيه كل العناصر التي تجعله سعيدا ، ولم يكن ينقص الرسول(ص) سوى كثرة المال الذي تحتاج إليه الحياة الهانئة ، وقد امتلكته هي رغم ان الرسول(ص) لم يكن يسعى إليه في بداية حياته أو بعد النبوة.

---

١ ـ بودلي، الرسول، ص٤٠.

روايات الزواج

وردت الكثير من الروايات تتحدث عن زواج الرسول(ص) ، وقد اختلفت في كثير من الأمور ، وورد فيها أشياء مقبولة وأخرى غير مقبولة ، سنحاول مناقشة هذه الروايات بناءً على المواضيع التي تناولتها ، وفي مقدمة هذه المواضيع شخصية ولي أمر السيدة خديجة(ع) في هذا الزواج.

أورد بعض الرواة ان خويلد بن أسد والد السيدة خديجة هو من تولى أمر زواجها[1] ، فيما ذكر غيرهم ان عمها عمرو بن أسد كان هو الموجود في خطبتها[2] ، لكن الروايات التي ذكرت ان عمها هو من تواجد في ذلك اليوم أقوى ، لكثرتها وتنوع مصادرها ، علاوة على ورودها عن مجموعة من الصحابة ، إذ روى الواقدي بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة(رض): (أن عمها عمرو بن أسد زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أباها مات قبل الفجار)[3] ، كما

---

١ ـ ابن اسحاق، السير والمغازي، ص٨٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٢/١ ـ ١٧٣، الصنعاني، المصنف، ٣٠٠/٥، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣١/١ ـ ١٣٢.ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٧ ـ ٣٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٠/٢، ٢٨٢، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧٠/٢٢، البيهقي، دلائل النبوة، ٩٠/١ ـ ٩١.

٢ ـ ابن اسحاق، السير والمغازي، ص٨٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٢/١ ـ ١٧٣، ابن حبيب، المحبر، ص٧٨، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٧ ـ ٣٩، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٧/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٠/٢، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧٠/٢٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٨٩/٦، الكلاعي، الاكتفاء، ١٩٨/١ ـ ١٩٩.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦/٨، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٨.

أورد الواقدي بسندين عن ابن عباس وجبير بن مطعم ، ان عمها هو الذي زوجها وإن أباها مات في حرب الفجار[1] ، كما أورد هشام بن محمد الكلبي بسنده عن ابن عباس (زوج عمرو بن أسد خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو شيخ كبير لم يبق لأسد لصلبه يومئذ غيره)[2] ، وذكر مصعب الزبيري ان الذي زوجها عمها عمرو بن أسد[3] ، إضافة إلى اننا ذكرنا ان أباها مات في حرب الفجار أو بعدها بقليل.

كذلك فإن الروايات التي ذكرت ان أباها كان ولي أمرها في الزواج ، جاءت عن طريق الزهري فقط وأخذ عنه بقية الرواة ، ولم يذكر المصدر الذي أخذ عنه روايته ، وقد ذكرنا سابقا ان الزهري انفرد برواية مرسلة عن بقية الرواة ، تتحدث عن زواج الرسول(ص) من السيدة خديجة(ع) بعد عودته من سوق حباشة ، فيما أجمع كل الرواة على ان الزواج تم بعد رحلة الشام. والأمر الآخر في هذا الموضوع ما ذكره ابن إسحاق في ان أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها[4] ، وهذا الأمر لا يمكن قبوله لأن السيدة خديجة (ع) لم يكن لها أخ اسمه عمرو ، فربما كان قصده عمرو بن أسد عمها.

ثم تطرقت بعض الروايات إلى أمر غاية في العجب ، إذ أوردت هذه الروايات أنها سقت أباها أو عمها خمرا حتى يوافق على أمر الزواج ، فيما ذهبت روايات أخرى أنه كان ثملا عندما كلمته في الأمر ، وهناك بعض الروايات لم تذكر هذا الأمر.

ولو أتينا إلى تفحص هذه الروايات ، نجد ان هناك إصرار على مسألة الخمر فيها ، لدرجة غير معقولة فنسبت تارة إلى والد السيدة خديجة ، وإلى عمها تارة

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٦/٨.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٣٢/١ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٧/١.

٣ ـ نسب قريش، ص٢٠٧.

٤ ـ السهيلي، الروض الأنف، ٢١٤/١ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٥٠/١ ، النويري، نهاية الأرب، ٩٨/١٦ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٦/٢.

أخرى ، وهذا يجعلنا في شك من هذه المسألة ، وانها وضعت للإساءة لمقام الرسول(ص) والسيدة خديجة(ع) ، وسنعرض بعض من هذه الروايات:

ذكر الزهري ان أباها كان ثملاً من الشراب (فانطلقت إلى أبيها خويلد بن أسد ، وهو ثمل من الشراب ، فقالت: هذا ابن أخيك محمد يخطب خديجة وقد رضيت)[1] ، رضيت)[1] ، وذكر محمد بن الحسن بن زبالة رواية عن الليث بن سعد إنها هي التي سقت أبيها خمرا (أرسلت خديجة إلى عمها عمرو بن أسد فصنعت له طعاما وشرابا ، حتى إذا أخذ الشراب فيه ، أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقبل أنت ونفر من أهل بيتك فليخطبوا إليه فإنه سيزوجك)[2] ، كما أورد ابن سعد رواية عن خالد بن خداش ، في كون أبيها سقي الخمر دون تحديد الشخص الذي سقاه (وانهم تواطؤوا على ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو خديجة سقي من الخمر حتى أخذت فيه ، ثم دعا محمد فزوجه)[3] ، وروى حماد بن سلمة فيما يحسبه عن ابن عباس (فصنعت طعاما وشرابا ودعت أباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا ، فقالت خديجة: ان محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه ، فزوجها فخلقته وألبسته)[4] ، وروى الواقدي دون ان يذكر سنده إنها هي التي سقت أباها (إن خديجة سقت أباها خمرا حتى ثمل ، ونحرت بقرة وخلقته بخلوق وألبسته حلة حبرة)[5].

---

١ ـ الصنعاني، المصنف، ٥/٣٠٠، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٧ ـ ٣٨، البيهقي، دلائل النبوة، ١/٩٠ ـ ٩١، السهيلي، الروض الأنف، ١/٢١٤، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٦.

٢ ـ ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٩، ابن حبيب، المحبر، ص٧٨.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/١٣٢.

٤ ـ الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/٢٧٠، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٦ ـ ١٧، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/٤٢، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/٢٢٠، المقريزي، إمتاع الإسماع، ١/١٠ ـ ١١.

٥ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/١٣١ ـ ١٣٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٢٨٢.

وعلق بعض المستشرقين على هذه الروايات وكأنها أمر واقع ، فقال دورمنغم: (ولم يتم لخديجة ما عزمت عليه بغير مقاومة ، فلم يرق أسرتها وهي غنية حليفة لبني مخزوم ، ان تتزوج يتيما فقيرا غامض الأمر دون بني مخزوم قدرا)[1] ، ولا يخفى إنه إنه أخطا بقوله ان بني أسد حلفاء لبني مخزوم ، وقد ناقشنا هذا الأمر في بداية البحث ، وأخطا أيضا عندما بنى آراءه على الرواية فقط ، ولم يدقق في كتب التاريخ والسيرة ليتعرف منها على مكانة محمد(ص) ، كذلك علق بودلي على هذا الأمر فقال: (لو ان محمدا كان من علية القوم الأربعمائة ، ولو أنه كان من أعضاء الندوة الأغنياء أو بني المطلب ، الذين عاشوا حول الكعبة..بل كان نقيض ذلك)[2] ، ثم يضيف إلى ذلك الطريقة التي أقنعت السيدة خديجة(ع) عمها بالأمر (وقامت خديجة في نفس الوقت ، تمسح رأس عمها بالزعفران والعنبر ، ودوت في أركان بيت خديجة أصوات التهليل ، وصار زواج محمد من خديجة أمرا واقعا ، وما كانت خديجة بالمندفعة في هذه الفرصة السانحة فقد تعلم فعل الخمر في النفوس ، وحين كان كل يربت على كتف صاحبه ويتقارعون الكؤوس ويتفاخرون ، جاء من يكتب العقد وفي هذا الجو الذي يغلب عليه الصفاء ، أتفق على الصداق وتم عقد القران وانتهى الأمر ، وصار محمد يعد بعلا لخديجة بحسب شريعة مكة)[3].

هذا التعليل كما يبدو من خلال قراءته ، لا يحتاج إلى بحث وتمحيص من أجل الرد عليه ، فهو يجهل قدر النبي(ص) ومكانته في مكة ، وعلى الرغم من أنه كتب كتابا في السيرة النبوية ، لكنه لم يستطع التعرف على أسرة النبي(ص) ، فيقول إنه ليس من ضمن أعضاء دار الندوة وإنه ليس من بني المطلب ، وهنا يقصد بني عبد المطلب ، وهذا جهل واضح بالسيرة وتاريخ مكة قبل الإسلام ، لان الذي أسس دار الندوة هم أسرة النبي(ص) ، ولم يكن يسمح لأي شخص الدخول اليها ، إلا بعد

---

١ ـ حياة محمد ، ص٤٣.

٢ ـ الرسول، ص٤٦.

٣ ـ الرسول، ص٣٥.

ان يكمل الأربعين من عمره عدا بني هاشم ، أما مسألة الخمر فهي طبيعية بالنسبة اليه ، ان تسقي السيدة خديجة(ع) أباها من أجل إستحصال موافقته ، لأنه يتصور ان حياة الرذيلة التي يعيشها بعض سكان مكة ، هي حالة طبيعية وسائدة في كل المجتمع ، زيادة على أنه لا يعد الخمر مما يعيب بل بالعكس كان يعد هذا الأمر الذي تحدث عنه بطريقة أدبية ، هو ذكاء من السيدة خديجة(ع) ودليل على مهارتها ودهائها.

ولو ناقشنا هذا الأمر على وفق مقاييس تلك الفترة ، لأن البعض قد يشكل علينا في ان تحريم الخمر جاء مع الدعوة الإسلامية ، ولا يجوز تطبيق هذا التحريم على فترة سابقة للإسلام ، ومع اننا نعتقد ان من اختارها محمد لتكون زوجة له ، كانت طاهرة موحدة نقية حتى قبل الإسلام ، لكن سنسير وفق هذا المنهج ، ونقول هل كان شرب الخمر عموما ، والثمالة بشكل خاص مقبولة عند العرب قبل الإسلام ، ونبتدأ بقول السيدة خديجة(ع) لأبيها أو عمها: (أما تستحي تريد ان تسفه نفسك عند قريش تقول بأنك كنت سكرانا من الخمر)[1] ، ورغم شكنا في هذا الموضوع ، لكنه يعني ان السكر والثمالة كانت مثلبة ، لاسيما لشخص يعد كبير أسرته وزعيم من زعماء مكة.

كما نقلت الروايات عن العباس بن مرداس السلمي قوله: (لا أشرب شرابا أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم)[2] ، ولا يتوقف الأمر عند كبراء قريش وساداتهم في وجهة نظرهم بالخمر ، وإنما يشمل عامة العرب ، ولدينا دليل لا يقبل الرد في هذا الشأن ، فطرفة بن العبد واحد من شعراء المعلقات وهو ليس سيدا في قومه وكان يعاقر الخمر ، ولذلك تحاشته عشيرته وأهله وأبعدوه عنهم كمثل ما يفعل بالبعير الأجرب ، ويظهر من نص المعلقة ان الذين يتعاطون الخمر ، كانوا فئة قليلة منبوذة.

ومازال تشرابي الخمور ولذتي   وبيعي وإنفاقي طريفي وملبدي

---

١ - ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٩، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤٢/١، المقريزي، إمتاع الأسماع، ١١/١.

٢ - ابن حبيب، المحبر، ص٢٣٧، أبو علي القالي، الأمالي، ٢٠٥/١.

إلى ان تحامتني العشيرة كلها وأفـردت أفـراد الـبعير المبعـد

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وإن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي[(١)]

كذلك يمكن القول ان الكثير من الناس أمنت بالله الواحد قبل الإسلام ، واهتدوا إلى ذلك بعقولهم دون وسيط ، وذلك لأن الله تعالى عندما خلق العقل ، أعطاه القدرة على التمييز بين القبيح والحسن ، فرجح الكثير من الناس الحسن واتبعوه ، والدليل الإقبال الواسع للدخول في الإسلام ، على الرغم من أنه دين جديد يعارض قيم وعادات وتقاليد تعودوا عليها منذ ولادتهم ، وكل هذا يدل على ان هؤلاء حكموا عقولهم واتبعوا الأصلح ، ثم من قال ان المجتمع القرشي كان فاسدا كله ، وليس فيه أي نوع من أنواع الفضيلة ، على الرغم من معرفتنا ان ذلك المجتمع كان فيه الكثير من ضروب التحلل والفساد ، فقد خرج من رحم ذلك المجتمع الرسول الأعظم(ص) ، ينادي بالإصلاح وأتبعه عدد كبير من القرشيين ، الذين كرهوا ما عليه مجتمعهم من انغماس في الرذيلة ، وتحملوا أصنافا من العذاب والمقاطعة والنبذ والطرد ، من أجل جنة موعودة لم يروها بل آمنوا بوجودها.

ولو أتينا إلى مناقشة السبب الذي دفع السيدة خديجة(ع) إلى القيام بهذا الأمر ، لا نجد أي مبرر يدفعها لذلك ، فهي كما قدمنا كانت تتمتع بشخصية قوية مستقلة بعيدة عن سيطرة الآخرين ، ورأينا أنها عملت في التجارة بدون ان تخضع لوصاية من أحد ، وكنا قد رجحنا وفاة أبيها قبل مدة ، فيكون وجود عمها في الخطبة مجرد مسألة شكلية ، لا تؤثر كثيرا في قرار زواجها ، علاوة على أنه ليس من المعقول ان يعقد رجل من أشراف العرب ، وكبير بني أسد عقد زواج وهو سكران ، مع ما

---

١ ـ الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص٨٦ ـ ٨٧، الصعيدي، دواوين الشعراء الست الجاهليين، ص١٤٦.

عرف عنه من زعامة ومكانة في قريش ، ومن غير المعقول ان يقبل أبو طالب بالخطبة من شخص مخمور لا يمتلك عقله ، وهو كبير قريش وزعيمها.

كما ان الروايات التي تحدثت عن هذا الأمر ، عللته بأن أباها أو عمها كان معترضا على مكانة النبي(ص) في قريش ، (قالت: زوجتني محمدا ، قال: ما فعلت ، وأنا أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش فلم أفعل؟)[١] ، أو معترض على قلة ماله وكونه يتيم ، (قالت خديجة: لا تجتمع علي أمرين أفتت علي بنفسي ولم تؤامرني ، ثم تسفه نفسك عند قريش وقد حضرك فلان وفلان ، فإن الرجل وأن يكن حدث السن قليل المال ، فإن له نسبا فاضلا في قومه)[٢] ، وفي رواية أخرى أنه قال: (أنا أزوج يتيم أبي طالب لا لعمري)[٣] ، وبعض هذه الروايات لا يذكر السبب ، وهذه الأمور لا يمكن ان تقنع أحد ، فمكانة محمد لا تحتاج إلى توضيح ، ومن الأمثلة البسيطة على هذه المكانة ، ان قريش قبلت به حكما ، عندما تنازعت على شرف وضع الحجر الأسود في مكانه ، وهذا الأمر لم يكن اعتباطيا بل للصفات التي تميز بها محمد(ص) ، ونفس هذه الروايات أشارت إلى ان عمها كان يعرف مكانة النبي(ص) ، فقال عندما رآه: (هذا البضع لا يقرع أنفه)[٤] ، وفي رواية أخرى أنه قال: (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة هذا الفحل لا يقرع أنفه)[٥].

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٣١/١ ـ ١٣٢ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٢/٢.

٢ ـ ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٩ ، ابن حبيب، المحبر، ص٧٨.

٣ ـ الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧٠/٢٢، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٦ ـ ١٧ ، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٢/١ ، الهيثمي، مجمع الزوائد ، ٢٢٠/٩ ، المقريزي، إمتاع الإسماع، ١٠/١ ـ ١١.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٣١/١ ـ ١٣٢ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٨/١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٧٣/١ ـ ٧٤، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٥٠/١، النويري، نهاية الأرب، ٩٧/١٦، المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٠/١، ابن حجر، الإصابة، ٢٨٢/٤ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٤/١ ، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥٤/١، المكي، سمط النجوم، ٢٦٦/١.

٥ ـ ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٧ ـ ٣٩ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ،٨٩/٦، =

ومكانة أسرته في مكة معروفة وهي في طليعة الأسر القرشية ، إذ كان بني هاشم في الذروة من قريش نسبا وشرفا ، وهم واسطة العقد من قريش ، وإذا قرأنا ما حفظه التاريخ وكتب السير من أخبارهم وأقوالهم وهو قليل من كثير ، دلنا ذلك على ما كان يتميز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة ، والاعتدال في كل شيء ، ورجاحة العقل وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله والبعد عن الظلم ، والوقوف مع الحق وعلو الهمة ، والعطف على الضعيف والمظلوم والسخاء والشجاعة[1] ، ولم ترد في الروايات إشارة إلى الاعتراض على مكانة أسرة النبي(ص) في مكة ، عدا ما أورده ابن سعد عن خالد بن خداش (وإنهم تواطؤوا على ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو خديجة سقي من الخمر حتى أخذت فيه ، ثم دعا محمد فزوجه وسنت على الشيخ حلة ، فلما صحا قال: ما هذه الحلة؟ قالوا كساكها ختنك محمد ، فغضب وأخذ السلاح وأخذ بنو هاشم السلاح ، وقالوا: ما كانت لنا فيكم رغبة ثم اصطلحوا بعد ذلك)[2] ، وهذه الرواية المفردة ضعيفة ، لاسيما ان بني هاشم صاهروا بني أسد مرتين ، فقد تزوج أسد بن عبد العزى خالدة بنت هاشم بن عبد مناف ، وتزوج العوام بن خويلد صفية بنت عبد المطلب[3] ، زيادة على ان خالد بن خداش مولى آل المهلب بن أبي صفرة ، والذي نقلت عنه هذه الرواية فقد ضعفه أهل الحديث ، ولم يأخذوا بروايته[4].

أما قضية فقر الرسول(ص) والتي تحدثت عنها الروايات ، وكتب فيها الكثير من الباحثين ، فقد خرجت عن حدود المعقول ، وحملت أكثر مما تحتمل ، وأصبحت تبرز لنا في كل مواضيع السيرة ، وهي بالحقيقة ليست بهذا الحجم المبالغ فيه ، نعم لم

=الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢١٩/٩.

١ ـ الندوي، السيرة النبوية، ص٥٠ ـ ٥١.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٣٢/١.

٣ ـ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٦٨، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٠٧، ٢٣٦.

٤ ـ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٠٦/٨.

يكن النبي(ص) ثريا كما أثرياء مكة ، لكنه لم يكن مملقا كما تحاول الروايات تصويره ، وقد بحثنا هذا الموضوع عندما ناقشنا عمل الرسول(ص) في التجارة ، ولا حاجة لإعادته.

والخلاصة في هذا الموضوع ان الزواج تم بصورة طبيعية ، بعيدا كل البعد عن هذا التضخيم غير المبرر ، لاسيما ان العمل المشترك قرب بينهما ، فتقدمت لعرض الزواج عليه ، وقبل هذا الأمر بدون تردد ، وليس من المستبعد ان يكون الرسول(ص) كان يريد الزواج بها ، فسبقته هي لهذا الطلب.

ثم اختلفت هذه الروايات في الشخصية التي خطبت للرسول(ص) ، فذكر بعضها ان عمه أبا طالب هو من خطب له[1] ، وذهب بعضها إلى ان عمه حمزة هو الذي تولى هذا الأمر[2] ، فيما لم تذكر الروايات الأخرى من ذهب معه[3] ، ولو أتينا لدراسة التقاليد العربية في تلك الفترة وبعدها ، نجد ان الخطبة والزواج من الأمور المهمة ، وتحتاج وجود كبار الأسرتين[4] ، إذ ليس من المعقول ان يذهب رسول الله(ص) للخطبة وحده ، كما لا يمكن ان نتصور ذهاب حمزة ليخطب له بمفرده ، لأن عمر حمزة بن عبد المطلب مقارب لعمر الرسول(ص)[5] ، كذلك فإن

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٧/١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٦/٢، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٠ ـ ٤١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٥/٢.

٢ ـ ابن اسحاق، السير والمغازي، ص٨٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٢/١ ـ ١٧٣، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٧ ـ ٣٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٠/٢، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٨٩/٦.

٣ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٠٠/٥، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٢/١، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٧ ـ ٣٨، البيهقي، دلائل النبوة، ٩٠/١ ـ ٩١، السهيلي، الروض الأنف، ٢١٤/١.

٤ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

٥ ـ خطب عبد المطلب آمنة بنت وهب لأبنه عبد الله وخطب لنفسه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة في نفس اليوم فولدت له حمزة وكان رسول الله(ص) بالرضاعة، ينظر ابن سعد، =

الرسول(ص) كان يعيش في تلك الفترة في بيت أبي طالب ، وهو المسؤول عنه وعن أموره ، لكن هذا لا يمنع وجود حمزة وغيره من أعمام الرسول في هذه الخطبة ، لاسيما ان بعض الروايات ذكرت هذا الأمر ، فقال الواقدي: (فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه أحدهم)[1] ، ويؤيد ما ذهبنا إليه الخطبة التي ألقاها أبو طالب عندما وافق بني أسد على الزواج ، فتذكر الروايات أنه قال: (ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أعمامه يتقدمهم أبو طالب ، فقال: الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل ، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به ، ثم ان ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح ، ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه ، وأن كان في المال قل ، فإن المال رزق حائل وظل زائل ، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة ، وصداق ما سألتموه من مالي ، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع ، فتزوجها وأنصرف)[2] ، ويعزز هذا الأمر أيضا زعامة أبي طالب لبني هاشم ، لذلك ليس من المعقول ان يقوم بهذا الأمر غيره مع وجوده.

أما الأمر الأخير الذي تناولته هذه الروايات ، فهو الشخصية التي أوصلت إلى النبي(ص) رغبة السيدة خديجة(ع) في الزواج منه ، والكيفية التي تمت بها مراسيم هذا الزواج ، وفيما يتعلق بشخصية الخاطب فقد اختلفت الروايات أيضا ، فذكر محمد بن اسحاق وغيره إنها عرضت عليه نفسها: (بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت فيما يزعمون: يا بن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ، وسطتك

=الطبقات الكبرى، ٩٥/١.

١ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣١/١ ـ ١٣٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٨/١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٧٣/١ ـ ٧٤، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٥٠/١.

٢ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٦/٢، المبرد، الكامل، ٤/٤، العسكري، الأوائل، ص٩١، السهيلي، الروض الأنف، ٢١٣/١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٧٤/١، الصفوري الشافعي، نزهة المجالس، ص١٦٧، المكي، سمط النجوم، ٣٦٦/١.

في قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا ، وكل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه)[١] ، وذهب الواقدي إلى ان نفيسة بنت منية هي التي عرضت عليه الأمر: (كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم مالا ، وكل قومها حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك ، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيسا إلى محمد بعد ان رجع عيرها من الشام ، فقلت: يا محمد ما يمنعك ان تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به ، قلت: فإن كفيت ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة ، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت: علي ، قال: فأنا أفعل ، فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه ان أت ساعة كذا وكذا وأرسلت إلى عمرو بن أسد ليزوجها)[٢] ، وورد في الرواية التي نقلتها بعض المصادر عن عمار بن ياسر(رض) ان هالة بنت خويلد هي التي عرضت عليه ان يتزوج خديجة: (كنت صديقا له فأنا نمشي يوما بين الصفا والمروة ، إذ خديجة بنت خويلد وأختها هالة ، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءتني هالة أختها ، فقالت يا عمار: أما لصاحبك حاجة بخديجة ، قلت:

---

١ ـ ابن اسحاق، السير والمغازي، ص٨٢، ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٢/١ ـ ١٧٣ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٠/٢ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٤١/١ ، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٢/٢ ، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٢/١ ، ابن حجر، الإصابة، ٢٨٢/٢ ـ ٢٨٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٣/٢ ـ ٢٩٤ ، الكلاعي، الاكتفاء، ١٩٨/١ ـ ١٩٩ ، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥٣/١ ، المجلسي، بحار الأنوار، ١٩/١٦.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣١/١ ـ ١٣٢ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٨/١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٧٣/١ ـ ٧٤، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٥٠/١، النويري، نهاية الأرب، ٩٧/١٦، المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٠/١، ابن حجر، الإصابة، ٢٨٢/٤، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٤/١ ، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥٤/١ ، المكي، سمط النجوم، ٢٦٦/١.

والله ما أدري فرجعت فذكرت ذلك ، فقال: ارجع فواضعها وواعدها يوما نأتيها فيه ففعلت)[1] ، وفي هذا الموضوع وأن تعددت الأسماء التي كانت سببا في زواج الرسول(ص) من السيدة خديجة(ع) ، إلا أننا نرجح كون السيدة خديجة(ع) هي التي عرضت عليه الزواج ، وقد لاحظنا فيما سبق قوتها وقدرتها على اتخاذ قراراتها بنفسها ، لكن سفارة نفيسة وهالة معقولة أيضا ، بحكم قرابة الاثنتين منها ، لكن ما جاء في الروايات من إعطاء هذه المرأة دور محوري في عملية الزواج ، يجعلنا في شك من هذا الدور ، لاسيما أننا نعرف بقدرة السيدة خديجة(ع) على مفاتحة الرسول(ص) دون ان تحتاج إلى وسيط ، فأقدمت على طلب الزواج منه بنفسها ، بدون ان تتقيد بتقاليد المجتمع التي تقضي بتقدم الرجل لخطبة المرأة ، لاسيما ان هذه التقاليد وضعها مجموعة من الناس ، وهي ليست نص مقدس يجب الالتزام به ، وكون السيدة خديجة(ع) تتمتع بصفات قل نظيرها في ذلك المجتمع ، فقررت كسر هذه التقاليد والخروج عليها ، كذلك فإن الحياة في المجتمع المكي كانت متميزة نوعاً ما عن بقية مجتمعات الجزيرة العربية ، فحظيت المرأة بنوع من الحرية ، على اعتبار ان مدينة مكة كانت تجارية ، وتلتقي فيها ثقافات متعددة ، فتطورت الكثير من العادات والتقاليد هناك ، فسمح للمرأة اختيار زوجها في بعض الحالات[2] ، وقد نستدل على هذا الأمر من الرواية التي ذكرت ان سلمى بنت عمرو زوجة هاشم بن عبد مناف ،

---

١ ـ لم تحدد الروايات السنة التي ولد فيها عمار بن ياسر(رض)، لكنها ذكرت ان أباه جاء إلى مكة من اليمن مع أخوان له وبقي فيها وحالف بني مخزوم، ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٦/٤ ، وذكرت بعض المصادر أنه كان صديقا لرسول الله (ص) قبل الإسلام، ينظر ابن عبد البر، الاستيعاب، ١١٣٧/٣ ، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠٢/١٠ ، وذكر أنه مات وله ثلاث وتسعين سنة أي أنه أسن من الرسول(ص) بثلاث سنوات، ينظر ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٨/٢. ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٠ ـ ٤١ ، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٦/٢ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٥/٢ ، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢١/٩.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٣٥/٨.

وعاتكة بنت مرة بن هلال زوجة عبد مناف بن قصي ، اشترطن ان يكون عقد زواجهن بأيديهن[1] ، وهناك روايات تذكر ان إحدى النساء ، عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول(ص) لكي يتزوجها لكنه رفض ذلك[2].

أما مراسم الزواج فقد تدرج أمرها بصورة طبيعية ، ابتداءا بالصداق وانتهاءا بانتقالهما إلى بيتهما المستقل ، فتذكر الروايات أنه أصدقها اثنتي عشر أوقية ونشا أي خمسمائة درهم[3] ، لكن هناك روايات أخرى ذكرت أنه أصدقها عشرين بكرة[4] ، وفي الخطبة التي خطبها أبو طالب عند الزواج قال: (وما أحببتم من الصداق فعلي)[5] ، وهذا يعني أنه كان كافلا لرسول الله(ص) في دفعه للصداق ، وذلك للأهمية الاجتماعية وليست المادية للصداق ، لاسيما ان المجتمع يهتم بهذه الأمور كثيرا ، ويعد الصداق شرطا رئيسيا في صحة الزواج.

وعلى الرغم من ان هذا الزواج تم قبل الإسلام ، إلا أنه كان الزواج نفسه الذي أقره الإسلام فيما بعد ، ويمكن ان نستدل على ذلك من خلال الرواية التي نقلتها بعض المصادر عن السيدة عائشة(رض) ، والتي ذكرت فيها ان هناك أربعة أنواع للزواج في تلك الفترة:

---

١ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٣٩٨ ـ ٣٩٩.

٢ ـ ذكر الزهري إنها امرأة من قبيلة خثعم ينظر أبو نعيم، دلائل النبوة، ١٦٣/١، وذكر ابن إسحاق إنها أم قتال أخت ورقة بن نوفل، السير والمغازي، ص٤٢، وذكر الواقدي إنها قتيلة بنت نوفل أو فاطمة بنت مر الخثعمية، ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٩٥/١ ـ ٩٦.

٣ ـ ذكر ابن سعد أنه أصدقها اثنتي عشرة أوقية حسب رواية الكلبي عن ابن عباس، الطبقات، ١٧/٨، وذكر الواقدي الرواية بنفس السند، لكنه قال: أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا والأوقية أربعون درهما، البلاذري، أنساب الأشراف، ٩٧/١.

٤ ـ المقدسي، البدء والتاريخ، ١٣٨/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٤/٢، الحلبي، السيرة الحلبية، ١٥٣/١.

٥ ـ المبرد، الكامل، ٤/٤، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٦/٢، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٧٤/١.

١ ـ نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.

٢ـ نكاح الاستبضاع: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فأستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد.

٣ـ نكاح الرهط يجتمع رهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليالي بعد ان تضع حملها ، أرسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، وتقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت فهو أبنك يا فلان ، تسمي من أحبت بإسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع ان يمتنع به.

٤ـ النكاح الرابع يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمتنع عمن جاءها وهن البغايا ، وكن ينصبن على أبوابهم رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ، ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ، ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق ، هدم نكاح الجاهلية لا نكاح الإسلام[1].

وبعد ان تم عقد الزواج نحر رسول الله(ص) شاةً أو بعيراً ، ودعى الناس للطعام فحضر مجموعة من القرشيين ، وهذه أول وليمة يولمها الرسول(ص)[2] ، ويبدو أنها كانت في بيت السيدة خديجة(ع) ، وربما كان هذا الأمر من العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع مكة. وفي رواية أنه بعد هذه الوليمة بقي الرسول(ص) مع زوجته في بيتها[3] ، ثم انتقل نهائيا إلى ذلك البيت القريب من الكعبة[4] ، ليعيش فيه مع

---

١ ـ البخاري، صحيح البخاري، ١٩/٧ ـ ٢٠ ، باب النكاح.

٢ ـ الطبري، السمط الثمين، ص١٧ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٥/١.

٣ ـ الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٥/١ ، المكي، سمط النجوم، ٣٦٧/١.

٤ ـ عن منزل السيدة خديجة(ع) ينظر الأزرقي، أخبار مكة، ١٩٩/٢ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨/٢ ، الفاسي، شفاء الغرام، ٢٧٢/١.

زوجته ، ولم يكن هذا الأمر حالة طبيعية ، بل خارج عن المألوف إذ ينتقل الرجل ليعيش في بيت زوجته ، لكنه يتناسب مع الحالة الخاصة للرسول(ص) ، وسعة موارد السيدة خديجة(ع) الاقتصادية.

ولم يكن هذا البيت غريباً عن الرسول(ص) ، إذ كان متعودا عليه ودخله مرات متعددة ، عندما كان يعود من سفراته التجارية ، لكن المختلف هذه المرة إنه أصبح بيته وبيت زوجته[1] ، وعاش فيه خمسة عشر عاما قبل ان ينزل عليه وحي السماء ، واقترن بأهم الأحداث التي عاشها الرسول(ص) ، فقد تفرغ فيه للتعبد والتفكر ، وأحس بقربه من السماء ، وأنه معد لأمر عظيم سيغير تاريخ الإنسانية ، فكان هذا البيت قد أراحه من هموم الحياة ومشاغلها ، وكانت صاحبته نعم الزوجة البارة الحنون ، التي كانت مستعدة للتضحية بكل شيء من أجل إسعاد زوجها ، فلم تعكر عليه حياته ولم تثقل كاهله بمطالبها ، بل ساندته ووقفت إلى جانبه ، وهي تراه منشغلا بالتقرب إلى ربه ، فكانت زوجة واختا وأما[2] ، وصدرا حنونا استوعب كل ما كان يفكر فيه محمد(ص) ، لذلك بقي هذا البيت حيا في ذاكرة محمد ، لأنه يرتبط بزوجته الأولى ، التي لم يفكر بغيرها وعاش معها خمسا وعشرين عاما ، وظل الحب الوحيد له طوال بقائها معه ، حتى توفيت وتركته وحيداً حزيناً على فراقها ، فأصبحا في حياتهما شخصاً واحداً[3] ، وظل هذا الحب في قلبه حتى بعد وفاتها ، ولم تستطع أي امرأة أخرى ان تملأ مكانها ، وزاد من حبه لها إنها عاشت معه رجلا قبل ان يكون نبيا ، ثم عاصرت معه نزول الوحي عليه ، وإعلانه نبيا للناس كافة ، فآمنت وصدقت وناصرت وناضلت وضحت ، فنالت مكانة لم ينلها غيرها ، فهي سيدة نساء العالمين والمبشرة ببيت في الجنة يتناسب ومكانتها.

---

١ ـ بنت الشاطىء ، بنات النبي ، ص٤٧.

٢ ـ قطب ، خديجة بنت خويلد(رض) ، ص٣٤ ـ ٣٥.

٣ ـ راضي ، حياة محمد الروحية ، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦.

أبناء وبنات الرسول(ص) من السيدة خديجة(ع)

ولدت السيدة خديجة(ع) جميع أبناء الرسول(ص) من الذكور والإناث، عدا إبراهيم الذي ولدته السيدة مارية القبطية(رض)[1]، ولم يلد له بقية أزواجه، وقد اتفقت المصادر على إنها أنجبت له أربعة بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة(ع)، لكنها اختلفت في ترتيب ولادتهن[2]، كما اختلف في عدد أبنائه الذكور، وسني ولادتهم، لكن على الرغم من هذا الاختلاف، فإنها اتفقت على أنها ولدت له القاسم وعبد الله[3].

---

١ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ١٧٤/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨١/٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٤/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٤/٢.

٢ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ١٧٤/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٣/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨١/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٨/٤، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٦/٥، ابن الجوزي، الوفا، ١٥٥/١، النويري، نهاية الأرب، ٢١٨/١٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٤/٢.

٣ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ١٧٤/١، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٣/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٨١/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٨/٤، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٦/٥، ابن الجوزي، الوفا، ١٥٥/١، النويري، نهاية الأرب، ٢١٨/١٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٤/٢.

١ـ زينب بنت رسول الله (ص)

على الرغم من ان الروايات لم تجمع على أنها أكبر بنات الرسول(ص) ، لكن أغلبها ذهب إلى هذا القول ، كما أيدت الكثير من الروايات أنها ولدت بعد القاسم ، إذ ذكرت ان زينباً كانت ثاني أبناءه من الذكور والإناث[١] ، ويعزز هذا الأمر ما أورده ابن عبد البر من آراء في هذا الموضوع (لا أعلم خلافا في ان زينب أكبر بناته ، وأختلف في من بعدها ، وذكر أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت عبد الله بن محمد الهاشمي قال: ولدت زينب بنت رسول الله(ص) ، ورسول الله ابن ثلاثين عاما ، وولدت رقية بنت رسول الله والرسول ابن ثلاث وثلاثين سنة)[٢]. ثم يضيف (وولده من خديجة أربع بنات لا خلاف في ذلك أكبرهن زينب بلا خلاف)[٣].

لكن هذه المصادر لا تعطينا تاريخ دقيق لولادة زينب ، عدا ما أوردته بعض الروايات في أنها ولدت عندما بلغ عمر الرسول(ص) ثلاثين عاما[٤] ، ورواية الزهري التي يقول فيها ان السيدة خديجة(ع) ولدت للرسول(ص) بعض بناته ، ثم أخذ يتحنث وحبب إليه الخلاء[٥].

ويمكن ان نتوصل إلى تاريخ تقريبي لولادتها ، إذا ما درسنا شيئا من سيرتها ،

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٥/٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٣/١، ابن حبيب، المحبر، ص٥٢ ـ ٥٣، الطبراني، المعجم الكبير، ٢٥٣/٢٢، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٤٩/٣، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٢٥/٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٤/٢، ابن حجر، الإصابة، ٣٧٧/٢.

٢ ـ الاستيعاب، ١٨٣٩/٤.

٣ ـ الاستيعاب، ٥٠/١.

٤ ـ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٨٩/٢، النويري، نهاية الأرب، ٨/ ٢١٢، ابن حجر، الإصابة، ٤٩٠/٤، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٧٣/١.

٥ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢١/٥، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٨، البيهقي، دلائل النبوة، ٩٢/١.

لاسيما زواجها من أبي العاص بن الربيع ابن خالتها هالة بنت خويلد وأبنائها منه[1] ، إذ تذكر الروايات أنها أنجبت منه بنتا اسمها أمامة ، تزوجها الإمام علي(ع) بعد وفاة خالتها فاطمة(ع)[2] ، وذكرت روايات أخرى أنها ولدت لأبي العاص ابنا أسمه علي[3] ، مات وهو صغير[4] ، وفي رواية مصعب الزبيري (زعموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه خلفه يوم فتح مكة)[5] ، لكن هذه الرواية لم نجدها عند أحد من الرواة غير مصعب ، وفي رواية أنه أسترضع في بني غاضرة[6] ، فأخذه الرسول(ص) منهم وأبو العاص مازال على الشرك بمكة وقال: (من شاركني شيئا فأنا أحق به منه)[7] ، وفي رواية أنه توفي وقد ناهز الحلم[8].

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٤/٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/ ٣٠ ـ ٣١، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٥٧، ابن قتيبة، المعارف، ص٤١، البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٦٧/١، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٨/٥، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦ ـ ١٧، ابن حجر، الإصابة، ٢١٢/٤.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣١/٨، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤١ ـ ٤٢، ابن حبيب، المحبر، ص٥٣، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦، النويري، نهاية الأرب، ٢١١/١٨.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣١/٨، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦.

٤ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣١/٨.

٥ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢، ابن حجر، الإصابة، ٥١٠/٢.

٦ ـ بنو غاضرة بطن من بطون قبيلة خزاعة التي كانت تتولى البيت قبل قريش، وكانت تقطن خارج مكة بعد ان أنتزع قصي ولاية البيت منهم، ينظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٣٧.

٧ ـ الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤، ابن حجر، الإصابة، ٥١٠/٢.

٨ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢، أبو القاسم الكوفي، الإستغاثة، ص٧٨، ابن حزم، جوامع السير، ص٣٦، ابن الأثير، أسد الغابة، ١٣٠/٧، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٨٩/٢، ابن حجر، الإصابة، ٥١٠/٢.

ومن خلال هذه الروايات نستطيع القول ان رواية ولادتها عندما بلغ عمر الرسول(ص) ثلاثين عاما غير دقيقة ، لان عمرها إلى البعثة هو عشر سنوات بناءا على تلك الرواية ، ومن المؤكد أنها قد تزوجت قبل البعثة بمدة من الزمن ، بدليل ان الروايات تقول إنها أنجبت لأبي العاص أثنين هما أمامة وعلي ، فكيف تكون قد تزوجت وأنجبت وهي بهذا السن الصغير ، لأنه ليس من المعقول ان تكون تزوجت في الإسلام ، لأن جميع الروايات ذكرت ان أبا العاص لم يسلم ويبقي على الشرك[1] ، وعندما أسلمت هي فرق الإسلام بينهما[2] ، وفي هذا الأمر يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى: (فلما أسلمت ولم يسلم منعه النبي صلى الله عليه وسلم منها ، ثم أسلم فتركها على نكاحها ، فلو كانت ولدت بعد الوحي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليزوجها كافرا ، ولو كان النبي تزوج خديجة كما صور الكتاب ، ما بلغت زينب مبالغ النساء ، ولا التزويج في الجاهلية)[3].

لذلك نستطيع القول إنها ولدت بعد سنة أو سنتين من زواج الرسول(ص) من السيدة خديجة(ع) ، فيكون عمرها إلى البعثة ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة حتى البعثة ، وتبعا لذلك تستطيع الإنجاب في هذا السن ، وربما تكون قد أنجبت أبنتها في عام البعثة ، ويؤيد ذلك ما روي عن الرسول(ص) ، في إنه كان يصلي وهو حامل لأمامة بنت زينب ، فإذا ركع وضعها ، وإذا قام حملها[4].

ولم ترد الكثير من الروايات عن حياة زينب في بيت الرسول(ص) ، سوى بعض الروايات القليلة ، فعندما بلغت زينب سن التزويج ، طلبها ابن خالتها أبو العاص بن

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية ، ٢١٤/٢ ، ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٦٧/١ ، ابن حجر، الإصابة ، ٣١٢/٤.

٢ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٥٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ١٣٠/٧.

٣ ـ أزواج النبي، ص٢١.

٤ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٣/٢، احمد ابن حنبل، مسند أحمد ، ٣٠٣/٥، النسائي، السنن الكبرى، ١/ ١٨٩ ، الطبراني، المعجم الأوسط، ٣٣/٤.

الربيع ، الذي كان من المقربين للسيدة خديجة(ع) ، فتزوجها قبل البعثة ، وسكن معها في بيت أهدته لهما السيدة خديجة(ع) ، ويقع هذا البيت قرب جبل إجياد في مكة[1] ، كما أعطتها حسب ما ورد في الروايات قلادة جزع ظفار[2] كهدية لزواجها ، وربما أعطتها أشياء أخرى لكن الروايات لم تذكرها ، لاسيما أننا نعرف ان السيدة خديجة كانت غنية وتمتلك أموال كثيرة ، وبقيت زينب مع زوجها ، وأنجبت له قبل البعثة ، وعندما بعث الرسول(ص) أسلمت زينب مع أمها ، لكن زوجها بقي على الشرك ولم يدخل إلى الإسلام ، فأتاه وجهاء قريش لاسيما أسرته من بني عبد شمس ، وطلبوا منه ان يطلق زينب بنت النبي(ص) ، وتعهدوا له بتزويجه من أي امرأة يريدها من قريش ، وهم يحاولوا ان يضغطوا على النبي(ص) ، ويحاصروه اجتماعيا من أجل التخلي عن دعوته ، لكن أبي العاص رفض هذا الأمر ، وقال لهم: (لا أفارق صاحبتي فإنها خير صاحبة)[3].

لكننا لم نستطع التأكد من ان زينب بقيت عنده أم لا ، لان المصادر لا تسعفنا في هذا الأمر ، ومهما يكن من أمر فقد كان إسلامها سببا في تفريقهما ، وأن ذكرت بعض الروايات إنها بقيت عنده ، لأن الرسول(ص) لم يكن يمتلك القوة ليفرق بينهما ، لأنه كان مغلوبا على أمره في مكة[4].

وقد عاصرت زينب أحداث البعثة مع أبيها ، وشهدت تصاعد الضغط عليه وعلى المسلمين ، وحصارهم له وإيذاءه بشتى الطرق ، وكان زوجها أبو العاص بن الربيع عونا للرسول(ص) والمحاصرين معه في شعب أبي طالب ، فكان يأتي بالبعير ليلا وقد حمله طعاما ، فيدخله للشعب فيأخذه الرسول(ص) ، ويوزع ما حمله على

---

١ ـ الأزرقي، أخبار مكة، ٢٤٣/٢ ، أستولى الأمويون على هذا البيت بعد هجرة أبي العاص إلى المدينة.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٥/٢ ـ ٢١٦ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣١/٨.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٤/٢ ، ابن قتيبة ، المعارف، ص١٤١ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٦٧/١.

٤ ـ ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٨٤/٧.

المحاصرين[1] ، أما هي فقد تحملت معاناة إيذاء المشركين للرسول(ص) ، لاسيما بعد العام العاشر للبعثة ، التي كانت عام الحزن كما سماه رسول الله(ص) ، فقد توفيت السيدة خديجة(ع) وتوفي أبو طالب عم الرسول(ص) ، وبقي بمفرده يواجه المشركين ، الذين استغلوا وفاة أبي طالب ، وأوغلوا في إيذاء الرسول(ص) ، وعبر عن هذا الأمر بالقول: (ما نالت مني قريش شيء أكرهه حتى مات أبو طالب)[2] ، فكانت قريش تجابه دعوة الرسول(ص) بقسوة كبيرة ، ففي رواية إنه قال لقريش في مكة: (قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، فمنهم من تفل في وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراب ، ومنهم من سبه) ، فكانت زينب تشاهد هذا الأمر ، فأقبلت على أبيها وهي لا تملك قوة تستطيع ان تدفع بها أذاهم عنه سوى البكاء ، فحملت له ماء ليغسل وجهه ، فلما شاهد الحزن بادٍ عليها ، قال لها: (يا بنية لا تحزني ولا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلا)[3].

ثم جاءت الهجرة إلى المدينة ، وخرج المسلمون أفرادا وزرافات مهاجرين إلى الله ، فارين بدينهم من ضغط المشركين في مكة ، وكانت زينب تريد ان تهاجر مع المسلمين ، لكن زوجها وأسرته منعوها من الهجرة ، فكانت تعاني من بقاءها مع المشركين ، ومن ابتعادها عن أبيها وأخواتها وعن المسلمين ، الذين لم يبق منهم أحد سوى من سجن ومنع من الهجرة ، حتى السنة الثانية للهجرة إذ تقابل المسلمون والمشركون في معركة بدر ، فأسر زوجها في هذه المعركة ، وقبل الرسول(ص) أخذ الفداء من الأسرى ، فجاء عمرو بن الربيع بفداء أخيه ، فبعثت معه زينب تلك القلادة التي أعطتها لها أمها ، عندما تزوجت من أبي العاص ، فلما رأى الرسول(ص) تلك القلادة ، عرفها ورق لها وتذكر السيدة خديجة(ع) ، وتلك الأيام الجميلة التي قضاها مع سيدة النساء ، لقد تذكر مكة التي ترعرع فيها ، والبيت الذي

---

١ ـ أبو القاسم الكوفي، الإستغاثة، ٦٦/١.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٦/٢، ابن قتيبة، المعارف، ص١٤١، البلاذري، أنساب الأشراف، ٣٦٧/١.

٣ ـ البخاري، التاريخ الكبير، ١٤/٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٨٤/١.

جمعه بزوجته الأولى ، وولدت له فيه أبناءه ، لقد أعادت له هذه القلادة كل ذكرياته ، وتذكر ابنته التي لم يرها منذ زمن ، فسأل المسلمين الذين كانوا أصحاب الشأن ، وقال لهم: (إن رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها متاعها فعلتم) ، وهذه هي القمة في العدالة ، فهو صاحب الشرع المبعوث من الله تعالى ، وهو أولى من المؤمنين بأنفسهم ، لكنه يسألهم ان يطلقوا أسير ، والسؤال ألم يكن بمقدوره إطلاق أسير وهو على أقل تقدير الحاكم الأعلى للدولة؟ لقد كان قادرا على أكثر من ذلك ، لكنه أراد ان يعلمهم ، وهو يعلم ان منهم من سيكون حاكما ، والباقين محكومين ، ان يعتادوا مبدأ الشورى ، والابتعاد عن الإنفراد باتخاذ القرارات ، فهو لا يحكم وفق المبدأ الآني بل يؤسس لشريعة دينية ودنيوية ستستمر ما دامت الحياة ، فهكذا كان الحبيب المصطفى يحكم.

فأجابه المسلمون وهم يشعرون بالفخر ، لأن الرسول المنزل على قلبه القرآن وحاكم دولتهم ، يأخذ رأيهم قبل أي قرار يتخذه ، بل أكثر من ذلك يترك الخيار لهم ، ان شاؤوا قبلوا وان شاؤوا رفضوا ، لكن كيف يرفضون والرسول العظيم(ص) ، هو صاحب هذا الطلب ، فقالوا بصوت واحد: (نعم يا رسول الله ، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع ، وردوا على زينب قلادتها) ، فأخذ النبي(ص) تعهدا على أبي العاص ان يطلق زينب حالما يصل إلى مكة[1].

وبالفعل حالما وصل أبو العاص بن الربيع إلى مكة ، أرسلها مع أخيه كنانة بن الربيع الذي خرج بها نهارا أمام أنظار قريش ، فأغضب هذا الأمر المشركين ، الذين فقدوا افراداً من أسرهم في معركة بدر ، وهم يرون ابنة محمد تخرج مهاجرة إلى أبيها ، فخرجوا في أثرها ، فضرب هبار بن الأسود بن المطلب الأسدي بعيرها ، فوقعت على صخرة وهي حامل فأسقطت جنينها ، وبدأت تنزف دمها على الرمال[2] ، فلما رأى كنانة هذا الأمر ، برك على الأرض ونثل كنانته ، وقال لهم: (لا

---

١ . ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢١٥ ـ ٢١٦، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/٣١.

٢ ـ البخاري، التاريخ الصغير، ١/ ٣٣ ـ ٣٤، الضحاك، الآحاد والمثاني، ٥/٣٧٣، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٤/٤٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٤/ ١٩٢، الهيثمي، =

يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما) ، فتراجع الناس عنه ، فقال له أبو سفيان: (إنك لم تصب خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية ، وقد عرفت بمصيبتنا ونكبتنا ، وما دخل علينا من محمد) ، واقترح عليه ان يخرج بها ليلا وخفية ، وبالفعل خرج بها ليلا وسلمها لزيد بن حارثة[1] ، والذي كان قد بعثه النبي(ص) ليأتي بزينب.

وبعد ان أصاب زينب ما أصابها ، تنازع فيها بنو هاشم وبنو أمية ، وكل يقول عندي ويدعى قرابتها منه ، فبقيت عند هند بنت ربيعة زوجة أبي سفيان ، التي قالت لها: (هذا بسبب أبيك)[2] ، فردت عليها زينب مدافعة عن أبيها الرسول(ص) وعن دعوته رغم معاناتها: (عمل أبي خير من عملك وعمل زوجك)[3] ، وبقي الرسول(ص) متغيضا على هبار بن الأسود ، لما فعله بابنته زينب ، على الرغم من إنه كان رحمة مهداة ، لكن العمل الذي قام به هذا الشخص كان كبيرا ، فقد استغل كونها امرأة حامل ضعيفة ، فاعتدى عليها ، وهو عمل تحتقره العرب ، لأن المرأة لا يجوز الاعتداء عليها ، ولم يكن لها أي ذنب ، ولم تعتدي على أحد ، لذلك كان الرسول(ص) كلما بعث سرية ، قال لهم: (إذا ظفرتم بهبار فاقطعوا يديه ورجليه ، ثم اضربوا عنقه) ، لكن الرسول(ص) عفى عنه عندما جاء تائبا بعد فتح مكة[4] ، وهذه هي أخلاق الرسول(ص) حتى مع من آذوه في نفسه وفي أهله.

وتذكر رواية أخرى ان الرسول (ص) طلب من زيد بن حارثة ان يذهب إلى

=مجمع الزوائد ، ٩/ ٢١٢ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٩/ ٣٥١.

١ ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ١٦٥ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ٤/٤٢ـ٤٣ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٤/ ١٩٣ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١/ ٢٣٣.

٢ ـ الضحاك ، الآحاد والمثاني ، ٣٧٣/٥ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ٤٣/٤.

٣ ـ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٦٧/ ٤ ،

٤ ـ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥ ، ابن قدامة ، كتاب التوابين ، ص١٢٠ ، ابن حجر ، الإصابة ، ٦/ ٤١٢.

مكة ويأتي بزينب ، وأعطاه خاتمه ليدفعه إليها حتى تتعرف عليه ، وبالفعل خرج زيد ووجد راعيا خارج مكة ، فسأله لمن يرعى فقال لأبي العاص بن الربيع ، وهذه الغنم لزينب بنت محمد(ص) ، فطلب منه إعطاءها الخاتم ففعل ، وعندما دفعه لها عرفته ، وسألت الراعي عن الشخص الذي أعطاه له ، فأجابها انه تركه خارج مكة ، فلما جاء الليل خرجت اليه ، وحملها حتى وصل بها إلى المدينة[1].

ومهما يكن من أمر فإن زينب وصلت إلى المدينة ، وعاشت مع أبيها وأخواتها في مكة ، وانتهت مرحلة حصارها بين المشركين ، لكنها عندما قدمت المدينة وجدت اختها رقية قد توفيت[2] ، فبقيت مع أسرتها إلى سنة قريبة من فتح مكة ، إذ خرج أبو العاص بن الربيع بتجارة لقريش ، وعند عودته لقيته سرية للرسول(ص) ، فأخذوا ما معه من بضاعة ، وهرب هو حتى دخل المدينة في الليل واستجار بزينب فأجارته[3] ، فلما كان الصباح صلى رسول الله(ص) بالناس ، وعندما قام للصلاة: (قامت على بابها فنادت بأعلى صوتها ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا نعم قال: فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم ، المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت ، فلما أنصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، دخلت عليه زينب ، فسألته ان يرد على أبي العاص ما أخذ منه ففعل ، وأمرها ان لا يقربها ، فإنها لا تحل له ما دام مشركا ،

---

١ ـ البخاري، التاريخ الصغير، ١/ ٣٣ ـ ٣٤، الضحاك، الآحاد والمثاني، ٢٧٣/٥، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص١٥٧، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢١٢/٩.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٧/٨، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٣، ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٠١/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ١١٤/٧.

٣ ـ الصنعاني، المصنف، ٢٢٤/٥، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٨/٢ ـ ٢١٩، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٣/٨، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٨/٥ ـ ١٩.

ورجع أبو العاص إلى مكة ، فأدى إلى كل ذي حق حقه ، ثم أسلم ورجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، مسلما مهاجرا في محرم سنة سبع من الهجرة ، فرد عليه رسول الله زينب)[1] ، وهذه الرواية تؤيد ما ذهبنا إليه من ان الرسول(ص) كان يأخذ رأي المسلمين في كل تصرف يتصرفه ، كما يثبت تقديره واحترامه لكل أفراد المجتمع لاسيما النساء ، فهو لم يعط لزينب هذا الحق لأنها ابنته ، لقد كان أكبر من ذلك ، بل لانها مسلمة وفرد في ذلك المجتمع.

ويبدو ان وقوعها من الناقة وإسقاطها لجنينها ، أثرت في صحتها فلم تعمر طويلا ، ولم يتجاوز عمرها الخامسة والثلاثين ، فتوفيت في سنة ثمان من الهجرة[2] ، وغسلتها أم أيمن زوجة زيد بن حارثة مولاة رسول الله(ص) وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

٢ ـ رقية بنت رسول الله (ص)

كما هو الحال مع زينب ، لم يكن هناك اتفاق على ترتيب رقية بين بنات الرسول(ص) ، فذكر ابن هشام انها أكبر بناته[4] ، لكن أغلب الرواة ذهبوا إلى ان زينب أكبر بناته ، وقال ابن الأثير في ذلك: (زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أكبر بناته... وقد شذ من لا اعتبار به ، أنها لم تكن أكبر بناته)[5] ، كما ذهب بعض الرواة إلى أنها كانت أصغر بناته[6] ، لكن هذا الرأي يخالفه شبه

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨/٣٣ ، ابن حبيب ، المحبر ، ص٥٣ ، الترمذي ، سنن الترمذي ، ٣/٤٤٧ ـ ٤٤٨.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨/٣٣.

٣ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨/٣٤.

٤ ـ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/١٧٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢/٢٩٤.

٥ ـ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٧/١٣٠.

٦ ـ مصعب الزبيري ، نسب قريش ، ص٢١ ، ابن حبيب ، المحبر ، ص٥٢ ـ ٥٣ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤/١٨١٩ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٣/١٢٦ ، ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، =

الإجماع بين الرواة على ان فاطمة(ع) كانت أصغر بناته[1] ، وقد قال ابن عبد البر في هذا الأمر: (وقد أضطرب مصعب والزبير في بنات النبي صلى الله عليه وسلم ، أيتهن أكبر وأيتهن أصغر ، اضطرابا يوجب الا يلتفت إليه في ذلك ، والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت به الأخبار في ترتيب بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان زينب الأولى ثم الثانية رقية ثم الثالثة أم كلثوم ثم الرابعة فاطمة الزهراء)[2].

وعليه تكون ولادة رقية بعد زينب ، وقد ذكرنا فيما سبق ان زينب ولدت في السنة الأولى أو الثانية لزواج الرسول(ص) ، فيكون عمرها إلى البعثة إحدى عشرة سنة أو إثنتي عشرة سنة ، وأن جاء في بعض الروايات أنها ولدت عندما بلغ عمر النبي(ص) ثلاث وثلاثين سنة[3] ، لكن هذه الرواية من الصعب تأييدها ، لأن عمر السيدة رقية(رض) إلى البعثة يكون سبع سنوات ، فكيف تكون قد تزوجت من عتبة بن أبي لهب[4] ، وهذا الزواج بالتأكيد كان قبل الإسلام[5] ، أو في بداية البعثة النبوية ، على الرغم من أننا نعتقد ان هذا الزواج كان مجرد عقد ، ومع ذلك فليس من المعقول ان يزوجها الرسول(ص) ، وهي بهذا العمر الصغير ، فيكون راينا الأول أقرب للواقع.

وبناءً على ما تقدم فإنها لم تنتقل إلى بيت عتبة بحكم صغر سنها ، كما ان الدعوة الإسلامية لم تجعل هذا الزواج يستمر ، أذ وقفت أسرة عتبة معارضة لهذه

=٢٨٩/٢ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٤/٢.

١ . ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٥/١ ، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٦/٨ ، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٣٨ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٤٩/٣ ، ابن حجر، الإصابة، ٣٧٧/٤.

٢ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٩٣/٤.

٣ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٣٩/٤ ، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٤/ ٤٦.

٤ . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٦/٨ ، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ ، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٢ ، ابن حبيب، المحبر، ص٥٣.

٥ . ذكر ابن حجر أنها تزوجت به قبل الإسلام، الإصابة، ٤٩٠/٤.

الدعوة ، على الرغم من أنها تنتسب إلى بني هاشم ، ونحن نعرف ان بني هاشم وقفوا مع الرسول(ص) ودافعوا عنه بقوة ، وعلى الرغم من بقاء العديد منهم على الشرك ، ويبدو ان زوجة أبي لهب أم جميل بنت حرب بن أمية استطاعت التأثير على هذه الأسرة ، إذ تنتسب إلى بني أمية الذين كانوا قادة المعارضة للدعوة الإسلامية ، فأعلنت هذه الأسرة حربها على الرسول(ص) والمسلمين ، حتى نزلت سورة المسد التي تهجو أبا لهب وزوجته ، (تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، في جيدها حبل من مسد) ، والملفت أنه الوحيد من المشركين الذي هجاه القرآن بالاسم ، وقد يكون السبب في ذلك هو أنه الوحيد من بني هاشم الذي وقف ضد الرسول(ص) ، فكان رد فعل هذه الأسرة ان طلبت من ابنها تطليق رقية ، (فلما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (تبت يدا أبي لهب) قالت العوراء أم جميل بنت حرب بن أمية وهي أم عتبة بن أبي لهب وهي حمالة الحطب: أيهجونا محمد ونمسك أبنته فطلقها ننكحك غيرها)[1].

وفي رواية ان أباه هو الذي طلب منه ذلك (فلما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله (تبت يدا أبي لهب) قال له أبو لهب: رأسي من رأسك حرام ، ان لم تطلق ابنته ففارقها ، ولم يكن قد دخل بها)[2]. وبعد ان طلقها عتبة ذهب للنبي(ص) وقال: (كفرت بدينك وفارقت أبنتك لا تحبني ولا أحبها ، وشق قميص النبي صلى الله عليه وسلم ثم توجه إلى الشام ، فقال النبي: أما أني أسأل الله ان يسلط عليه كلبه ، فلما نزلوا بالورقاء من أرض الشام أطاف بهم أسد ليلا ، فقال عتبة: ويل أمي هو آكلي كما دعا علي محمد ، وهو بمكة وأنا بالشام ، فغدا عليه الأسد فقضم رأسه فصدغه من بين القوم)[3] ، وفي رواية مصعب الزبيري ان الذي أكله الأسد

---

١ ـ أبو عبيدة ، أزواج النبي ، ص٢٤ ، ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٤٢ ، ابن حبيب ، المحبر ، ص٥٣ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، ١/ ٤٠١.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨/ ٣٦ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٤٢.

٣ ـ أبو عبيدة ، أزواج النبي ، ص٢٤ ، الطبرسي ، أعلام الورى ، ص١٣٩ ، المتقي الهندي ، كنز=

هو عتيبة بن أبي لهب ، وهو أقرب للصواب ، لأن عتبة كان قد شهد معركة حنين مع الرسول(ص) ، وكان ممن ثبت في هذه المعركة من الهاشميين ولم ينهزموا[1].

وإذا أردنا ان نضع تاريخا لطلاقها من ابن أبي لهب ، يمكننا القول إنه طلقها في السنة الرابعة أو الخامسة للبعثة ، أي ان عمرها خمسة عشر أو ستة عشر عاما ، وهذا العمر يؤهلها للزواج ، وبالفعل تقدم لخطبتها الصحابي عثمان بن عفان(رض) وتزوجها[2] ، فكان طلاقها من أبن أبي لهب كرامة لها وهوانا له[3] ، فتطلقت من مشرك وتزوجت أحد الصحابة.

لكن هذا الزواج لم يكن طبيعياً في ظل الصراع الذي كان دائرا بين الإسلام والشرك ، وكان زوجها ينتمي إلى بني أمية ، فضغطوا عليه من أجل ترك دينه الجديد ، فكان هذا الضغط الموجه له ولبقية المسلمين من المستضعفين وغيرهم ، سببا في ان يأذن لهم الرسول(ص) في الهجرة للحبشة[4] ، في السنة السادسة للبعثة[5] ، قبل حصار الشعب الذي كان في السنة السابعة للهجرة[6] ، وذكرت الروايات ان رقية كانت قد أنجبت لعثمان ولدا أسمه عبد الله وبه كان يكنى ، لكنه مات بعد ان نقره ديك في

=العمال، ٥/١٤.

١ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٨٩ ـ ٩٠.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٦/٨ ـ ٣٧ ، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ ، ابن حبيب، المحبر، ص٥٣، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٢، ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٢، البلاذري، انساب الأشراف، ٤٠١/١، أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٢٧/٢ ، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٧ ، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٤٨/١.

٣ ـ ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٤٥٦ ، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص١٦٣.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٧/٨ ، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣ ، البلاذري، انساب الأشراف، ٤٠١/١.

٥ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٨٠/١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٠٤/١ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٣١/٢.

٦ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٢ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٠٨/١ ، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٣٣١/٢.

عينه[1]. فيما ذكرت روايات أخرى أنها أسقطت سقطا في السفينة التي كانت تقلهم إلى الحبشة[2] ، وهذه الرواية الأخيرة تدل على ان رقية تزوجت من عثمان في السنة الخامسة للبعثة.

لكن هذه الهجرة لم تستمر طويلا ، فبعد مدة عاد قسم من المهاجرين ، ومن بينهم رقية وزوجها ، بعد ان سمعوا أخباراً عن إسلام أهل مكة ، لكنهم بعد ان عادوا إلى مكة ، وجدوا أهل مكة باقين على شركهم ، ثم هاجرت مع زوجها مرة أخرى إلى المدينة المنورة[3].

وهذه الروايات التي قدمناها تبين حجم المعاناة التي تحملتها السيدة رقية(رض) ، في سبيل الإسلام فقد تحملت ضغوط المشركين على زوجها ، وقبلها مع أسرتها تحملت هذه الضغوط ، ثم قاست النفي والتغريب عن أمها وأبيها وأخواتها ، ثم أسقطت جنينها نتيجة لقسوة الهجرة والسفر ، وكل ذلك في سبيل الإسلام ، فرجعت إلى مكة وكانت من أصحاب الهجرتين في الإسلام ومن أجل الإسلام ، وهذه المعاناة جعلتها كأختها زينب لا تعمر طويلا ، فتوفيت وهي لم تصل الثلاثين من عمرها ، وأن ذكرت الروايات إنها ماتت بالحصبة[4] ، فاننا نعتقد أنها توفيت نتيجة لإسقاط جنينها ، ومعاناة السفر المتعدد إلى الحبشة والمدينة.

وقبل خروج المسلمين إلى معركة بدر مرضت رقية ، فسمح الرسول(ص)

---

١ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣، ابن حبيب، المحبر، ص٥٣، ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٠١/١، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٢٧/٣، الطبرسي، أعلام الورى، ص١٣٩.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٦/٨ ـ ٣٧، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٧/٢.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٢/٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٠٥/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠٤/٢.

٤ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٧/٨، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٣، ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٢، البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٠١/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ١١٤/٧.

لعثمان (رض) ان يبقى معها ، لكنها لم تبق كثيرا فتوفيت قبل رجوع الرسول(ص) والمسلمين من هذه المعركة ، فعندما رجع الرسول(ص) وجدها قد توفيت ودفنت[١] ، فوقف على قبرها وبدأ يبكي ، وهو رافع يديه إلى السماء يدعو لها ربه ان يرحمها[٢].

٣- أم كلثوم بنت رسول الله (ص)

هي البنت الثالثة لرسول الله(ص) لم تذكر لها الروايات اسماً غير هذا ، وقد اختلفت الروايات في الصغرى من بنات الرسول(ص) أهي أم كلثوم أم فاطمة؟ لكن معظم الرواة ذهبوا إلى أنها أسن من فاطمة[٣].

وبناءاً على ما قدمناه سابقا عن عمر أخواتها زينب وأم كلثوم ، فإننا نعتقد ان عمرها إلى البعثة كان عشر سنوات أو أكثر ، وهو عمر معقول ، لاسيما إذا عرفنا ان هناك رواية تذكر أنها تزوجت من عتيبة بن أبي لهب ، ولم يدخل بها أي ان هذا الزواج كان بمثابة عقد فقط[٤] ، وقد تنبه ابن حجر إلى هذا التناقض وقال: (إن ولدي أبي لهب تزوجا رقية وأم كلثوم قبل البعثة فإنه فيه نظر ، لأن أبا عمر - يقصد ابن عبد البر - نقل الاتفاق إلا ان زينب أكبر البنات وأنها ولدت قبل البعثة بعشر سنين ، فإذا كانت زينب أكبرهن بهذا السن فكيف تزوج من هو أصغر منها؟ نعم

---

١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٧/٨ ، مصعب الزبيري ، نسب قريش، ص٢٣ ، ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٤٣ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٤٢ ، البلاذري ، أنساب الأشراف، ٤٠١/١ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ١١٤/٧.

٢ - المجلسي، بحار الأنوار، ٢١٧/٦.

٣ - ابن هشام، السيرة النبوية ، ١٧٤/١ - ١٧٥ ، ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٤٨ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ١٢٦/٣ ، ١٤٩ ، ابن حجر ، الإصابة ، ٣٧٧/٤.

٤ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٨/٨ ، ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٤٣ ، ابن قتيبة ، المعارف، ص١٤٢ ، البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٠١/١.

ان ثبت عقد نكاح إلى ان يحصل التأهل فكان الفراق وقع قبل ذلك)[1].

وكما فعل عتبة مع رقية ، قام عتيبة بتطليق أم كلثوم ، بعد نزول سورة المسد بذم أبي لهب وزوجته ، والذي يبدو أنها لم تنتقل من بيت أبيها وأمها ، فبقيت مع أسرتها ، وشهدت مع هذه الأسرة كل الأحداث التي مرت بها الدعوة الإسلامية ، فهاجرت إلى المدينة مع المسلمين ، وبقيت مع أبيها حتى السنة الثالثة من الهجرة ، فتزوجها عثمان بن عفان(رض) بعد وفاة أختها رقية[2] ، وكما هو الحال مع أختها رقية لم نحصل على روايات كثيرة عنها ، تبين لنا ولادتها أو حياتها مع الرسول(ص) والسيدة خديجة(ع) في مكة ، أو حياتها مع أبيها بعد الهجرة إلى المدينة ، حيث لم نحصل إلا على ثلاث أو أربع فيها.

وذكرت الروايات ان أم كلثوم توفيت في السنة التاسعة للهجرة[3] ، فغسلتها أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب(رض) فجلس رسول الله(ص) عند قبرها ، ونزل علي بن أبي طالب(ع) والفضل بن العباس وأسامة بن زيد(رض) في قبرها ودفنوها[4] ، فقال رسول الله(ص) عند وضعها في القبر: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ، بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله)[5].

---

١ ـ ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٩٠.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٨/٨، ابن حبيب، المحبر، ص٥٣، ابن حزم، جوامع السيرة، ص٤٠.

٣ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٨/٨، ابن حبيب، المحبر، ص٥٣، ابن حزم، جوامع السيرة، ص٤٠، ابن الجوزي، الوفا، ٦٥٦/١، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٩٠/٢، النويري، نهاية الأرب، ٢١٥/١٨.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٨/٨ ـ ٣٩.

٥ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣٧٩/٢، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٤٣/٣.

٤- فاطمة الزهراء بنت رسول الله(ص)

هي الرابعة من بنات الرسول(ص) ، ولم تتفق المصادر على كونها الأصغر والأمر المختلف هنا ، هو ان الروايات التي تحدثت عن ولادتها كثيرة عكس بقية أخواتها ، وهي على قسمين ، ذكر القسم الأول منها أنها ولدت قبل البعثة النبوية ، والقسم الآخر ذكر ان ولادتها بعد البعثة ، وسوف نستعرض هذه الروايات حسب الترتيب أعلاه.

ذكر بعض الرواة أنها ولدت قبل خمس سنوات من البعثة ، عندما كانت قريش تبني الكعبة[١] ، فيما ذكر هشام الكلبي أنها توفيت ولها من العمر خمس وثلاثون عاما[٢] ، أي ان ولادتها قبل البعثة بتسع سنوات ، وفي رواية الزبير بن بكار بسنده عن عبد الله بن الحسن أنها توفيت ولها من العمر ثلاثون سنة[٣] ، أي ان ولادتها قبل ست سنوات من البعثة.

إن هذه الروايات المتقدمة تدل على ولادة فاطمة(ع) قبل الإسلام ، فرواية هشام الكلبي لا نستطيع قبولها ، لأنها تعارض كل الروايات التي ذكرت أنها أصغر بنات النبي(ص) ، بما فيها روايته التي نقلها عن ابن عباس ، والتي تقول إنها أصغر من زينب ورقية[٤] ، ورواية الواقدي المتقدمة تخالف روايته التي أوردها عن نفيسة بنت منية ، والتي ذكرت ان فاطمة(ع) أصغر بناته ، فيكون عمرها إلى البعثة ثلاث سنوات[٥].

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٥/١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٦/٨ ، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٩٩/٤ ، ابن الجوزي، الوفا ، ٩/٢ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٩٠/٢ ، محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٦٢ ، ابن حجر، الإصابة، ٣٧٧/٤ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٧٨/١.

٢ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٩٩/٤ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٥٧/٣ ، محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٦٢ ، ابن حجر، الإصابة، ٣٧٧/٤ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٧٨/١.

٣ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٩٩/٤ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٩٠/٢.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٣٤/١ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٢٦/١ ، ابن الجوزي، الوفا ، ٦٥٦/١.

٥ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٦/٨.

أما القسم الآخر من الروايات فقد ذكر أنها ولدت بعد البعثة ، ففي رواية عن الإمام الباقر(ع) ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري(رض) عن رسول الله(ص): (أعطيت تفاحة ليلة المعراج ، فأكلتها فصارت ماء في ظهري ، فلما رجعت واقعت خديجة فحملت بفاطمة)[1] ، وأوردت بعض المصادر هذه الرواية عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة (رض)[2] ، وأوردتها مصادر أخرى عن الإمام الصادق عن السيدة عائشة[3] ، وفي رواية عبد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي عن أبيه عن جده إنها ولدت في السنة الحادية والأربعين من عمر النبي(ص)[4]. وفي رواية عن الإمام الباقر(ع) أنها ولدت بعد البعثة بخمس سنوات[5] ، والرواية التي أوردتها المصادر عن عمار بن ياسر ان فاطمة(ع) ولدت في الإسلام[6]. وفي رواية عن الإمام الصادق(ع) تتحدث عن ولادة فاطمة(ع) بعد البعثة ومقاطعة نساء قريش للسيدة خديجة(ع)[7]. ونحن نرجح ولادة فاطمة(ع) في بداية البعثة النبوية ، وهذه الروايات تدل على ولادة فاطمة(ع) في الإسلام ، وهي أقرب للمعقول من الروايات التي

---

١ ـ المجلسي، بحار الأنوار، ٥/٤٣.

٢ ـ الطبراني، المعجم الكبير، ٣٣٤/٢٢، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨٧/٥، محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٤٦، المتقي الهندي، كنز العمال، ٩٤/١٣، السكتواري، محاضرة الأوائل، ابن حجر، لسان الميزان، ١٣٤/١، السيوطي، الخصائص الكبرى، ٤٣٧/١، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٧٧/١.

٣ ـ المجلسي، بحار الأنوار، ٦/٤٣.

٤ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٥/٢، المسعودي، مروج الذهب، ٢٨٩/٢ ـ ٢٩١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٩٣/٤، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٩٠/٢، محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٦، النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢١٣، الفاسي، العقد الثمين، ٢٧٧/١، ابن حجر، الإصابة، ٣٧٧/٤.

٥ ـ الأربلي، كشف الغمة، ٧٦/٢، ابن شهر آشوب، المناقب، ٣٥٧/٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٨/٤٣.

٦ ـ ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٠ ـ ٤١.

٧ ـ الصدوق، أمالي الصدوق، ص٥٣١ ـ ٥٣٢.

ذكرت ان ولادتها قبل البعثة ، ويدعم ذلك أدلة كثيرة سنذكرها.

إذا كانت فاطمة(ع) ولدت قبل النبوة بخمس سنين أو أكثر ، فكيف بقيت كل هذه الفترة حتى أصبح عمرها عند الهجرة ثمانية عشر عاما ، بدون زواج وهي في سن يؤهلها للزواج ، ألم يكن في المسلمين من يرغب ان ينال هذا الشرف ، ويتزوج من ابنة النبي(ص) بما فيهم علي بن أبي طالب؟ ، وفي رواية أخرى ان الصحابة تقدموا لخطبة فاطمة(ع) ، فقال لهم رسول الله(ص): (إنها صغيرة فخطبها علي فزوجها منه)[1]. وعندما يقول رسول الله(ص) أنها صغيرة فهذا أمر حقيقي ، لأنه لا يقول ذلك إلا إذا كانت صغيرة ، وخطبة الصحابة لها كما يبدو من سياق الرواية ، كانت بعد الهجرة لأن الرواية تقول إنه زوجها من علي ، والمعروف ان هذا الزواج تم بعد السنة الثانية للهجرة ، فكيف تكون صغيرة وقد بلغت العشرين ، إذا ذهبنا مع الروايات التي تقول إنها ولدت قبل البعثة.

أما الروايات التي تحدثت عن حياتها فهي كثيرة بمكان ، بحيث لا نستطيع ان نحصرها في هذا البحث الموجز ، لذلك سنحاول عرض بعض الروايات التي تركز على النقاط الرئيسية في حياتها.

نشأت فاطمة(ع) مع أخواتها الثلاثة وأمها الطاهرة ، يحوطها الرسول(ص) برعايته وعنايته ، على الرغم من أنها ولدت في قمة الصراع الذي كان دائرا بين الإسلام والشرك ، فاستقبلت في بداية حياتها كل المعاناة التي شهدتها أسرتها ، فهاجرت أختها رقية إلى الحبشة ، ثم فرض المشركون حصارهم على الرسول(ص) ، وهي في سنوات حياتها الأولى ، فعاشت ذلك الظرف الصعب جدا مع أمها وأبيها واخواتها ، وعانت معهم الجوع والحصار ، ذلك الحصار الذي أدى في النهاية إلى وفاة السيدة خديجة(ع) ، فأخذت السيدة فاطمة(ع) تتعلق بالرسول(ص) ، وتقول له وهي تبكي: (أين أمي؟ أين

---

١ ـ النسائي، خصائص أمير المؤمنين، ص١١٤، السنن الكبرى، ٣/ ٢٦٥، الجويني، فرائد السمطين، ٨٨/١، ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٣٩٩، الهيثمي، موارد الظمآن، ص٥٤٩.

أمي؟ فنزل عليه جبريل(ع) فقال لفاطمة(ع): ان الله تعالى بنى لأمك بيتا من قصب لا نصب فيه ولا صخب)[1] ، نعم لقد كانت فاطمة(ع) تريد أمها ، كونها صغيرة بحاجة إلى أم ترعاها وتقضي حاجاتها ، فهي لم تبلغ سن الشباب حتى تستغني عن رعاية أمها ، وكانت بحاجة إلى أمها في ظل الحرب القائمة بين الإسلام والشرك ، لاسيما ان الرسول(ص) بقي وحيدا في هذه المعركة ، ففقد عمه وزوجته وبدأت اعتدآت المشركين تزداد عليه ، فكان يرجع إلى بيته فلا يجد خديجة(ع) ، التي كانت تخفف عنه ما ألم به من عناد المشركين ، وهنا كانت فاطمة(ع) على صغر سنها تمثل دور أمها ، فكانت أكبر من عمرها في تلك الفترة ، فلم تكن مجرد فتاة صغيرة ، بل كانت امرأة ناضجة ساهمت في الدعوة الإسلامية كما باقي الرجال ، وكيف لا وهي ابنة محمد(ص) وخديجة(ع) ، تلك المرأة التي تحملت ما يعجز عنه أقوى الرجال ، فكانت بحق ابنة خديجة(ع) ومثلت دورها بعد وفاتها.

لذلك كانت تدافع عن أبيها على صغر سنها ، ففي رواية ان المشركين كانوا مجتمعين قرب الكعبة ، ورسول الله(ص) يصلي ، فقال أحدهم: (من يأخذ هذا السلى فيلقيه على ظهره ، فقال عقبة بن أبي معيط: أنا فأخذه وألقاه على ظهره ، فلم يزل ساجدا حتى جاءت فاطمة(ع) ، فأخذته عن ظهره وهي باكية ، ودعت على من صنع ذلك ، فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم عليك بقريش ، قالها ثلاثا اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف ، فلقد رأيتهم قتلوا في يوم بدر فالقوا في القليب غير أمية فأنه كان رجلا ضخما ، فلما جروه تقطعت أوصاله قبل ان يلقى بالبئر)[2] ، لذلك كانت

---

١ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٨/٢ ، الطوسي، الأمالي، ص١٧٥ ، الدميري، حياة الحيوان، ٣٨٩/٢، المتقي الهندي، كنز العمال، ١١٦/١٣ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٣٠١/١.

٢ ـ البخاري، صحيح البخاري، ١٢٧/٤ ، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٠٥/١ ـ ١٠٦ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٢/٦ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١٠٣/١ ، المتقي الهندي، كنز العمال، ٨٩/٢ ـ ٩٠.

أحب أبنائه اليه ، فكناها بأم أبيها[1].

ثم جاءت الهجرة إلى المدينة ، وبدأ المسلمون بالهجرة اليها ، بعد ان وجدوا ملاذا آمنا لهم ولدينهم ، ثم خرج الرسول(ص) مهاجرا ليلا بعد ان خلف ابن عمه عليا(ع) يبات في فراشه ، حتى لا يتبعه المشركون ، ويبدو من خلال الروايات ان أم كلثوم وفاطمة(ع) بقيتا في مكة ، وكانت مسؤولية علي(ع) حمل أسرة الرسول(ص) إلى المدينة[2] ، وهذه الروايات تشير إلى بنات النبي عدا رقية بقين في مكة ، ولم يهاجرن معه وهذا يدلل على عظمة النبي(ص) وأسرته ، فعلى الرغم من حبه لهذه الأسرة لاسيما ابنته فاطمة ، لكنه لم يميز بينها وبين غيرها ، فأبقاها بين المشركين عند أعداءه ، وأبقى ابن عمه علي بين هؤلاء ثلاثة أيام يؤدي الودائع التي كانت للناس عند الرسول(ص)[3] ، وهؤلاء المشركين قد يقوموا بقتل علي(ع) ، لكن هذا هو رسول الله (ص) في اماتته وصدقه عدله وتضحيته وصبره.

ثم وصلت أم كلثوم وفاطمة(ع) إلى المدينة بصحبة علي(ع) ، بعد ان أخذ بهم السفر القاسي كل مأخذ فأرسل الرسول(ص) إلى علي بعد وصوله ، فأخبروه إنه لا يقوى على المشي ، فأتاه النبي(ص) واعتنقه وأخذ يبكي ، لما رأى به من الألم إذ كانت قدميه تقطران دما ، فأخذ الرسول(ص) من بصاقه الشريف ومسح قدميه فشفيتا[4].

---

١ ـ الطبراني، المعجم الأوسط، ٢٢/ ٣٩٧، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٩/٤، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣/ ١٥٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٢٠/٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ١١٩، ابن حجر، الإصابة، ٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣، ومعنى هذا هو ان الأم في اللغة هي الأصل والجامع للشيء والعرب يسمون ما يجمع أشياء متعددة أما ، إذن فالمعنى المراد بأن فاطمة(ع) أم أبيها أي أم ذرية أبيها فيكون هذا على حذف مضاف، وذلك فإن من المعلوم ان النبي(ص) لم تكن له ذرية إلا من فاطمة(ع)، فمن ذلك صح تسميتها بأم أبيها، لأنها هي الأصل والجامع لذريته(ص)، المحتضر، نساء النبي وأولاده(ص)، ص٦٨ ـ ٦٩.

٢ ـ ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ١٩.

٣ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ١٠٦، ابن كثير، *البداية والنهاية*، ٢١٩/٣.

٤ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٤١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ١٩، المجلسي، بحار الأنوار، ١٩/ ٦٢.

وبقيت السيدة فاطمة الزهراء(ع) في بيت الرسول(ص) ، وشهدت أحداث ما بعد الهجرة إلى المدينة ، وعاشت مع المسلمين تأسيس دولتهم الجديدة ، ورأت خروج الرسول(ص) إلى معركة بدر في السنة الثانية للهجرة ، وكانت تترقب كما باقي المسلمين نتائج هذه المعركة المصيرية بين الإسلام والشرك ، فانتهت هذه المعركة بانتصار المسلمين على أعدائهم ، وعادوا إلى مدينتهم وقد ازدادوا قوة ومنعة ، لكن قبل رجوعهم من هذه المعركة توفيت رقية ، فعاد الرسول(ص) وقد وجدهم انتهوا من دفنها ، فذهب إلى قبرها بصحبة ابنته الزهراء ، فكانت فاطمة(ع) جالسة قرب قبر أختها وهي تبكي على فراق أختها ، غير معترضة على حكم الله وسنة الموت التي سنها على عباده ، ورسول الله(ص) جالس إلى جنبها يمسح دموعها بطرف رداءه رحمة بها[1] ، هذه الدموع التي ما ما انفكت تنزل من عينيها ، فقد فارقت أمها قبل سنوات ، ومنعت أختها زينب من الهجرة وأسقط جنينها ، وكل ذلك في سبيل الدعوة الإسلامية.

ثم تزوجت فاطمة الزهراء(ع) بعلي بن أبي طالب(ع) ، وقد جاءت روايات كثيرة في هذا الموضوع ، سنحاول تسليط الضوء على البعض منها ، وقد ذكرنا فيما سبق ان الصحابة تقدموا لخطبتها لكن الرسول(ص) اعتذر لهم ، وورد في رواية ان أبا بكر(رض)خطب فاطمة من النبي(ص) ، فقال له: (يا أبا بكر أنتظر بها القضاء ، فذكر ذلك أبو بكر لعمر ، فقال له عمر: ردك يا أبا بكر قال لعمر: أخطب فاطمة إلى النبي ، فخطبها ، فقال له مثل ما قال لأبي بكر ، أنتظر بها القضاء)[2] ، ثم تقدم تقدم علي(ع) لخطبتها ، فقال له الرسول(ص): (مرحبا وأهلا ، فقيل لعلي: يكفيك من رسول الله أحدهما ، أعطاك الأهل والرحب)[3] ، والذي يبدو من هذه الروايات

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣٧/٨ ، ابن حنبل ، مسند أحمد ، ٣٣٥/١ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٧١/٤ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ١٧/٣.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٩/٨ ، المرتضى ، رسائل المرتضى ، ٩٥/٤ ، المتقي المهندي ، كنز العمال ، ١١٢/١٢.

٣ ـ النسائي ، السنن الكبرى ، ٣٣/٦ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ٢٠/٢ ، ابن شهر آشوب ، المناقب ، ١٢٣/٣ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٠٩/٤٣ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٢٠٩/٩.

ان النبي(ص) كان ينتظر خطبة علي(ع) لها ، فهو شاب في مقتبل عمره يتمتع بكل الصفات التي يريدها أي أب لابنته ، زد على ذلك محبة الرسول(ص) وتربيته له.

ولم يكن ينقص علي(ع) سوى المال الذي يتزوج به ، وهذا الأمر في مقياس الرسول(ص) والمسلمين في تلك المدة ، لم يكن يشكل عائقا أو مشكلة ، فقد تعودوا على شظف العيش وقساوة الحياة ، والزهد بالدنيا ونعيمها ، فسأله الرسول(ص) ما الذي سيقدمه صداقا لفاطمة(ع) ، لكن علي(ع) لم يكن يملك شيئا سوى سيفه ودرعه ، فقال له الرسول(ص): (فأين درعك الحطمية التي كنت منحتك؟ قال: عندي ، قال: أصدقها إياه ، فأصدقها وتزوجها)[1] ، وهذه الدرع كانت تساوي أربعمائة درهم حسب ما جاء في الروايات أو أربعمائة وثمانين درهما فكان هذا هو صداقها(ع)[2].

فاشترى علي بهذه الصداق سريرا بسيطا ووسادة حشوها ليف وطيبا وأشياء أخرى[3] ، مع ان فاطمة كانت بنت سيد الكائنات وأمها سيدة النساء ، لكنها جهزت بهذا الجهاز البسيط ، وهذا دليل على تواضع هذه الأسرة وأخلاقها الراقية ، فكانت بحق القدوة والأسوة لنا ، إذ لم تأخذ من الدنيا سوى أبسط أشياءها ، ولم تكترث كثيرا لمتاعها ومغرياتها ، فكانت تعيش عيشة بسيطة كما يعيش الفقراء ، لان هذه الدار هي ليست دارها فهي زائلة ونعيمها منقطع ، والموعد تلك الدار الباقية حيث النعيم الدائم.

ولم يكن رسول الله(ص) يترك فاطمة تخرج من بيته ، دون ان يعطيها هدية قيمة لزواجها ، ونحن نتصور ان قيمة هذه الهدية كانت كبيرة جدا تتناسب وحبه لها ، لكن الفرق هنا في هذه الأسرة أنها تختلف عنا في تقييمها ، فنحن ننظر إلى القيمة

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٠/٨ ، ابن حنبل ، مسند احمد ، ٨٠/١ ، ابن حزم ، المحلى ، ٤٩٠/٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤١٨/٣.

٢ ـ الكوفي ، مناقب امير المؤمنين ، ٢١٤/٢ ، ابن حزم ، المحلى ، ٤٩٠/٩ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٢٢٢/٧.

٣ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٢/٨ ـ ٢٣ ، الكوفي ، مناقب امير المؤمنين ، ٢١٤/٢ ، ابن حنبل ، مسند احمد ، ١٠٤/١ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٢٠٥/٩.

المادية للأشياء ، فيما هم ينظرون إلى أشياء أخرى غير التي نراها نحن ، فكان همهم الدار الآخرة وما يأخذوه من هذه الدار معهم اليها ، فكان دعاء الرسول(ص) لهما أعظم هدية يمكن ان يحصلا عليها ، لذلك طلب الرسول(ص) من علي ان لا يحدث أي شيء حتى يأتيه ، (فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه ، ثم أفرغه على علي وفاطمة ، وقال: اللهم بارك فيهما ، وبارك عليهما ، وبارك لهما في نسلهما)[1]. فهل هناك هدية أكبر قيمة من هذا الدعاء.

وبقي الرسول(ص) متعلقا بابنته على الرغم من زواجها ، حتى أنه كان لا يرجع من سفر له أو غزوة يغزوها ، إلا وكان بيت فاطمة أول بيت يدخله بعد المسجد ، ففي رواية عن السيدة عائشة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم يثني بفاطمة ، ثم يأتي أزواجه ، فقدم من سفر فصلى في المسجد ركعتين ، ثم أتى فاطمة فتلقته على باب البيت ، فجعلت تلثم فاه وعينيه وتبكي ، فقال: لا تبكي ، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: أراك شعثا نصبا قد أخلولقت ثيابك ، فقال لها: لا تبكي فإن الله بعث أباك بأمر ، لا يبقى على وجه الأرض بيت ولا مدر ولا حجر ولا شعر إلا أدخله الله به عزا أو ذلا ، حتى يبلغ حيث بلغ الليل)[2]. وفي رواية أخرى عن السيدة عائشة أنها قالت: (ما رأيت أحدا من خلق الله أشبه حديثا وكلاما برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة ، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها وقبلها ورحب بها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلته)[3] ، وفي رواية حماد بن سلمة بسنده عن أنس بن مالك: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢١/٨ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٢٢/٧.

٢ ـ الطبراني، المعجم الكبير، ١٨٦/٢٢ ، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٥٥/٣ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٠/ ٥٣٧، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٦٢/٨ ـ ٢٦٣.

٣ ـ أبو داود، سنن أبي داود، ٥٢٢/٢ ، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٦١/٥، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢٣٤١/٣ ، الطوسي، الأمالي، ص٤٠٠ ، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص٤١.

كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: (الصلاة يا أهل بيت محمد (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[1] ، وفي رواية عن عمر بن أبي سلمة(رض) أنه قال: (أخبرني أسامة بن زيد ، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: أحب أهلي الي فاطمة)[2].

وعلى هذه العناية الكبيرة التي كانت تحوطها من أبيها وزوجها ، عاشت فاطمة حياة طبيعية وهي ترى الإسلام ينتصر ويكبر يوما بعد يوم ، وهي ليست ببعيدة عن هذه الأحداث ، فعندما حدثت معركة أحد وانتهت بخسارة المسلمين ، واستشهاد الكثير منهم وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب(ع) ، وجرح الرسول(ص) في وجهه ، كانت فاطمة(ع) قريبة منه تعالج جروحه وهي تبكي ، ثم غسلت الدماء التي كانت على وجهه الشريف ، ومعها علي(ع) يكب الماء ، لكن الدماء لم تتوقف والدم يزيد كثرة ، فأخذت قطعة حصير وأحرقته وألصقته عليه فوقف الدم[3] ، لكن الذي يبدو من هذه الرواية ، ان فاطمة(ع) كانت قد خرجت مع المسلمين إلى معركة أحد لتداوي الجرحى. كذلك فإنها عاصرت جميع أحداث الدعوة الإسلامية مع المسلمين.

وأنجبت أبنائها الأربعة في تلك المدة ، فأنجبت أولا الحسن(ع) في السنة الثالثة للهجرة[4] ، ثم ولدت الإمام الحسين(ع) في السنة الرابعة للهجرة[5] ، ولا نستطيع هنا

---

١ ـ ابن حنبل، مسند أحمد ، ٢٥٩/٣ ، الطبري، جامع البيان، ٩/٢٢ ، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٣٥/٢٢، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٢٣/٧ ، ابن كثير، تفسير القرآن، تفسير سورة الأحزاب، الآية ٣٣، ٤٨٣/٣ ، المتقي الهندي، كنز العمال، ٦٤٦/١٣.

٢ ـ الضحاك، الآحاد والمثاني، ٣٥٩/٥، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٣٥/٢٢، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٢/ ٤١٧ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٤٩٩/٣ ، المتقي الهندي، كنز العمال، ١٠٨/١٢.

٣ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٤٨/٨ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣٥/١٥.

٤ ـ ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٣٨، الطوسي، تاج المواليد ، ص٢٤ ، ابن الأثير، أسد الغابة ، ١٠/٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩/١٦.

٥ ـ الطوسي، تاج المواليد ، ص٢٨ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ١٨/٢ ، ابن حجر، الإصابة ، ٦٨/٢.

إحصاء ماقاله الرسول(ص) فيهما ، أو إحصاء فضائلهما لكن سنكتفي ببعض هذه الأقوال:

قال فيهما: (هما ريحانتاي من الدنيا)[1].

وقال في حديث آخر: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)[2].

وقال فيهما: (هذان ابناي وأبنا ابنتي ، اللهم أني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)[3].

وقال في الحسن: (اللهم أني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه)[4].

وقال في الحسين(ع): (حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحبه ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط)[5].

ثم ولدت بعد ذلك زينب وام كلثوم والمحسن مات سقطا[6] ، وكما قدمنا فإن هذه الأسرة عاشت تحت عناية الرسول(ص) ، فعندما يخرج من بيته يمر على الحسن والحسين ليخرجا معه ويحملهما على كتفيه[7] ، ويأخذهما إلى المسجد معه ، حتى إنهما في أحدى المرات صعدا على ظهره وهو في الصلاة ، فأطال السجود والمسلمون

---

١ ـ البخاري، صحيح البخاري، ٧٤/٧، الطبراني، المعجم الكبير، ١٥٦/٤، الذهبي، سير= أعلام =النبلاء، ٢٨٢/٣، ابن حجر، الإصابة، ٦٨/٢.

٢ ـ ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٣، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ٤٤/١، الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣٢١، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٦٧/٣، الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٨٣/٩.

٣ ـ الترمذي، سنن الترمذي، ٥/ ٣٢١، الطبراني، المعجم الكبير، ٣/ ٤٩، الطوسي، الأمالي، ص٣٦٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٥٠/٣.

٤ ـ البخاري، الأدب المفرد، ص٢٤٦، مسلم، صحيح مسلم، ١٢٩/٧.

٥ ـ البخاري، التاريخ الكبير، ٨/ ٤١٥، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٢/٣، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ١٨١، السيوطي، الجامع الصغير، ٥٧٥/١.

٦ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٥٣، البلاذري، أنساب الأشراف، ٤٠٢/١، ابن حزم، جوامع السيرة، ص٤٠.

٧ ـ الطبراني، المعجم الكبير، ٤٩/٣، الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٨٠/٩.

لا يعلمون السبب ، فلما فرغوا من الصلاة سألوه عن السبب ، فيقول لهم ان ابنيه كان على ظهره ، وهو يكره ان يعجلهما وينزلهما عن ظهره[1] ، وكل هذا ناتج عن حبه لهذه الأسرة وقربها إلى قلبه ، ولا يمكننا هنا في هذا المقام ان نوضح علاقة الرسول(ص) بها ، ونكتفي برواية واحدة ذكرتها أغلب مصادر التاريخ وكتب الحديث ، وهي تلخص هذه العلاقة ، إذ جاء فيها ان الرسول(ص) أدخل علياً وفاطمة والحسن والحسين(ع) تحت كساء له ، ودعا ربه بالقول: (اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)[2] ، وكانت زوجته أم سلمة تسمع هذا الكلام ، فقالت له: (وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك على خير)[3] ، فكان رسول الله(ص) يمر ببيت فاطمة(ع) ستة أشهر ، إذا خرج لصلاة الفجر ، ويقول: (الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[4].

ومن بين كل روايات السيرة وكتب الحديث لم نجد ما يعكر صفو حياة هذه الأسرة ، سوى الرواية التي أوردتها بعض المصادر ، والتي تذكر ان علياً (ع) أراد ان يتزوج إبنة أبي جهل ، الأمر الذي اضطر فاطمة(ع) ان تشتكي لأبيها من علي ، وسنذكر الرواية كاملة ثم نناقشها: (ان عليا خطب بنت أبي جهل فسمعت

١ ـ النسائي، السنن الكبرى، ٥٠/٥، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص١٣٢، الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٨٢/٩.

٢ ـ مسلم، صحيح مسلم، ١٣٠/٧، ابن حنبل، مسند احمد، ٢٩٢/٦، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٦١/٥، النسائي، السنن الكبرى، ١١٣/٥، الصدوق، الأمالي، ص٥٥٩، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٤١٦/٢، البيهقي، السنن الكبرى، ٦٣/٧، ابن حجر، فتح الباري، ١٠٤/٧.

٣ ـ ابن حنبل، مسند احمد، ٢٩٢/٦، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٦١/٥، الطبراني، المعجم الكبير، ٥٥/٣، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٤١٦/٢.

٤ ـ الترمذي، سنن الترمذي، ٣١/٥، الطبري، جامع البيان، ١٠/٢٢، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٥٨/٣، الحسكاني، شواهد التنزيل، ١٨/٢، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص٢٤، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٩٢/٣، السيوطي، الدر المنثور، ١٩٩/٥.

فاطمة(ع) فأتت أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني واصدقني ، وأن فاطمة بضعة مني وأني أكره ان يسوئها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله ، وبنت عدو الله عند رجل واحد ، فترك علي الخطبة ، وزاد محمد بن عمر بن حلحلة بن شهاب عن علي بن مسور بن مخرمة ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له صهرا له من بني عبد شمس فأثنى عليه بمصاهرته إياه فأحسن ، قال: حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي)[1].

وهذه الرواية ذكرتها أغلب المصادر الإسلامية سواء بالرفض أو القبول ، ثم أعجب بها أحد المستشرقين وعلق عليها وزاد فيها ، بحيث شوه الرواية الأصلية وأساء إلى السيدة فاطمة(ع) ، فقال: (وكان للنبي ابنة غير متزوجة ، وكانت في العشرين من عمرها أسمها فاطمة ، وقد توفيت أبنته رقية منذ زمن غير قليل ، وكانت رقية متزوجة بعثمان ، وكانت فاطمة نحيفة طويلة القامة مع الشحوب ، وكانت فاطمة العابسة دون رقية جمالا ودون زينب ذكاءا ، ولم تدار فاطمة حينما أخبرها أبوها من وراء الستر ان علي بن أبي طالب ذكر أسمها ، وكانت من عادة البنت إذا وافقت على الزواج سكتت وإلا حركت الستر ، فلما أخبرت فاطمة بذلك صمتت ، فكان ذلك عن حياء أو حيرة ، ما دامت قد قالت لأبيها ذات يوم أنه زوجها فقير ، وكانت فاطمة تعد علياً دميما محدودا مع عظيم شجاعته ، وكان علي أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه)[2]. وبعد ذلك يصف خطبة علي(ع) لابنة أبي جهل: (ولكن محمدا مع امتداحه قدم علي في الإسلام إرضاءاً لأبنته ، كان قليل الالتفات اليه ، وكان صهرا للأمويين عثمان الكريم وأبي العاص أكثر مداراة للنبي من علي ، وكان علي يألم

---

١ ـ البخاري، صحيح البخاري، ٢٨/٥، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٣٧/٢٢.

٢ ـ دور منغم، حياة محمد، ص١٩٩.

من عدم عمل النبي على سعادة أبنته ، ومن عد النبي له غير قوام بجليل الأعمال ، فالنبي كان يفوض إليه ضرب الرقاب ، وكان يتجنب تسليم القيادة اليه ، وقد أراد علي يوما ان يتزوج على فاطمة ، فغضب النبي واحتج على ذلك جهرا من فوق المنبر ، إلا ان علي كان غير لبق في ميله للزواج من ابنة أبي جهل ، وجمعه تحت سقف واحد بنت رسول الله وبنت اشد أعدائه ، ومما الم منه علي عدم إذن النبي له في الزواج من أخرى مع فاطمة كما صنع مع صهريه الآخرين)[1].

ولو أتينا لمناقشة آراء المستشرق التي ذكرناها ، نجد أنه جانب الحقيقة في كثير من الأمور ، وقد يعود السبب إلى عدم معرفته باللغة العربية ، التي قادته إلى قصور في الإطلاع على مصادر تاريخ المسلمين ، لذلك بنى كل تصوراته على روايات مفردة ، ظن إنها محور الأحداث في تلك الفترة ، وهذا خلل في البحث العلمي ، لأن معرفة التاريخ تحتاج إلى التدقيق والتحقيق في كل الروايات ، وهو ما لم يفعله هذا المؤرخ ، فأعطى تحليلات غير دقيقة وبعيدة عن الواقع ، فمثلا استند في تحديد عمر فاطمة(ع) على مجموعة من الروايات دون غيرها ، وهذا أوصله إلى رأي مفاده إنها كانت متأخرة في الزواج ، وقاده هذا إلى ان فيها عيوباً جعلت الرجال لا يتقدمون لخطبتها ، وقد بينا ان الروايات التي ذكرت أنها ولدت في البعثة ، أقرب للعقل من تلك الروايات التي ذكرت ولادتها قبل البعثة.

والجانب الأخر هو صفات السيدة فاطمة(ع) التي تخيلها هذا المستشرق استنادا على الروايات التي ذكرت ولادتها قبل البعثة ، فأطلق العنان لخياله لبناء تصورات غير موجودة في الواقع ، فاستنتج أنها لم تكن على قدر من الجمال والذكاء ، لذلك تأخرت في الزواج ، ونحن هنا لا نريد ان ننزلق في هذا الأمر كثيرا ، لاسيما ان المعيار في الإسلام لم يكن الشكل ، بل كان القلب والعقل والعمل الصالح ، الذي رفع بلال(ص) الأسمر العبد الفقير ووضعه في الصف الأول ، ووضع أبا جهل الجميل السيد الغني في

---

١ ـ دور منغم، حياة محمد ، ص١٩٩.

الدرك الأسفل ، فنقول ان مكانة فاطمة(ع) وغيرها من نساء المسلمين لم تكن بناءا على أشكالهن ، بل استنادا إلى أعمالهن وجهادهن في الإسلام ، على الرغم من ذلك نقول ان الروايات الكثيرة الواردة بحق السيدة فاطمة(ع) تدل على جمالها وذكائها ، وسنكتفي باليسير منها ، فقد روي عن أنس بن مالك أنه سأل أمه عن صفات فاطمة(ع) ، فقالت له: (كانت كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماما إذا خرج من السحاب بيضاء مشربة حمرة لها شعر أسود من أشد الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم شبها.)[1] ، أما ذكائها فنكتفي بقول السيدة عائشة فيها: (ما رأيت أحدا أشبه سمتا ودلا وهديا برسول الله في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها)[2].

أما أقواله في علي(ع) فلا تحتاج إلى رد ، لأنها تخالف الحقيقة جملة وتفصيلا ، فهو بطل الإسلام الذي جاهد وذب عنه بكل ما يملك ، وكان حامل لواء الرسول(ص) في كل معاركه مع المشركين ، وكان أثيرا عند النبي(ص) بدرجة كبيرة ، والذي يريد ان يعرف مكانة علي(ع) لا يحتاج إلى جهد كبير ، فيكفيه ان يتصفح أي كتاب تاريخي ليعرف أنه كان عالما فقيها قاضيا شجاعا عادلا ورعا تقيا زاهدا مؤمنا كبيرا في كل شيء.

والذي يهمنا من كل هذا ما طرحه من تعليقات على رواية خطبة علي(ع) لابنة أبي جهل ، وهنا لا يقع اللوم كله على هذا المستشرق ، لأنه وجد الرواية وعلق عليها ، على الرغم من أنه كباحث في التاريخ كان يتوجب عليه تحليل الروايات ولا يأخذها على علاتها.

---

١ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٦١/٣.

٢ ـ الترمذي، سنن الترمذي، ٣٦١/٥، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٢٧٢/٤، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص٤٠.

لذلك رأينا ان من المهم مناقشة هذه الرواية ، لمعرفة قربها من الواقع ، فوجدنا أنها لم ترد في المصادر إلا عن طريق راو واحد هو الحسين بن علي الكرابيسي ، وعلى الرغم من تفرده بالرواية لم يحاول أحد من نقلتها مناقشة حقيقتها ، ونحن ان تركنا جانبا الغرض من ذكر هذه الرواية عند راويها ، وبعده وقربه عن علي وفاطمة(ع) ، وموقفه منهما ، نجد أنها متناقضة لدرجة كبيرة ، وتحمل إساءة للرسول(ص) قبل غيره . فقد كان اعتراض الرسول(ص) على الخطبة يتلخص في حبه لابنته ، وليس لأن علياً خالف شرع الله ، وهذا لا يليق بالرسول الأعظم سيد الكائنات(ص) ، لأن علياً لو قام بهذا الفعل على وجه الحقيقة فإنه لم يأت بمحرم أو مكروه ، فكيف يعترض صاحب الشريعة على أمر شرعي ، هو حق لعلي(ع) وغيره من المسلمين ، ويقف على المنبر ويحرم شرع الله ، وذلك لمحبته لابنته فاطمة ، وهو الذي ينادي بالمساواة والعدل ، وعلى الرغم من ان فاطمة(ع) أبنته فإنها واحدة من نساء المسلمين ، يقع عليها ما يقع على غيرها ، ومادامت الرواية تذكر حبه لبناته ، لماذا لم يمنع عثمان وابا العاص بن الربيع من الزواج على بناته رقية وام كلثوم وزينب ، ثم ان كل الروايات متسالمة على ان الرسول(ص) تزوج عدة نساء حتى وصل عددهن إلى أكثر من خمسة عشر ، فكيف ينهى علي من الزواج على ابنته فيما يتزوج هو على أزواجه ، أليس هذا طعن على الرسول(ص) وهو العادل ، ثم ان ما ورد في الرواية من أنه لا يريد ان تجتمع ابنة رسول الله(ص) ، وابنة عدوه تحت سقف واحد أكثر غرابة ، فإذا كان أبو جهل كافرا عدوا لله ، فإن جويرية بنت أبي جهل[1] ، لا شأن لها بهذا الأمر ، فهي امرأة مسلمة فكيف تحاسب بذنب أبيها ، والقرآن الكريم يقول: (قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢٦٢/٨.

تختلفون)[1] ، وقد روي عن عكرمة بن أبي جهل عندما أسلم هاجر إلى المدينة بعد فتح مكة ، فجعل عكرمة كلما مر بمجلس من مجالس الأنصار قالوا: (هذا ابن أبي جهل ، وسبوا ابا جهل ، فشكا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات)[2] ، فإذا كان هذا حال رسول الله(ص) في مراعاة مشاعر المسلمين ، فكيف يصعد على المنبر أمام المسلمين ويهجم على امرأة مسلمة وينهى عن شرع الله ، وحتى لو كره هذا الأمر بقلبه لمحبته فاطمة وبلغ به الغيض والغضب ، أليس هو الموصوف بكظم الغيض وعدم التسرع بالأحكام ، وقد وصفه الله تعالى بجميل الأخلاق وكريم الآداب ، فلماذا لم يعاتب عليا سرا وينهاه دون ان يجرح مشاعره ومشاعر المسلمين ، ثم لماذا لم يطبق الرسول(ص) هذا الأمر على نفسه ، وقد تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان(رض) ، في وقت كان فيه أبا سفيان على الشرك ، لكننا لا نجد في الروايات ما ينكر ذلك ، إذ كيف تجتمع ابنة شخص يحارب الإسلام ، مع رسول الإسلام في بيت واحد ، والجواب ان أم حبيبة كانت مسلمة صالحة فاضلة ، ولا شأن لها بما يقوم به أبو سفيان.

وعلى الرغم من ان هذه الرواية المفردة والغريبة على سيرة فاطمة الزهراء(ع) ، ذكرت الروايات أنها عاشت حياة سعيدة ومستقرة مع زوجها لعشر سنوات ، وهي الوحيدة من أبناء الرسول(ص) التي بقيت بعد وفاته ، لكن بمدة ليست بالطويلة ، وقد أوردت المصادر رواية عن السيدة عائشة(رض) في هذا المعنى: (أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: مرحباً بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسرّ لها حديثاً فبكت ، ثم أسر لها حديثاً فضحكت ، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب إلى حزن ، فسألتها عما قال لها ، فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض سألتها ،

---

١ ـ سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

٢ ـ مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣١١.

فأخبرتني أنه أسر إلي ، فقال: ان جبريل كان يعرضني بالقرآن في كل سنة مرة واحدة ، وإنه عارضني هذا العام مرتين ، وما أراه إلا وقد حضر أجلي ، وإنك أول أهلي لحوقاً بي ، ونعم السلف أنا لك فبكيت ، فقال: ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت)[1].

ثم تذكر الروايات ان فاطمة ما شوهدت ضاحكة بعد وفاة أبيها[2] ، إذ كانت تفتقد كما المسلمين رسول الإنسانية(ص) ، حزينة لرحيل والدها الحنون العطوف ذي القلب الكبير ، محمد النبي والإنسان والأب والمربي ، فمن عساه ان يعوضها عنه ، لقد كانت الأرض تفتقد تلك الرحمة الربانية وتفتقد وحي السماء ، فكيف بابنته لا تفتقده وهي القريبة منه ، فكما افتقدت أمها في طفولتها ، شاءت الأقدار ان يرحل أبوها وتبقى بعده ، فتحملت حزن رحيله فانفردت في ذلك دون بقية أبناءه ، ولم يتحمل هو حزن رحيلها كما فعل مع بقية أبناءه ، فنقل عنها إنها كانت تقول: (يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلى جبريل ننعاه)[3].

وكما اختلفت المصادر في ولادتها فقد اختلفت في وفاتها ، إذ لم تتفق على عمرها عند وفاتها ، ومدة بقاءها بعد الرسول(ص) ، ففي بعض الروايات إنها بقيت ستة أشهر بعده ، وذكرت أخرى إنها توفيت بعده بثلاث أشهر[4] ، وفي روايات أخرى إنها توفيت بعد الرسول(ص) بخمس وسبعين يوما ، وعندما توفيت كان لها

---

١ ـ البخاري، صحيح البخاري، ٢٤٧/٤، مسلم، صحيح مسلم، ١٤٣/٧، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ٥١٨/١، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٥٦/٣، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص٤٠.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٤٨/٢، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٩٩/٢٢، ابن شهر آشوب، المناقب، ١١٩/٣، المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٥/٤٣.

٣ ـ البخاري، صحيح البخاري، ١٤٤/٥، النسائي، سنن النسائي، ١٣/٤، الطبراني، المعجم الكبير، ٤١٦/٢٢.

٤ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٠/٨، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ١٦٢، البيهقي، السنن الكبرى، ٣٠٠/٦، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص٥٢.

من العمر ثماني عشرة سنة وأشهرا[1] ، فغسلتها اسماء بنت عميس(رض) وزوجها علي(ع)[2] ، وصلى عليها الإمام علي ودفنها ليلا في البقيع[3] ، وأحاديث الرسول(ص) فيها كثير لا تستوعبها هذه الصفحات ، ونكتفي بنقل بعض الأحاديث:

روى الإمام علي ان الرسول(ص) قال لها: (إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك)[4].

روي عن الرسول(ص) أنه قال لها: (يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة)[5] ، وفي حديث آخر إنه قال لها: (يا بنية ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين)[6].

وروي عن الرسول(ص) أنه قال: (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها اغضبني)[7] ، وفي رواية: (إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها)[8].

روي عن الإمام علي أنه سمع الرسول(ص) يقول: (إذا كان يوم القيامة نادى

---

١ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢٨/١، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١١٥، الكليني، الأصول من الكافي، ٤٥٨/١، الأربلي، كشف الغمة، ٧٦/٢ ـ ٧٧.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٨/٨، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢/ ١١٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٧٤/٢، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٣/ ١٦٢، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص٥٤.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٠/٨.

٤ ـ الطبراني، المعجم الكبير، ١٠٨/١، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٥٤/٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٢٤/٧، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٠٣/٩.

٥ ـ البخاري، صحيح البخاري، ١٤٢/٧، مسلم صحيح مسلم، ١٤٣/٧، ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ٥١٨/١.

٦ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٥٦/٣، ابن حجر، الإصابة، ١٠٢/٨، المتقي الهندي، كنز العمال، ١١٠/١٢.

٧ ـ البخاري، صحيح البخاري، ٤/ ٢١٠، النسائي، السنن الكبرى، ٩٧/٥.

٨ ـ مسلم صحيح مسلم، ١٤١/٧، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٦٠/٥.

مناد من وراء الحجاب يا أهل الجمع غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد صل الله عليه وآله حتى تمر)[1].

٥- القاسم ابن رسول الله(ص)

اتفق المؤرخون على ان السيدة خديجة(ع) ولدت للرسول(ص) ابنا أسمه القاسم ، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في ولادته ووفاته ، فذكرت بعض الروايات إنه أكبر أبناء الرسول(ص) من الذكور والإناث[2] ، وذكرت أخرى إنه ولد بعد زينب[3] ، وهناك روايات تذكر أنه ولد في الإسلام ، وقد استندوا في ذلك على مجموعة من الأحاديث.

فقد روي عن الإمام الحسين بن علي(ع) أنه قال: (عندما توفي القاسم قالت خديجة: يا رسول الله درت لبينة القاسم ، فلو كان الله أبقاه ليكمل رضاعه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان شئت دعوت الله تعالى فأسمعك صوته قالت: يا رسول الله بل أصدق الله ورسوله)[4].

وفي رواية (توفي القاسم ابن رسول الله(ص) فقال وهو في جنازته ونظر إلى جبل

---

١ ـ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ١٥٣/٣ ، وروي هذا الحديث بالفاظ اخرى ينظر الطبراني، المعجم الكبير، ١/ ١٠٨ ، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٣٦/٨ ، احمد الطبري، ذخائر العقبى، ص٤٨ ، الذهبي، ميزان الإعتدال، ٥٤٨/١ ، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢١٢/٩ ، المتقي الهندي، كنز العمال، ١٢/ ١٠٦.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٥/٢ ، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١ ، ابن قتيبة، المعارف، ص١٤١ ، ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣٨ ، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٩/٤ ، ابن الجوزي، الوفا، ٦٥٥/١ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٨٨/٢ ، النويري، نهاية الأرب، ٢٠٨/١٨ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٤/٢.

٣ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٥٢ ـ ٥٣ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٨٩/٢ ، ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ٢٩٤/١.

٤ ـ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ٤٨٤/١ ، السهيلي، الروض الأنف، ٢١٤/١ ـ ٢١٥ ، الكلاعي، الاكتفاء، ٢٠٠/١.

من جبال مكة ، يا جبل لو كان ما بي بك لهدك ، وكان القاسم يوم توفي ابن أربع سنين ثم توفي عبد الله ابن رسول الله(ص) بعده بشهر ولم يفطم ، فقالت خديجة: يا رسول الله: أين أولادي منك ، قال: في الجنة ، فقالت: بغير عمل ، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين)[1].

وروي عن الإمام محمد بن علي الباقر(ع) أنه قال: (دخل رسول الله(ص) على خديجة ، حين مات القاسم ابنها وهي تبكي ، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: درة دريرة فبكيت ، فقال: يا خديجة أما ترضين إذا كان يوم القيامة ان تجيئي إلى باب الجنة ، وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة ، وينزلك أفضلها وذلك لكل مؤمن ، ان الله عز وجل أحكم وأعدل من ان يسلب ثمرة فؤاده ثم يعذبه بعدها)[2].

وهذه الأحاديث دليل على ولادته في الإسلام ، ويعزز ذلك الروايات التي وردت في نزول سورة الكوثر ، ففي رواية عن محمد بن الحسن بن زبالة ، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه(ع) ، قال: (توفي القاسم ابن رسول الله(ص) بمكة ، فمر رسول الله(ص) وهو آت من جنازته على العاص بن وائل السهمي وأبنه عمرو ، فقال عمرو حين رأى رسول الله(ص): أني لأشنؤه ، فقال العاص: لا جرم لقد أصبح أبتراً ، فأنزل الله: (إن شانئك هو الأبتر))[3].

وفي رواية هشام بن محمد الكلبي بسنده عن ابن عباس (فكان أول من مات من ولده القاسم ثم مات عبد الله فقال العاص بن وائل السهمي ، قد أنقطع ولده فهو أبتر ، فأنزل الله تبارك تعالى: (ان شانئك هو الأبتر))[4].

---

١ ـ ابو عبيدة ، تسمية أزواج النبي ، ص٢٢ ، ابن حنبل ، مسند احمد ، ١٣٤/١ ـ ١٣٥ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢٦/٢.

٢ ـ الكليني ، الكافي ، ٢١٨/٣ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٠/١٦.

٣ ـ ابن إسحاق ، السير والمغازي ، ص٢٤٥ ، ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٤٤ ـ ٤٥ ، العسكري ، الأوائل ، ص٩٢ ـ ٩٣ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣٧٧/٤ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٦٦/٢٢.

٤ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٣٣/١ ، السيوطي ، الدر المنثور ، ٤٠٤/٦.

وهذه الروايات المتقدمة تدل على ان القاسم ولد وتوفي في الإسلام ، لكن كثرة الروايات التي تقول إنه أكبر أبناءه ، أو إنه ولد بعد إحدى بناته تجعلنا لا نستطيع ترجيح أحد الرأيين ، وربما كان السبب الذي جعل الرواة يختلفون في ولادته وترتيبه من بين أبناء الرسول(ص) ، ان معظم الروايات ذكرت ان عمر السيدة خديجة(ع) كان أربعين عاما عندما تزوجت من الرسول(ص) ، ومن المحتمل ان يكون ولد وعمرها أربعون عاما ، وكما ذكرنا ان عمرها عند الزواج كان ثمان وعشرين عاما ، فالتبس الأمر على الرواة وظنوا أنه أول أولادها ، لاسيما إذا أضفنا إلى ذلك الروايات التي ذكرت ان عمر القاسم كان أربع سنين أو أكثر من ذلك عند وفاته ، فتكون هذه الوفاة في البعثة.

وتبعا للاختلاف في ولادته نشأ اختلاف في وفاته ، وقد قدمنا الروايات التي ذكرت ذلك ، أما مقدار عمره فقد ذهبت الكثير من الروايات أنه مات قبل ان يكمل رضاعه أي قبل ان يبلغ عامين من عمره[1]. وفي بعض الروايات أنه مات بعد ليال من ولادته ، لكن هناك روايات أخرى تذكر أنه بلغ أربع سنين أو بلغ يركب الدابة والنجيبة[2].

٦- عبد الله ابن رسول الله(ص)

اتفق الرواة أيضا على ان السيدة خديجة ولدت لرسول الله(ص) ، ولدا آخر اسمه عبد الله ، وأضافوا أسماء أخرى لهذا المولود ، فقالوا إنه لقب بالطيب والطاهر

---

١ ـ أبو عبيدة ، تسمية أزواج النبي ، ص٢١ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، ٣٩٦/١ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ٥/ ١٦ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٨١٨/٤ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ١٤٧/١ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٨٤/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٩٤/٢ ، ابن بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ٣٠٣/١.

٢ ـ ابن إسحاق ، السير والمغازي ، ص٢٤٥ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣٧٨/٤ ، العامري ، بهجة المحافل ، ١٣٧/٢.

لأنه ولد في الإسلام[1] ، واستدلوا على ولادته في الإسلام بسبب نزول سورة الكوثر ، إذ ذكروا أنها نزلت بعدما قال العاص بن وائل السهمي ان محمدا أصبح أبتر: (ان العاص بن وائل السهمي وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه ، فقال له جمع من صناديد قريش: مع من كنت واقفا ، فقال: مع الأبتر ، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة ، فأنزل الله جل شأنه (إن شانئك هو الأبتر) أي المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة)[2].

وذكر ابن إسحق أنها ولدت له بعد الإسلام ابنين اثنين هما الطيب والطاهر[3] ، كما ذكر مصعب الزبيري أنها ولدت له ابنا في حصار الشعب ، سماه الطاهر: (إن الزبير بن العوام كنته امه ـ صفية بنت عبد المطلب ـ أبا الطاهر باسم ابن أخيها الطاهر ، وبه كان يكنى ـ أي الزبير بن عبد المطلب ـ أخوها ، وكان ابنه من أظرف العميان بمكة ، وبه سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ، والطاهر بن الزبير ولد في الشعب وإن أبني سمي الطاهر على أسمه)[4]. لكن هذه الروايات مفردة ،

---

١ ـ ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٣٠، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٣٤/١، ١٦/٨، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٩/٤، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٩١/٣، السهيلي، الروض الأنف، ٢١٥/١، الكلاعي، الاكتفاء، ١٩٩/١، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٥/٢، ابن حجر، الإصابة، ٢٣٧/٢.

٢ ـ أوردت المصادر الآتية هذه الرواية بصيغ مختلفة لكنها تدل على نفس المعنى ينظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧/٣، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٥، البلاذري، انساب الأشراف، ٤٠٥/١، الطبري، تفسير الطبري، ٣٢٩/٣٠، العسكري، الأوائل، ص٩٣، الواحدي، أسباب النزول، ص٣٠٧، ابن الجوزي، الوفا، ٦٥٦/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٧٨/٤، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢٨٨/٢، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٠/٢٠، ابن حيان، تفسير البحر المحيط، ٨/ ٥١٩ ـ ٥٢٠، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٠٤/٦.

٣ ـ ابن إسحاق، السير والمغازي، ص٢٤٥.

٤ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢١/٥، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٨/٤، ابن أبي الحديد، شرح=

وتخالف إجماع الرواة على أنها ولدت له ولدين فقط ، وربما يكون السبب في ذلك هو ان هؤلاء الرواة خلطوا بين أسمه ولقبه.

وأوردت بعض المصادر روايات غريبة عن هشام بن عروة ، ذكر فيها أنها ولدت للرسول(ص): (ولد اسمه عبد العزى قبل النبوة)[١] ، وفي رواية أخرى أنه قال: كان (للنبي صلى الله عليه وسلم ابنان الطاهر والطيب ، وكان يسمى أحدهما عبد شمس ، والآخر عبد العزى)[٢] ، ثم نقلت عنه المصادر رواية يقول فيها: (ولدت خديجة للنبي(ص) عبد العزى وعبد مناف والقاسم ، قلت - أي ابن إسحاق - لهشام ، فأين الطاهر والطيب ، فقال: هذا ما وضعتم أنتم يا أهل العراق ، فأما أشياخنا فيقولون عبد العزى وعبد مناف والقاسم)[٣] ، كما نقلت المصادر عن قتادة بن دعامة ، ان السيدة خديجة(ع) ولدت لرسول الله(ص)(في الجاهلية عبد مناف وفي الإسلام غلامين وأربع نسوة)[٤]. واستنادا إلى هذه الروايات ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أنها (ولدت في الجاهلية عبد مناف والطيب وهو عبد الله مات وهو رضيعا والطاهر ، فذلك أربع بنين والدليل على ذلك ان عبد مناف لو كان ولد في الإسلام لم يسمه عبد مناف)[٥].

هذه الروايات هزيلة جدا ولا تحتاج إلى وقفة طويلة ، فرواية أبي عبيدة هي تلميح إلى ان النبي(ص) كان يؤمن بالأوثان والأصنام قبل النبوة ، لذلك سمى أبناءه تيمنا بها ، وهذا الأمر يناقض التوحيد الذي ولد علية الرسول(ص) ، ولم تذكر لنا

=نهج البلاغة، ٢٢٢/١٥، ابن حجر، الإصابة، ٢٣٧/٢.

١ - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦، جوامع السير، ص٣٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، ص٨١، الفاسي، العقد الثمين، ٢٧/١.

٢ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢٩/٣.

٣ - الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٧٣/١.

٤ - المقدسي، البدء والتاريخ، ١٦/٥، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧١/٢٢.

٥ - أزواج النبي، ص٢٢.

مرويات السيرة النبوية أنه كان يعتقد بما يعتقده قومه من التقرب إلى الأصنام والشرك ، بل ان جميع الروايات اتفقت على أنه كان يستنكر ما كان عليه قومه من شرك وخروج عن دين إبراهيم الحنيف ، فلم يشاركهم في شيء من هذا القبيل ، وهذه العبادة التي أنف منها ذوو العقول البسيطة واستنكروها ، ليس من المعقول ان يعتقد بها حامل الرسالة ، ومن اختارته السماء ليكون بشيرا ونذيرا.

البعثة النبوية
وموقف السيدة خديجة(ع) منها

تعد مرحلة البعثة من أبرز محطات حياة السيدة خديجة(ع) ، والتي أظهرت قوة هذه المرأة وحبها لزوجها ، فأبرزت هذه المرحلة من حياتها ، دقة اختيار الرسول(ص) لها لتكون زوجة له ، فقدمت له في الإسلام أضعاف ما قدمته قبله ، فصدقت به وآمنت بدعوته بدون تردد ، وآزرته في الإسلام ووقفت إلى جانبه خطوة بخطوة ، وأنفقت أموالها في خدمة الدعوة الجديدة ، وأعطت من نفسها وصحتها ما لا يطاق حتى توفيت في خضم الصراع الذي كان دائرا بين الإسلام والشرك ، فلقد تحملت ما لا يتحمله الكثير من الرجال في بداية الدعوة الإسلامية ، وصبرت معه على المكاره ، وهي تعتبر التضحية بأموالها وراحتها في سبيل الله أمر هين عليها ، لأن المحصلة من ذلك هي إعلاء كلمته ، ليشرق نوره على الوجود ، فكان النبي (ص) يعرف كل ذلك لها ، ويكن لها عظيم الاحترام ، لما أولته من الرعاية له في محنته قبل البعثة وبعدها ، ونحن نعتقد ان اقترانه بها تسديداً ربانياً ، إذا ما قرنا ما قامت به قبل وبعد البعثة ، فليس من اليسير وجود امرأة بهذا المستوى.

تعبد الرسول(ص) قبل نزول الوحي

وقبل الخوض في تفاصيل روايات نزول الوحي ، وأثر السيدة خديجة(ع) فيه ، لا بد لنا من دراسة موجزة لمقدمات هذا الأمر ، الذي أطلقت عليه الروايات اسم التحنث ، فقد جاء في رواية عن الزهري ان الرسول(ص) كان يتحنث قبل نزول

الوحي: (أول ما أبتدأ بـه رسـول الله صلى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق)[1]. كما ذكر ابن اسحاق هذا الأمر في روايته عن نزول الوحي: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية، يطعم المساكين، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به إذا أنصرف من جواره قبل ان يدخل بيته، الكعبة يطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك حتى إذا كان الشهر الذي أراده الله تعالى به ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله فيها وذلك الشهر شهر رمضان)[2].

لكن هذه الروايات لم تبين لنا المدة التي كان يتعبد بها رسول الله(ص)، بالرغم من إنها توضح لنا طبيعة التوجهات الروحية له، قبل نزول الوحي عليه، أي أنه كان يتهيأ لأمر عظيم سيغير تاريخ البشرية. وقد اطلقت تسمية التحنث على ذلك النشاط الروحي الذي كان يمارسه الرسول(ص)، ومعنى التحنث هو التحنف والقصد منه الحنيفية دين إبراهيم الخليل(ع)، وفي لغة العرب استبدلت الفاء ثاءا على الرغم من أنها تدل على نفس المعنى[3]، وهنا يقول ابن منظور: (يجوز ان تكون ثاء بدل من فاء يتحنف، وفلان يتحنث من كذا أي يتأثم منه، وقوله: يتحنث أي يفعل فعلا يخرج به من الإثم والحرج، ويقال: وهو يتحنث أي يتعبد الله)[4].

---

١ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢٢/٥ ـ ٣٢٣، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١، البخاري، صحيح البخاري، ٣/١ ـ ٤، مسلم، الجامع الصحيح، ٩٧/١ ـ ٩٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٥/١، ابن أبي عاصم، الأوائل، ص٤٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٨/٢ ـ ٢٩٩، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٩٦٦/٣.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٨/١ ـ ٢١٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠١/٢ ـ ٣٠٢، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٤٢/٤ ـ ١٤٣، الكلاعي، الاكتفاء، ٢٦٢/١ ـ ٢٦٦.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٨/١ ـ ٢١٩.

٤ ـ ابن منظور، لسان العرب، ٧٣٤/١.

وهذا التفسير المتقدم يبين لنا ان التحنث هو نوع من العبادة ، كان يمارسه بعض القرشيين في مكة ، وهو مرتبط بديانة إبراهيم الخليل(ع) ، على اعتبار ان القرشيين يعدون أنفسهم أبناءه وورثة دينه ، وعلى الرغم من غموض هذه الديانة ، وعدم معرفتنا بطقوسها ، لكننا نستطيع التعرف على بعضٍ منها من خلال الروايات التي بين ايدينا ، ففي رواية ابن عباس(رض): (كانت قريش إذا دخل شهر رمضان خرج من يريد التحنث منها إلى هلال شوال ، لم يدخل على أهله حتى يطوف بالبيت أسبوعا (سبعا) ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك)[1] ، وهذا يدل على ان التحنث هو عادة قرشية ارتبطت بشهر رمضان ، الذي كان له مكانة دينية عند قريش[2] ، وفي رواية أخرى ان عبد المطلب جد النبي(ص) كان: (أول من تحنث بحراء ، فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر ، ويطعم المساكين ، وكان يعظم الظلم ، ويكثر الطواف في البيت)[3] ، وفي رواية الزهري بسنده عن حكيم بن حزام ، قال: (قلت يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم ، هل فيها من أجر)[4].

كما ورد في روايات نزول الوحي قول السيدة خديجة(ع): (أبشر لا يخزيك الله أبدا ، والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكلّ وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق)[5] ، وهذه الروايات بمجملها تبين ان هذه الأمور من صلة رحم وإطعام المساكين والاعتكاف والطواف حول الكعبة ، هي من بقايا الحنيفية ، ووجد في قريش من يقوم بها ، وعلى الرغم من عدم وجود كتب لديانة إبراهيم(ع) ، لكن هذه

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٥/١.

٢ ـ علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص١٢٠.

٣ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ٢٨٤/١، ابن الأثير، الكامل، ٢١٥/٢، النويري، نهاية الأرب، ٨٩/١٦، الفاسي، شفاء الغرام، ٨٦/٢، الحلبي، السيرة الحلبية، ٢٥٩/١.

٤ ـ ابن بكار، جهرة نسب قريش، ٣٦٢/١، ابن منظور، لسان العرب، ٧٣٤/١.

٥ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢٢/٥ ـ ٣٢٣، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١، البخاري، صحيح البخاري، ٣/١ ـ ٤، مسلم، الجامع الصحيح، ٩٧/١ ـ ٩٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٥/١، ابن أبي عاصم، الأوائل، ص٤٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٨/٢ ـ ٢٩٩، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٩٦٦/٣.

العبادات التي قدمناها ، تدل على وجود تراث شفوي لهذه الديانة.

كما أنها تدل على ان الرسول(ص) كان يمارس هذه العبادات ، التي يمارسها بعض الناس في مكة ، متميزا على غيره بأنه لم يكن مقلدا ، أو سائرا على نهج قومه ، بل كان صاحب منهج وعقيدة تختلف عن الآخرين ، فهو يبحث عن الدين الحق ، ويسعى لإيجاد إجابات مقنعة لطبيعة الخلق ، فلم يؤمن يوما بطقوس الوثنيين ، أو يشترك معهم فيها ، بل كان يستهجن هذه العبادات الفارغة من المحتوى ، في نفس الوقت الذي يتطلع فيه إلى سمو روحي ، فكان يذهب لا ليمارس طقوس المشركين ، بل ليتفكر في عظمة الخلق ، وكيفية التعرف على خالق الكون.

وهذا التوجه لم يكن طارئا أو إنه ناتج عن تقليد ، بل هو أصيل فيه ونشأ معه منذ صغره ، وقد عبر عن رفضه لكل ما يدور حوله من شرك ، بأن اتخذ التفكر والتعبد وسيلة لهذا الرفض ، وأتاح له الزواج من السيدة خديجة(ع) الاستقرار النفسي والعائلي ، فأصبح عنده وقت يمارس فيه أنواع من الرياضات الروحية ، لاسيما بعد ان ارتاح من أعباء الحياة وهموم العيش ، وفي هذه الفترة كانت السيدة خديجة(ع) تهيأ نفسها معه ، فوفرت له كل وسائل الراحة حتى يتفرغ لتوجهه الروحي ، ويبدو من خلال الروايات أنها كانت تشاركه في هذه التوجهات ، فوفرت له كل الوسائل الملائمة للتفرغ لتوجهه الروحي ، وشاركت معه في تعبده ، فهي أيضا نشأت في أسرة ظهر فيها توجهات دينية ، فكان اثنان من أبناء عمومتها اعتنقوا النصرانية ، ومن الطبيعي ان تتأثر بهذه التوجهات ، ثم تطور مستواها الديني بعد ارتباطها بالرسول(ص) ، وهنا تشير بعض الروايات إلى أنها كانت معه في الغار عندما نزل عليه الوحي ، (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجثوت لركبتي وأنا قائم ثم زحفت ترتجف بوادري ، ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عني الروع)[1] ، وفي رواية ثانية (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما

---

١ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢٢/٥ ـ ٣٢٣.

كان يخرج ومعه أهله)[1] ، وبعد ان نزل عليه الوحي رجع اليها ، فقالت له: (يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الي)[2] ، ويعزز ذلك ما ورد عن السيدة عائشة(رض): (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذر ان يعتكف شهرا هو وخديجة بحراء)[3].

ولو أتينا إلى المدة التي مكثها رسول الله(ص) في ممارسة التحنث لا نجد ما يسعفنا في الروايتين أعلاه ، لكن نستنتج من الرواية التي تقول إنه كان يتعبد شهرا من كل سنة ، أنها تشير إلى الفترة البعيدة من نزول الوحي ، إذ كان يمارس تعبده طيلة شهر رمضان ، أما الرواية الثانية التي تقول إنه كان يتعبد (الليالي ذوات العدد) ، فإنها تشير إلى المدة القريبة من نزول الوحي ، وهي بالتأكيد أكثر من الشهر[4] ، وهذا الأمر باشره الرسول(ص) بعدما زادت عليه الرؤى وشعر بالقرب من خالق الكون ، وأحس أنه قريب من السماء ومهيؤ لأمر ما ، لذلك داوم على التعبد في ذلك الغار ، لاسيما إذا قرنا هذا الأمر مع الرواية التي تقول: (إن رسول الله(ص) حين أراده الله بكرامته ، وابتداء النبوة فلا يمر رسول الله بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله ، قال: فيلتفت رسول الله حوله ، عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث ، ثم جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان)[5].

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٨/١.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٩/١.

٣ ـ أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ٢٧٨/١.

٤ ـ أشار بعض الباحثين بأن رواية الزهري تبين ان واقع التحنث هو ذاتي شخصي بعد مدة من الرؤيا وأنه كان يتحنث الليالي ذوات العدد والتي لا نعلم عنها شيئا ، ورواية ابن إسحاق تثبت ان التحنث عادة قريشية وأنها تجري في شهر رمضان، وهذا الرأي دقيق لكنهم قالوا ان الروايتين مختلفتان تماما ، ونحن نرى ان الروايتين يكمل بعضها الآخر كما أوضحنا أعلاه، ينظر العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٧٢ ، عاقل، عصر الرسول، ص٢٨ ـ ٢٩.

٥ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٧/١.

وما قدمناه يبين ان توجهات الرسول(ص) الروحية لم تأت فجأة ، أو أنها ارتبطت بنزول الوحي ، بل أنها سبقت هذا التاريخ بفترة من الزمن ، ولم يكن لوحده يمارس هذه التهيئة النفسية بل شاركته زوجته فيها ، وهذا أمر ملفت لأن المرأة بطبيعتها تحب الحياة الطبيعية المستقرة ، أما ان تربط حياتها كلها بتوجه مجهول لزوجها لا تعرف نتيجته ، فهو أمر مرتبط بامرأة من نوع خاص ، تتمتع بقابلية على التحمل والصبر من أجل من تحب ، وهذا الأمر ليس بالهين ، فلا تستطيع أية امرأة القيام به ، مهما أوتيت من عاطفة الحب ، لأن ذلك يعني التضحية بكل الرغبات الدنيوية التي جبل الإنسان عليها[1] ، وهنا يكمن أحد أسرار اختيار الرسول(ص) لها.

الروايات التي نسبت الشرك للرسول(ص)

أوردت المصادر روايات متعددة تنسب الشرك أو الاعتقاد بالأنصاب والأصنام للرسول(ص) ، وتابع هذه المصادر التاريخية بعض كتب التراجم والطبقات والحديث والتفسير وغيرها ، فانتشرت هذه الروايات على نطاق واسع ، وتداولها الرواة حتى بلغت من الشياع بحيث أصبح من الصعب الاعتراض عليها ، كونها غدت من المسلمات عند الكثير من الباحثين. فنسب بعضها للرسول(ص) الاعتقاد بالأصنام والأوثان بصورة مباشرة وصريحة ، فيما ذكر بعضها الآخر هذا الأمر بصورة غير مباشرة من خلال القول ان الرسول(ص) ينحر الذبائح تقربا للأنصاب ، أو انه كان يأكل من الذبائح التي تنحر تقربا لها ، ومجمل هذه الروايات ذكرت بان الرسول(ص) ترك الاعتقاد بالأصنام والأوثان وكذلك ترك أكل ما ذبح على النصب بناءاً على نصيحة قدمها له زيد بن عمرو بن نفيل[2] ، ويمكن ان نصنف هذه الروايات بالشكل الآتي:

---

١ - الساعي، أم الاشتراكية خديجة بنت خويلد ، ص٧٢.

٢- ستأتي ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل عند مناقشة الروايات الخاصة به.

أولا: الروايات المباشرة (التي نسبت الشرك للرسول(ص)):

أهم رواية في هذا الباب ما نقل عن محمد بن إسحاق بن يسار كاتب السيرة المعروف ، التي أشار فيها إلى ان الرسول(ص) ترك عبادة الأوثان بعد نصيحة قدمها له زيد بن عمرو بن نفيل (حدثت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل ان كان لأول من عاب علي الأوثان ونهاني عنها أقبلت من الطائف ومعي زيد بن حارثة حتى مررت بزيد بن عمرو وهو بأعلى مكة وكانت قريش قد شهرته بفراق دينها حتى خرج من بين أظهرهم وكان بأعلى مكة فجلست إليه ومعي سفرة لي فيها لحم يحملها زيد بن حارثة من ذبائحنا على أصنامنا فقربتها له وأنا غلام شاب فقلت: كل من هذا الطعام أي عم قال: فلعلها أي ابن أخي من ذبائحكم هذه التي تذبحون لأوثانكم ، فقلت: نعم ، فقال: أما انك يا ابن أخي لو سالت بنات عبد المطلب أخبرنك أني لا آكل هذه الذبائح فلا حاجة لي بها ثم عاب علي الأوثان ومن يعبدها ويذبح لها وقال انما هي باطل لا تضر ولا تنفع او كما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما تمسحت بوثن منها بعد ذلك على معرفة بها ولا ذبحت لها حتى أكرمني الله عز وجل برسالته صلى الله عليه وسلم)[1].

ونقلت بعض المصادر رواية عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير ان الرسول(ص) والسيدة خديجة كان عندهما صنم يعبدانه: (قال حدثني جار لخديجة بنت خويلد انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخديجة: أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزى والله لا اعبد أبدا ، قال: فتقول خديجة خل اللات خل العزى ، قال: كانت صنمهم التي يعبدون ثم يضطجعون)[2] ، ونقل ياقوت الحموي رواية دون ان يذكر سندها ، جاء فيها ان الرسول(ص) كان يتقرب للعزى ويهدي

---

١ - ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١١٨ ، ينظر أيضا ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص٥٠٧.

٢ - ابن حنبل، مسند احمد ، ٢٢٢/٤ ، الهيثمي، مجمع الزوائد ، ٢٢٥/٨.

لها ، وانه كان على دين قومه أي الشرك ، (وقد بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكرها يوما فقال: لقد اهتديت للعزى شاة عفراء وأنا على دين قومي)[1] .

قبل الخوض في مناقشة هذه الروايات من الضروري التعرف على شخصية زيد بن عمرو بن نفيل الذي أخذ هذا الحيز من الروايات التاريخية حتى قورن بالرسول الأعظم(ص) ، وجعلته بعض الروايات أحد الذين علموا الرسول(ص) ترك الأصنام.

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي ، وكان الخطاب بن نفيل والد عمر بن الخطاب عمه وأخاه لامه ، وذلك لان عمرو بن نفيل كان قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب[2] ، وذكرت عدد من المصادر ان زيد بن عمرو بن نفيل وعثمان بن الحويرث[3] وورقة بن نوفل[4] وعبيد الله بن جحش[5] تركوا عبادة الأصنام وأخذوا يبحثون عن الدين ، فاعتنق ثلاثة منهم النصرانية بينما لم يدخل زيد فيها[6] ، لذلك هاجر إلى بلاد الشام يبحث عن الدين ، وهناك التقى بمجموعة من رجال الدين اليهود والنصارى ، فنصحه هؤلاء حسب ما تذكر الروايات ان يتبع الحنيفية دين إبراهيم الخليل(ع) ، وإنه سيخرج نبي

---

١ - معجم البلدان، ١١٦/٤.

٢ - ابن كثير، السيرة النبوية، ١٥٣/١.

٣ - عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي ذهب إلى الشام وتنصر هناك وأراد ان يتملك على مكة وطلب من الغساسنة إرسال جيش معه ليخضع قريش لكن الأمير الغساني رفض الأمر ودس له سماً وقتله، ابن كثير، السيرة النبوية، ١٦٥/١.

٤ - ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي اعتزل عبادة الأوثان ودخل في النصرانية، توفي بعد ان أدرك البعثة النبوية لكنه لم يدخل الإسلام، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٥٧/٢٧.

٥ - عبيد الله بن جحش بن رئاب احد بني خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس وامه اميمة بنت عبد المطلب اعتنق النصرانية ولما بعث رسول الله اسلم وهاجر إلى الحبشة وهناك ارتد عن الإسلام وعاد إلى النصرانية ومات عليها، ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ١٤٦/١ـ ١٤٧.

٦ - ابن هشام، السيرة النبوية، ١٤٦/١ـ ١٤٧، ابن حبيب، كتاب المنمق، ص١٥٢، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٤٢٤/٣ ـ ٤٢٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢٧/١.

في مكة يدعو إليها ، فرجع إلى مكة وأعلن انه على هذا الدين[1] ، فكان يسند ظهره إلى الكعبة ويقول: (يا معشر قريش ما منكم اليوم احد على دين إبراهيم غيري)[2] ، ويقول أيضا: (اللهم لو أني أعلم أحب الوجوه إليك عبدك به ولكني لا اعلمه ثم يسجد على راحته)[3] ، وكان يحيي الموؤدة ، فيقول للرجل إذا أراد ان يقتل ابنته: (مهلا لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: ان شئت دفعتها إليك وان شئت كفيتك مؤونتها)[4] ، واختلفت الروايات في المدة التي توفي فيها ، فذكرت بعضها انه أدرك الرسول(ص) ، بينما ذكر بعضهم انه توفي قبل البعثة بخمس سنين[5] ، وهو على علم بموعد خروج النبي(ص) ، ويعرف اسمه وصفاته وكل شيء عن دعوته وهجرته ، وهذا ما تبينه إحدى الروايات: (أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك ، قلت: هلم ، قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليست تفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه احمد وهذا البلد مولده ومبعثه........)[6].

وإذا عدنا إلى النصوص التي قدمناها في بداية البحث نجد أنها نسبت للرسول(ص) اعتقاده بعقيدة الشرك ، وهي بالتأكيد لا تحتاج إلى عناء كبير من اجل

---

١ - بن سعد ، الطبقات الكبرى، ١/ ١٦١ ، البخاري، صحيح البخاري، ٢٣٣/٤ ، الحاكم النيسابوري، المستدرك، ٢١٦/٣ ، الاصبهاني، دلائل النبوة، ٨١.

٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٨١/٣ ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢٨/١.

٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، ١٤٨/١ ، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٣٧/٢ ، ابن كثير، السيرة النبوية، ١٥٤/١.

٤ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٨١/٣ ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢٧/١.

٥ - المصدر نفسه.

٦ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٦١/١ - ١٦٢ ، الطبري، تاريخ الطبري، ٤٥/٢.

تفنيدها ، لكن المؤسف في الأمر ان بعض الباحثين تقبلوها كأنها حقائق ثابتة ، وعلقوا عليها بوصفها تدل على التطور الفكري والعقائدي للرسول(ص) ، فذكر أحدهم معلقاً على رواية ابن إسحاق بقوله: (ان هذا النص ضروري حتى نفهم التطور العقائدي لرسول الله(ص) ، ثم يستغرب من حذف ابن هشام هذه الرواية[1] ، وعَدّ احد المستشرقين ما جاء في هذه الرواية بأنه القصة الحقيقية الوحيدة في سيرة النبي(ص)[2] ، وأيد باحث آخر هذه الرأي وعَدّ تعبد الرسول(ص) في غار حراء نتيجة لاتصاله بزيد بن عمرو بن نفيل[3].

وإذا ناقشنا هذه الروايات نجد ان الرواية الأولى مفردة وغريبة لم ترد عند احد من الرواة سوى ابن إسحاق ، ولا يعرف سند الرواية الذي أخذها منه ، إذ لم يذكر من أين استقاها فهي رواية مقطوعة عنده وليس هناك رواية أخرى تشبهها أو تؤيدها.

ومتن الرواية متناقض لدرجة كبيرة بحيث يصعب قبوله لأسباب عدة ، منها ان المدة التي التقى فيها الرسول(ص) بزيد بن عمرو بن نفيل كانت بعد زواجه من السيدة خديجة(ع) ، وتحديدا في المدة القريبة من نزول الوحي عليه ، ويؤكد هذا الرأي ان زيد بن حارثة كان معه في هذا اللقاء ، والمعروف ان زيد التحق بالرسول(ص) بعد زواجه من السيدة خديجة ، إذ تذكر الروايات انه رآه في احد الأسواق ، فأخبر السيدة خديجة فطلبت منه ان يشتريه فاشتراه واعتقه وتبناه[4] ، وهذا يعني ان اللقاء الذي تذكره الرواية مع زيد بن عمرو بن نفيل كان بعد ان تجاوز الرسول(ص) الخامسة والعشرين من عمره ، وهذا يعني ـ بحسب رواية ابن اسحاق ـ انه بقي يعتقد بعقيدة المشركين حتى بعد زواجه من السيدة خديجة ، وهذا الأمر غير مقبول ، لانَّ هذه المرحلة من حياة الرسول(ص) هي التي ابتدأ فيها خلواته الروحية في غار حراء ، بعد ان ارتاح من اعباء

---

١ - الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص٩٨.

٢ - جيوم، الإسلام، ص٢٧ ـ ٢٨.

٣ - عوض الله، مكة في عصر ما قبل الإسلام، ص١٠٤ ـ ١٠٥.

٤ - البلاذري، انساب الأشراف، ٤٧٦/١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٦٢/١.

العيش وهموم الحياة ، فشعر بقربه من السماء واختيارها له ، ويمكن ان نستدل على ذلك من الروايات التي تحدثت عن نزول الوحي على الرسول(ص)[1].

إنَّ ما جاء في الرواية مرفوض عقلا لأنه ليس من المعقول ان تختار السماء شخصا ليهدم عقيدة الشرك الفاسدة ، ويكون هذا المختار معتقدا بالأصنام والأوثان ويعبدها حتى المدة القريبة من نزول الوحي عليه ، وحتى لو افترضنا جدلا ان محمداً(ص) كان مجرد مصلح كما يعتقد الكثير من المستشرقين ، فان الرواية لا تستقيم ولا يمكن قبولها ، لأنه ليس من المعقول ان يعتمد بهذه الكيفية التي بينتها الرواية على شخص مجهول تقول الروايات انه ترك عقيدة الشرك ، وتكون آراء هذا الشخص أساسا لدعوته الجديدة ، ولو كان الأمر كما أرادت الرواية تبيانه لكنا وجدنا في روايات السيرة ان المشركين الذين خاضوا حربا عنيفة مع الدعوة الجديدة ومعتنقيها قد اعترضوا على النبي(ص) بان أساس دعوته مبني على رأي زيد بن عمرو بن نفيل الذي ترك عبادة الأصنام ، ولكان زيد المذكور في الرواية احق بالنبوة ، لذا لسنا ملزمين بتصديق رواية مفردة مضطربة منقطعة السند في مقابل سيرة كاملة رواها عدد كبير من الرواة وأسندوها إلى أشخاص عاصروا الدعوة الإسلامية ،

أما المنهج الذي أختاره بعض الباحثين في اعتماد الموضوعية كما يدعون ، فهو غريب أيضا ؛ لأن الموضوعية ليس معناها تتبع الروايات الشاذة ، لأن الأصل هو الشائع والمتواتر وليس الشاذ الغريب ، فعندما يقول الملاح إنها تقودنا لمعرفة تطور الرسول(ص) العقائدي ، فهذا يعني أنه ابتدأ مشركا ثم تحول إلى موحد ، بفضل مجموعة من المتغيرات ، منها لقاؤه بأشخاص موحدين ، وآخرين من أتباع الديانات الموجودة في تلك الحقبة كالنصرانية ، وإذا ربطنا هذا الرأي مع الرأي الذي طرحه المستشرق جيوم ، والذي يتحدث فيه عن ان هذه الرواية هي الوحيدة الحقيقية في

---

١ - للتفصيل ينظر الشرهاني، حسين علي، حياة السيدة خديجة بنت خويلد(ع) من المهد إلى اللحد ، دار الهلال، بيروت ٢٠٠٥ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٥٥.

كتب السيرة ، نجد ان المنهج الذي قامت عليه هذه الآراء هو واحد ، ملخصه ان محمداً(ص) ليس نبياً ، بل شخص ذكي نشأ في مجتمع مدني ، قاده الحظ إلى اللقاء بمجموعة من النصارى والموحدين ، فاستقى منهم الدين ، واستطاع بعدها ان يصنع دعوة مستقلة ، وقد صرح جيوم بذلك.

إن قضية المستشرقين تحتاج إلى دراسة موسعة ، فهم يبنون كل بحوثهم على الشك ، ويستندون في تقييم الأشياء إلى المادي دون الغيبي ، فلا يعتقدون بالروحي كثيرا ، لذا تجدهم يشككون بكل شيء سماوي ، ويحاولون تتبع كل رواية شاذة مفردة لتعزيز آرائهم ، لكن المفارقة ان الكثير منهم يعتقد ان عيسى (ع) ابن الله ، ولا يجادل في هذه المسألة ، على الرغم من انها غريبة وغير واقعية ، وهذا مرتبط بصراع ديني طويل لم يستطع الكثير منهم التخلص من عقده ، ولو أتيت لمناقشة آرائهم لا تجد فيها شيئاً منطقياً ، فهم يسوقون لقصة وهمية خلقها خيالهم ، ثم يحاولون تمريرها استنادا إلى رواية شاذة.

ولا نريد ان ندافع عن النبي(ص) ، فهو قائم بنفسه ولا يحتاج منا المبالغة في مدحه ، ويكفيه أنه صنع شيء من لا شيء ، فبعد ان كان العرب أفراد وقبائل متفرقة لا يربطها رابط ، وحدهم وجعل منهم أمة سيطرت على العالم لأكثر من ستة قرون ، ودخلت معهم أمم أخرى وتوحدت معهم ، وذابت في كلمتين اثنتين لا اله إلا الله محمد رسول الله ، وهي قبلا لم يكن بينها أية رابطة ، فأصبح العرب وغيرهم من الأمم أخوانا بإخوة الدين العظيم ، وعليه يكون من وحد هذه الأمم وربطها برباط الدين ، أكبر من ان يبتدئ حياته بعبادة أحجار ، وأوثان أنف منها ذوو العقول البسيطة ، ثم يتركها بناءا على نصيحة شخص غير معروف.

ويمكن ان نسحب ما قلناه على رواية هشام بن عروة في ان الرسول(ص) والسيدة خديجة كان عندهما صنم يعبدانه قبل ان يناما ، ورواية ابن إسحاق في ان الرسول (ص) أهدى شاة للعزى أحدى آلهة قريش.

ثانياً: الروايات غير المباشرة:

١. أوردت عدد من المصادر رواية أسندتها إلى أسامة بن زيد عن أبيه زيد بن حارثة انّه قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مردفي إلى نصب من الأنصاب فذبحنا له ـ للنصب ـ شاة، ثم صنعناها له حتى إذا نضجت جعلناها في سفرتنا، ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير وهو مردفي في يوم حار من أيام مكة حتى إذا كنا بأعلى الوادي لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيا أحدهما الآخر بتحية الجاهلية،...... وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم البعير الذي تحته، ثم قدمنا إليه السفرة التي كان فيها الشواء، فقال ما هذا؟ قلنا هذه الشاة ذبحناها لنصب كذا وكذا، فقال ـ زيد بن عمرو ـ إني لا آكل شيئا ذبح لغير الله ثم تفرقنا، .....ومات زيد قبل المبعث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يأتي امة وحده)[1].

٢ ـ رواية موسى بن عقبة بسنده عن سالم بن عبد الله بن عمر: حدثني محمد بن أبي بكر حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا موسى حدثنا سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى ان يأكل منها ثم قال زيد إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وان زيداً بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الأرض ثم تذبحونها على

---

١ - النسائي، السنن الكبرى، ٥/ ٥٤، وأوردتها مصادر أخرى بنفس السند والمعنى مع اختلاف بسيط بالألفاظ ينظر ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، ١٩٩/١، الطبراني، المعجم الكبير، ٥/ ٨٦، الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ٣/ ٢١٦، إسماعيل الأصبهاني، دلائل النبوة، ٦٨٦/٢ ـ ٦٨٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣٤/١.

غير اسم الله إنكارا لذلك وإعظاما له[1].

وأورد البخاري وابن عبد البر هذه الرواية عن موسى بن عقبة باختلاف في الألفاظ وفي المعنى ، وسنأتي إلى بيان هذا الأمر عند مناقشة الروايات غير المباشرة (أخبرني سالم انه سمع عبد الله يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح وذاك قبل ان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرة فيها لحم فأبى ان يأكل منها ثم قال إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه) [2].

٣ ـ رواية نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (حدثنا يزيد ثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة هو وزيد بن حارثة فمر زيد بن عمرو بن نفيل فدعوه إلى سفرة لهما ، فقال: يا بن أخي إني لا آكل مما ذبح على النصب قال: قلت: فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أكل شيئا مما ذبح على النصب)[3].

٤ ـ أورد ابن عبد البر رواية عن نوفل بن هشام بن سعيد عن ابيه عن جدة (قال ومر بالنبي صلى الله عليه وسلم ـ يعني زيد بن عمرو بن نفيل ـ ومعه

---

١ - البخاري، صحيح البخاري، ٢٣٣/٤ ، وذكرتها مصادر أخرى عن موسى بن عقبة باختلاف في الألفاظ لكن بنفس المعنى، ينظر ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٣٨٠/٣، النسائي، السنن الكبرى، ٥٥/٥، ابن حبان ، صحيح ابن حبان، ٤٧/١٢، الطبراني، المعجم الكبير، ٢٣٠/١٢ ، البيهقي، السنن الكبرى، ٢٥٠/٩ ، الذهبي،تاريخ الإسلام، ٨٥/١.

٢ - البخاري، صحيح البخاري، ٢٢٥/٦ ، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦١٧/٢.

٣ - ابن حنبل، مسند احمد ، ١/ ١٨٩ ، وذكرتها مصادر أخرى بنفس السند مع اختلاف بسيط في المتن ينظر ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١١٨ ، الطبراني، المعجم الكبير، ١٥٢/١ ، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٠٧/١٩ ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢٩/١.

أبو سفيان بن الحارث يأكلان من سفرة لهما فدعواه إلى الغداء فقال يا بن أخي إني لا آكل ما ذبح على النصب قال فما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث صلى الله عليه وسلم)[1].

٥ ـ أوردت مصادر أخرى رواية عن هشام بن عروة (وخرج من حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب أكل ما ذبح لغير الله ، فما ذقت شيئا ذبح على النصب حتى أكرمني الله بما أكرمني به من رسالته)[2].

هذا الصنف من الروايات الذي أشار إلى ان الرسول (ص) كان يذبح للأنصاب ، أو إنه كان يأكل مما ذبح لها ، وترك هذه الأمور بعد لقائه زيد بن عمرو بن نفيل ، لا يختلف من حيث المضمون عن الروايات التي أشارت صراحة إلى انه كان يعتقد بعقيدة الشرك ، والفرق بينها ان هذه الأخيرة اكتفت بالإيحاء إلى هذا الأمر ولم تشر إليه صراحةً. ويلاحظ في كل هذا ان مصادر المسلمين المعتمدة نقلت هذه الروايات من دون ان تناقشها او تحاول تحليلها ، وكأنها متفقة مع الرواة الذين نقلوا هذه الروايات التي نسبت الشرك للرسول(ص) ، وحتى من حاول مناقشة هذه الروايات لم يرفضها بصورة مطلقة بل حاول تبريرها او وضع شروح لها لا تتناسب مع المعنى الصريح الذي أشارت إليه ، وقد يعود السبب في ذلك ان السند الذي نقلت عنه الروايات كان سندا معتبرا عند هؤلاء والطعن في هذه الروايات يعني عدم دقة رواتها وهم من الرواة المعتبرين في كتب الحديث الإسلامية ، الأمر الذي يقود إلى التدقيق في الكثير من الروايات الأخرى ، لذلك فضل الكثير من الكتاب

---

١ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦١٦/٢ ـ ٦١٧.

٢ - المقريزي، إمتاع الأسماع، ٣٥١/٢، المتقي الهندي، كنز العمال، ٧٩/١٢، الحلبي، السيرة الحلبية، ٢٠١/١.

المسلمين شرح الروايات وتبريرها بدلا من رفضها ، والمؤسف في هذا ان هذه الروايات أساءت لشخص النبي(ص) بعد ان نسبت له الشرك أو على أقل تقدير أشركته مع غيره في الذبح للأنصاب ، ومن المؤكد ان مكانة النبي(ص) اهم من أي راوٍ مهما كانت منزلته ، لذلك فالأولى ان يدافع الكتاب المسلمون عن النبي(ص) ويرفضوا أي اساءة له ، بدلا من الدفاع عن أي راوٍ نقل رواية موضوعة لا يؤيدها العقل والمنطق لأسباب عاطفية او تحزب لأسرة او مذهب او جماعة ، وهذا الدفاع عن الرسول(ص) ليس دفاعا عاطفيا فقط ، بل ان كل الوقائع تبين ان الرسول(ص) كان القمة في التكامل الأخلاقي والعقلي ، وهذا ما يخبرنا به الله تعالى في كتابه فيقول: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [١] .

ومن نماذج التبريرات التي حاولت الدفاع عن الروايات ، ما نقله العيني في كتابه عمدة القاري من آراء للسهيلي[٢] والخطابي[٣] وهما يدافعان عما جاء في رواية موسى بن عقبة ، لكن محاولة العيني هذه ركزت على تفاصيل هذه الرواية فقط دون الخوض في الروايات الأخرى التي تناولت هذا الموضوع فيقول: (وقال السهيلي: ان قلت كيف وفق زيد ترك اكل ذلك وسيدنا اولى بالفضيلة في الجاهلية لما ثبت من عصمته ، قلت: عنه جوابان احدهما انه ليس في الحديث انه صلى الله عليه وسلم اكل منها وانما فيه ان زيدا لما قدمت له السفرة أبى ، وثانيهما ان زيدا إنما فعل ذلك برأي رآه لا بشرع متقدم ، وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح

---

١ - سورة القلم الآية ٤.

٢ - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ولد في الأندلس سنة ٥٠٨هـ وكان من العلماء المعروفين هناك له عدة مصنفات أهمها الروض الأنف الذي يشرح فيه السيرة النبوية لابن هشام توفي سنة ٥٨١هـ ينظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٣٤٩/٤.

٣ - أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم البستي صاحب تصانيف عديدة في الحديث والفقه درس في البصرة وبغداد وغيرها وتوفي سنة ٣٨٨هـ ، ينظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١٠١٩/٣..

لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام ، وقال الخطابي: امتناع زيد من اكل ما في السفرة انما هو من اجل خوفه ان يكون اللحم الذي فيهما مما ذبح على الأنصاب ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا لا ياكل من ذبائحهم التي كانوا يذبحونها لاصنامهم فاما ذبائحهم لمأكلهم فلم نجد في الحديث انه كان يتنزه عنها ، وقد كان بين اظهرهم مقيما ولم يذكر انه كان يتميز عنهم الا في اكل الميتة لان قريشا كانوا يتنزهون أيضا في الجاهلية عن اكل الميتة مع انه اباح الله لنا طعام اهل الكتاب والنصارى يذبحون ويشركون في ذلك الله تعالى)[1] ، على الرغم من ان هذه الآراء فيها الكثير من الجوانب الصحيحة ، ولاسيما ما يخص ظن زيد في ان اللحم الذي قدم له قد يكون مذبوحاً للأصنام ، لكن لا يخفى ان الرأيين لم يناقشا القضية الرئيسية التي شكلت اساءة للنبي(ص) وهي اعتقاده بالأنصاب والنحر والتقرب لها ، إذ ركزا على مناقشة الرواية الأولى التي أوردها البخاري وغيره عن موسى بن عقبة ، وتركا الرواية الثانية التي نقلها البخاري عن نفس الراوي والتي تذكر ان الرسول(ص) هو الذي قدم السفرة لزيد لكنه رفض ان يأكل منها ، كذلك تركا بقية الروايات التي أوردتها المصادر الأخرى ، والتي أشارت مباشرة وبصراحة إلى ان الرسول كان ينحر للأنصاب (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مردفي إلى نصب من الأنصاب فذبحنا له شاة ، ثم صنعناها له حتى إذا نضجت جعلناها في سفرتنا) [2] ، وهذه الروايات وردت في كتب المسلمين التي تعد عند بعضهم كتباً معتبرة ، وإنهما لم يتطرقا في تبريرهما إلى تلك الروايات التي ذكرت امتناع الرسول(ص) عن أكل ما ذبح على النصب بعد ان رفض زيد بن عمرو ان يأكل معه من طعامه ، (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة هو وزيد بن حارثة

---

١ - العيني، عمدة القاري، ٢٨٦/١٦.

٢ - النسائي، السنن الكبرى، ٥/ ٥٤، وأوردتها مصادر أخرى بنفس السند والمعنى مع اختلاف بسيط بالألفاظ ينظر الطبراني، المعجم الكبير، ٥/ ٨٦، الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ٣/ ٢١٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣٤/١.

فمر زيد بن عمرو بن نفيل فدعوه إلى سفرة لهما ، فقال: يا بن أخي إني لا آكل مما ذبح على النصب قال: قلت: فما رؤى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أكل شيئا مما ذبح على النصب)[1] ، (ومر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو سفيان بن الحارث يأكلان من سفرة لهما فدعواه إلى الغداء فقال يا بن أخي إني لا آكل ما ذبح على النصب قال فما رؤى عن النبي صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث صلى الله عليه وسلم) [2] ، وهذان النصان وردا أيضا في كتب المسلمين التي تعد عند بعضهم كتباً معتبرة ، وقد ورد فيهما بصورة صريحة ان الرسول (ص) كان يأكل مما ذبح على الأنصاب ، بدليل ما ورد فيهما من أنَّه ترك هذا الأمر بعد ان تعلمه من زيد.

وحتى تبرير السهيلي لما جاء في رواية موسى بن عقبة من ان الرسول(ص) لم يأكل من الطعام الذي في السفرة ، فهذا أمر غير مقبول لأنه كان يحمل اللحم في سفرته ـ حسب ما تذكر الرواية الثانية عن عقبة ـ أي إنه ينوي الأكل منها ، كذلك فإن قوله بأنَّ زيداً امتنع عن الأكل برأي رآه وليس لهذا الأمر وجود في شرع إبراهيم فهو أمر ظني افتراضي ، وهو لا يمكنه الجزم بأن شرع إبراهيم ليس فيه تحريم ما ذبح لغير الله ، لأنه لا يعرف عن هذا الأمر كثيرا حسب ما أورده في رأيه المتقدم ، ولو افترضنا جدلا إنه لم يرد تحريمه في شرع إبراهيم فهو مستقبح عقلا ولا يليق برسول الله (ص) وما أعطاه الله من الكرامة والمنزلة الرفيعة التي أستحق من خلالها ان يكون خاتم الأنبياء وسيدهم ، فمثلا شرب الخمر جاء تحريمه بعد نزول آية تحريم الخمر ، فهل من المعقول ان يقربها الرسول(ص) ، كذلك فإن كل الروايات التي تحدثت عن حياته الشريفة(ص) ذكرت أنَّه كان بعيدا كل البعد عن الرذائل التي

---

١ - ابن حنبل، مسند احمد، ١/ ص١٨٩، وذكرتها مصادر أخرى بنفس السند مع اختلاف بسيط في المتن ينظر ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١١٨؛ الطبراني، المعجم الكبير، ١٥٢/١، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٠٧/١٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢٩/١.

٢ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦١٦/٢ ـ ٦١٧.

كانت منتشرة في المجتمع الجاهلي ، حتى انه لم يكن يقف مع قريش في مزدلفة أيام الحج ، بل كان يقف مع الناس بعرفة[1] ، لأنه يرى ان قريشاً كانت مبتدعة في هذا الأمر.

وإذا افترض السهيلي في تبريره ان زيداً ترك أكل ما ذبح على النصب بناءا على رأي رآه ، هذا يعني ان عقله أرشده إلى قبح هذا العمل ، لأنه حسب ما تذكر الرواية يرى (أنّ الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء الماء وانبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله) ، لذلك فمن غير المعقول ان يمتنع زيد عن هذا العمل القبيح ويباشره الرسول(ص) ، فيكون أعرف وأورع وأعقل من المختار المصطفى ، وهو ينتظر في هذه المرحلة من حياته النبوة وتلقي الوحي حسب ما أخبرتنا به الروايات التي تحدثت عن نزول الوحي ، إذن كيف نتصور ان النبي(ص) لم ينل ما ناله زيد وأمثاله من الموحدين من الوصول إلى معرفة التوحيد ، أو الامتناع عن أكل ما ذبح على الأنصاب ، أو على أقل تقدير معرفة ان هذا العمل قبيح ، وأكثر شيء غرابة في هذا الباب هو ان الرسول(ص) يمتنع عن الأكل حتى بعثه الله بالنبوة ، بعد ان نهاه زيد عن هذا الأمر.

وقد أجاد الذهبي في وصف حال النبي(ص) قبل البعثة من اجتناب الرذائل التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي فقال: (وما زال المصطفى محفوظاً محروساً قبل الوحي ، .... والذي لا ريب فيه انه كان معصوما قبل الوحي وبعده وقبل التشريع وبعده من الزنا قطعا ومن الخيانة والغدر والكذب والسكر والسجود لوثن والإستقسام بالأزلام ومن الرذائل والسفه وبذاء اللسان وكشف العورة فلم يكن يطوف بالبيت عريانا ولا كان يقف يوم عرفة مع قومه بمزدلفة بل كان يقف بعرفة وبكل حال لو بدا منه شيء من ذلك لما كان عليه تبعة لأنه كان لا يعرف ولكن رتبة الكمال تأبى وقوع ذلك منه صلى الله عليه وسلم تسليما)[2] ، لكن على الرغم من ذلك فان

---

١ - البخاري، صحيح البخاري، ١٧٥/٢.

٢ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣١/١.

الذهبي عندما يأتي ويناقش الروايات المتعلقة بهذا الباب فأنه أيضا يسلك طريق التبرير ، ولا يرفض ما جاء في الروايات من تناقضات ، وهو على يقين ان هذه الروايات غير مقبولة بدليل أنَّه علق عليها وحاول ان يجد مخرجا لها ، وذلك لسبب بسيط هو أنها جاءت في بعض الكتب المعتبرة عنده ورواتها من الثقاة عند أهل الحديث ، فنراه يعلق على رواية نفيل فيقول: (مر زيد برسول الله صلي الله عليه وسلم وبابن حارثة وهما يأكلان في سفره فدعواه ، فقال: إني لا آكل مما ذبح على النصب.... اللفظ مليح يفسر ما قبله ، وما زال المصطفى محفوظاً محروسا قبل الوحي وبعده ولو احتمل جواز ذلك فبالضرورة ندري انه كان يأكل من ذبائح قريش قبل الوحي ، وكان ذلك على الإباحة ، وإنما توصف ذبائحهم على التحريم بعد نزول الآية كما ان الخمرة كانت على الإباحة إلى ان نزل تحريمها بالمدينة بعد يوم احد ،... وبكل حال لو بدا منه شيء من ذلك لما كان عليه تبعة لأنه كان لا يعرف) [1] ، لا ريب ان ما قدمناه من رأي الذهبي فيه كثير من الدقة ، فالنبي محروس محفوظ من الله تعالى قبل الوحي وبعده ، وهو أيضا يمتلك روحاً سامية عالية وعقلاً سليماً يجنبه القبائح ، لكن الذهبي ناقش قضية الشرع والتحريم وهل كانت اللحوم المذبوحة لغير الله محرمة قبل البعثة أو إنها على الإباحة ، وافترض ان الرسول(ص) إذا قام بعمل قبل البعثة ونزول التحريم فليس عليه تبعة ، ونحن هنا لا نناقش هذه الأمور حلال أم حرام لأنها ليست ضمن نطاق البحث ، بل نناقش كيف لم يستقبح الرسول(ص) هذا العمل كما فعل زيد ، وإذا كان البسطاء من الناس توصلوا إلى ان هذا العمل غير محبب فمن باب أولى ان يمتنع عنه النبي(ص).

وعلى الرغم من ان الذهبي يرفض فكرة ان ينحر الرسول(ص) للأنصاب لأنه معصوم من الشرك ، لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع ان يرفض الروايات التي ذكرت هذا الأمر فيقول إنها موضوعة أو مبالغ فيها أو محرفة ، فيعلق على رواية

---

١ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣١/١.

النحر بالقول: (رواه الحربي في الغريب عن شيخين له عن أبي أسامة ثم قال في ذبحها على النصب وجهان: إما زيدا فعله عن غير أمر النبي صلى الله عليه وسلم إلا انه كان معه فنسب ذلك إليه لان زيدا لم يكن معه من العصمة والتوفيق ما أعطاه الله لنبيه وكيف يجوز ذلك وهو عليه السلام قد منع زيدا ان يمس صنم وما مسه هو قبل نبوته فكيف يرضى ان يذبح للصنم هذا محال ، الثاني ان يكون ذبح لله واتفق ذلك عند صنم كانوا يذبحون عنده ، قلت: هذا حسن فإنما الأعمال بالنية أما زيد فاخذ بالظاهر وكان الباطن لله ، وربما سكت النبي صلى الله عليه وسلم عن الإفصاح خوف الشر فانا مع علمنا بكراهيته للأوثان نعلم أيضا انه ما كان قبل النبوة مجاهرا بذمها بين قريش ولا معلنا بمقتها قبل المبعث)[1].

وحاول العيني إيجاد تفسير مقبول لهذه الروايات ، فنقل بعض الآراء التي قيلت قبله كما أسلفنا ، وحاول ان يعلق عليها بما يتناسب مع اعتقاده ، فذكر رأي ابن بطال[2] الذي لم ينكر الرواية أو يدفع التناقض الذي تحمله ، بل حاول تأويلها بما لا تحتمل ، فقال ان السفرة لم تكن للنبي (ص) بل لبعض القرشيين ، وهم الذين قدموها للرسول(ص) فأبى ان يأكل منها ، ثم قدمها لزيد فقال له إنا لا نأكل مما تذبحون على أنصابكم[3] ، ولا يخفى ان هذا تبريراً غير منطقي ؛ لأن كل الروايات التي قدمناها لم تذكر ان السفرة كانت لقريش ، بل على العكس من ذلك تماما أكدت ان النبي(ص) كان يذبح للنصب أو يأكل مما ذبح لها ، وقد رد ابن حجر العسقلاني على ابن بطال بالقول: (وقال ابن بطال: كانت السفرة لقريش فقدموها للنبي صلى الله عليه وسلم فأبى ان يأكل منها ، فقدمها النبي صلى الله عليه وسلم

---

١ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/١٣١.

٢ - ابن بطال الأشعري علي بن خلف بن عبد الملك القرطبي قال: ابن بشكوال كان من أهل العلم والمعرفة والفهم وشرح صحيح البخاري في عدة مجلدات وتوفي سنة تسع وأربعين وأربع مائة ، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢١/٥٦.

٣ - العيني، عمدة القاري، ١٦/٢٨٦.

لزيد بن عمرو بن نفيل فأبى ان يأكل منها ، وقال مخاطبا لقريش الذين قدموها أولا: إنا لا نأكل ما ذبح على أنصابكم ، وما قاله محتمل لكن لا أدري من أين له الجزم بذلك ، فأني لم أقف عليه في رواية أحد)[1] ، لكن العيني كان مقتنعا تماما برأي ابن بطال لذلك لم تعجبه آراء المعترضين على تفاصيل الروايات ، فكانت ردوده مبنية على شرح ما جاء فيها ومحاولة جعلها مقبولة ، فهو يرى ان الرسول(ص) لم يأكل مما ذبح للأنصاب ، و ان ما جاء في هذه الروايات بحاجة إلى تفسير ، لذلك ركز في شرحه على ان الرسول(ص) وإن حمل هذا اللحم في سفرته فإنه لم يأكله ، (قلت: جعله في سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدل على أنَّه يأكله ، وكم شيء يوضع في سفرة المسافر مما لا يأكله هو بل من معه ، وإنما لم ينه الرسول صلى الله عليه من معه عن أكله لأنه لم يوح إليه إذ ذاك ولم يؤمر بتبليغ شيء تحريما وتحليلا حينئذ ، قلت: لو أطلع الكرماني على كلام القوم لما احتاج إلى السؤال والجواب وقد ذكرنا الآن عن ابن بطال ما يغني عن ذلك)[2] ، على الرغم من ان هذا الرأي ليس صحيحاً لأنه يخالف ما جاء في الروايات التي ذكرت صراحة ان الرسول(ص) كان يذبح للأنصاب أو انه كان يأكل مما ذبح لها ، لكنه تطور في فهم هذه القضية لأنه يعني ان بعض شراح كتب الحديث شعروا بالحرج مما جاء في هذه الكتب ، لذلك حاول بعضهم تفسير ما جاء فيها بطريقة تنزه الرسول(ص) عن هذه الإساءة ، وعلى الرغم من هذا الفهم للإشكال الذي خلقته هذه الروايات ، لم يستطيعوا ردها بصورة نهائية وقاطعة ، ففضلوا مناقشة التفاصيل وإيجاد حل وسط لها ، وذلك من خلال تأكيد صحة الرواية مع محاولة إبعاد هذه الإساءة عن الرسول(ص) ، فنرى ابن حجر أتخذ جانبا آخر في تبريره لهذه الروايات ، فلم يكذبها بل حاول إبعاد الأمر عن الرسول(ص) ، فنقل رأياً مفاده ان النبي (ص)

---

١ - ابن حجر، فتح الباري، ١٠٨/٧.

٢ - العيني، عمدة القاري، ٢٨٦/١٦.

لا يأكل مما يذبح للأصنام ، ويأكل ما عدا ذلك ، وان كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لان الشرع لم يكن نزل بعد ، بمنع أكل ما لم يذكر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة[1] ، ثم مال إلى ان السفرة كانت للنبي (ص) وان الذي ذبح القربان للصنم هو خادمه زيد بن حارثة فيقول: (وعلى تقدير ان يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر فإنما يحتمل على انه إنما ذبح عليه لغير الأصنام)[2].

وإذا تابعنا ما جاء في الروايات والآراء المتقدمة يمكن ان نستخلص جملة من النقاط:

أولا: ان زيداً بن عمرو بن نفيل كان اعرف واعلم من النبي(ص) فنال مرتبة من التوحيد لم ينلها النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

ثانيا: ان الرسول(ص) لا يمتاز عن سائر العرب الجاهليين ، لأنه كان يملك صنما ونصبا ، وكان يأكل اللحم الذي ذبح على النصب ، وأما زيد بن عمرو بن نفيل فقد كان موحدا ومؤمنا ، وكان يرفض الأصنام وعبادتها.

ثالثا: أكثر الأشياء التي لا يمكن قبولها في هذا الموضوع هو ان الرسول(ص) ترك عبادة الأصنام أو امتنع عن أكل ما ذبح لها بناءا على نصائح قدمها إليه بحسب ما جاء في الروايات ، (قال: فما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من يومه ذاك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث) [3] ، (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سمعتُ زيداً بن عمرو بن نفيل يعيب أكل ما ذبح لغير الله ، فما ذقت شيئا ذبح على النصب حتى أكرمني الله بما أكرمني به من رسالته)[4] ، (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تمسحت بوثن منها بعد ذلك على معرفة بها ولا ذبحت لها حتى

---

١ - فتح الباري، ٧ /١١٢.

٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٧ ص ١١٢.

٣ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ٦١٦/٢ ـ ٦١٧.

٤ - المقريزي، إمتاع الأسماع، ٣٥١/٢، المتقي الهندي، كنز العمال، ٧٩/١٢، الحلبي، السيرة الحلبية، ٢٠١/١.

أكرمني الله عز وجل برسالته صلى الله عليه وسلم)[1].

أما أهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال تتبع الروايات والآراء المتقدمة فيمكن إجماله بالنقاط الآتية:

١ ـ عندما نناقش الروايات التي ذكرت زيداً بن عمرو بن نفيل ونحاول التشكيك في تفاصيلها ، فإن هذا لا يعني أنّنا ننكر كونه من الموحدين في العهد الجاهلي ، لأن مصادر المسلمين المختلفة اتفقت على أنه من الموحدين الباحثين عن الدين ، لكن الأمر غير المقبول كما قدمنا هو تصوير الرواة لأفضلية زيد على الرسول(ص) ، إذ ينهى الرسول(ص) عن أكل ما ذبح للأنصاب والأصنام ، وفي بعض الروايات نهاه عن عبادة الأصنام ، أو إنه انتهى بعد ان سمع كره زيد لها ، وهذه أمور مرفوضة إذ كيف يدرك ذلك ويعجز النبي(ص) عنه ، فإذا كان قد أدرك قبح هذه الأمور بعقله ، كيف لم يوفق النبي(ص) إلى ذلك مع أنَّه موافق الذي جاء به الإسلام.

٢ ـ ان ما ورد في الأحاديث من المقايسة بين زيد بن عمرو بن نفيل وبين الرسول (ص) لم يكن إلا مبالغة وتقديسا لزيد ، ولا نستبعد ان الرواة كانت لهم نوايا ومقاصد من خلال هذه الروايات ، وقد نجحوا في دسها في كتب المسلمين المعتبرة ، والعجيب ان أصحاب كتب الحديث والسنة النبوية قبلوها قبول المسلمات واعتبروها أحاديث صحيحة وقطعية لا يرقى إليها الشك ، كذلك لم يحاول رواة التاريخ ردها أو مناقشتها على أقل تقدير ، ثم جاء بعض الباحثين من مستشرقين وعرب فجعلوها أساساً لفهم التطور العقائدي للرسول(ص).

٣ ـ نعتقد ان هذه الروايات فيها جانب كبير من الحقيقة ولاسيما ما يتعلق بتدين زيد بن عمرو بن نفيل ، لكن الرواة ضخموها وبالغوا فيها ، وذلك لاعتبارات قبلية أو دينية ، في خضم الصراع الفكري والمذهبي ، فأراد كل طرف إضافة

١ - ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١١٨ ، ينظر أيضا ابن عساكر، تاريخ دمشق، ص٥٠٧.

مكرمة إلى أسرته في مقابل الآخرين ، وبما ان كل المكارم في الإسلام تنتهي عند رسول الله(ص) قبل البعثة وبعدها ، لذلك فمن أراد ان ينسب فضيلة لشخص ما ذكر رواية تبين مدى قرب هذا الشخص من الرسول(ص) ، والمؤسف في هذا الأمر ان الكثير من الرواة أساؤوا للرسول(ص) عن قصد أو من دونه ، ودليلنا على ذلك ان أكثر الرواة الذين تحدثوا عن علاقة زيد بن عمرو بالرسول(ص) هم من أسرته كنوفل بن هشام بن سعيد وغيره.

٤ ـ شعر بعض شراح كتب الحديث بالحرج عندما وجدوا هذه الأحاديث ، لذلك أرادوا ان يجدوا مخرجا ملائما لا يمس الرواة ، فحاول بعضهم ان يجعل القرابين المقدمة للأصنام غير محرمة قبل الإسلام لذلك فلا مانع من ان يتناول الرسول(ص) لحومها ، بينما أدرك بعضهم الآخر عدم صواب هذا الرأي ، لان الأمر لا يتعلق بالحلال والحرام بل بكيفية إقبال الرسول(ص) على هذا الأمر وامتناع غيره عنه ، ونتيجة لذلك أرادوا دفع هذا الأمر عن الرسول(ص) ، فقال بعضهم ان قريشاً هي صاحبة السفرة التي تحوي اللحم المقدم كقربان للأصنام ، وقال آخرون ان زيداً بن حارثة هو الذي أقدم على النحر للأصنام من دون علم الرسول(ص) ، وغير ذلك من التبريرات غير المقنعة ، لكن لا أحد منهم حاول رد هذه الروايات مع أنّها مسيئة للنبي(ص) ولا يقبلها العقل.

وعلاوة على ما قدمناه فان هؤلاء الشراح اكتفوا بما جاء في صحيح البخاري وعلقوا عليه ، لكنهم لم يتطرقوا إلى ما ورد في المصادر الأخرى ، كمسند أحمد وسنن النسائي والبيهقي وصحيح ابن حبان والمعجم الكبير للطبراني وطبقات ابن سعد وتاريخ دمشق لابن عساكر والدلائل للاصبهاني وغيرها ، وهذه المصادر كلها تنص على ان النبي(ص) قصد منطقة بلدح برفقة زيد بن حارثة وذبح قربانا لصنم هناك ، ثم لقيا زيداً بن عمرو الذي أمتنع عن أكل اللحم الذي يحملانه ، وبعض هذه المصادر وصفت حتى كيفية شوي هذا القربان ، (خرج رسول الله(ص) وهو

مردفي إلى نصب من الأنصاب فذبحنا له شاة ثم صنعناها في الإرة[1] فلما نضجت إستخرجناها في سفرتنا ، ثم ركب رسول الله(ص) ناقته وهو مردفي فلما كنا بأعلى مكة لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيا أحدهما صاحبه بتحية الجاهلية ....)[2].

نزول الوحي على الرسول(ص)

لو ابتدأنا بروايات نزول الوحي ، لنتعرف على أثر السيدة خديجة(ع) في هذه الفترة ، نجدها حاضرة في كل تفاصيلها مؤمنة قوية صديقة مدافعة عن زوجها ودعوته ، لكن هذه الروايات ليست كلها بنفس القوة ، فبعضها ضعيف لا يمكن قبوله ، والأخرى فيها تناقضات كبيرة تخالف المنطق ، لذلك سنحاول دراسة ومناقشة هذه الروايات ، وتسليط الضوء على مكامن الضعف والقوة فيها. لاسيما إنها كانت مختلفة وغير متفقة فيما بينها ، وسنركز في البداية على أمرين مهمين فيها ثم ننتقل لبقية التفاصيل ، والأمرين هما أثر السيدة خديجة(ع) في هذا الأمر ، والشك والخوف الذي نسبته الروايات للرسول(ص).

وبالنسبة لموقف السيدة خديجة(ع) من هذا الأمر ، فقد ذكرت الروايات إنها كان ثابتة ، فاستقبلت الخبر بتصديق زوجها ، وإعلانها تأييده ومساندتها له ، فجاء في الروايات إنها قالت له: (أبشر لا يخزيك الله أبدا ، والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكلّ وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق)[3] ،

---

١ - الإرة حفرة توقد فيها النار ، وقيل هي الحفرة التي حولها الأثافي، ينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ٤٢/١.

٢ - الضحاك، الآحاد والمثاني، ١٩٩/١، الطبراني في معجمه الكبير ٨٦/٥.

٣ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢٢/٥ ـ ٣٢٣، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١، البخاري، صحيح البخاري، ٣/١ ـ ٤، مسلم، الجامع الصحيح، ٩٧/١ ـ ٩٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٥/١، ابن أبي عاصم، الأوائل، ص٤٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٨/٢ ـ ٢٩٩، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٩٦٦/٣.

وفي رواية أخرى أنها قالت له: (أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا ، فأقبل الذي جاءك من الله عز وجل فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقا)[1].

وهذا يؤيد ما قدمناه من ان نشأة السيدة خديجة(ع) الدينية أثر في موقفها ، كما ان زواجها من الرسول(ص) ومشاركتها له في توجهاته الروحية ، ساهم في الارتقاء بمستواها الديني ، والنتيجة كانت أنها استقبلت خبر نزول الوحي باطمئنان كبير ، ولم تشك للحظة بأن زوجها غير صادق ، وهذا الأمر يدعونا إلى القول إنها كانت تمتلك عقلا حصيفا ، وحالة نفسية مستقرة مكنتها من تمييز الحق فاتبعته ، وهذا لم يأت اعتباطا بل نتيجة لفترة طويلة من الاستعداد النفسي والروحي ، إلا ان الروايات المتقدمة ذكرت إلى جانب موقف السيدة خديجة الثابت المستقر المطمئن ، موقف أخر مناقض تماما ونسبته للرسول(ص) ، يتلخص في كونه كان خائفا شاكا في أمر الوحي ، وأراد ان ينتحر لأنه لا يعرف حقيقة ما أتاه ، فجاء في رواية الزهري: (حتى جاءه الحق فأتاه فقال: يا محمد أنت رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثوت لركبتي وأنا قائم ثم زحفت ترجف بوادري ثم دخلت إلى خديجة ، فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عني الروع ثم أتاني ، فقال: أنت رسول الله ، قال: فلقد هممت ان أطرح نفسي من حالق من جبل ، فتبدى لي حين هممت بذلك ، فقال: يا محمد أنا جبرئيل وأنت رسول الله ، ثم قال: اقرأ ، قال: فأخذني فغتني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد ، ثم قال:(ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) ، فقرأت فأتيت خديجة ، فقلت: لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبري ، فقالت أبشر لا

---

١ ـ ابن الزبير، مغازي رسول الله، ص١٠١ ـ ١٠٢ ، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٣/٢ ، المجلسي، بحار الأنوار، ١١/١٦. ونقل السيوطي هذه الرواية عن الزهري ، الخصائص الكبرى، ٢٣١/١ ـ ٢٣٣ ، ونقلتها بعض المصادر عن موسى بن عقبة عن الزهري، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٢ ، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٦/١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٣/٣ ، ونقلها ابن سيد الناس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عيون الأثر، ٨٣/١.

يخزيك الله أبدا)[1] ، وجاء في رواية ابن اسحاق: (فجاءني جبرئيل ، وأنا نائم ، بنمط من ديباج فيه كتاب ، فقال: أقرأ ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال: أقرأ ، قال: قلت: ماذا أقرأ؟ قال: ما أقول ذلك إلا افتداء منه ان يعود لي بمثل ما صنع بي فقال: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ، ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ، ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ، عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ) ، قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا ، قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ، قال: فوقفت أنظر اليه ، فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال: فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم أنصرف عني. وانصرفت راجعا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفا اليها ، فقالت: يا أبا القاسم ، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إلي ، ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت: أبشر يا بن عم وأثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة)[2].

وما جاء في هاتين الروايتين لا يمكن قبوله ، لأنها نسبت أشياء للرسول(ص) وهو

---

١ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢٢/٥ ـ ٣٢٣، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١، البخاري، صحيح البخاري، ٣/١ ـ ٤، مسلم، الجامع الصحيح، ٩٧/١ ـ ٩٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٥/١، ابن أبي عاصم، الأوائل، ص٤٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٨/٢ ـ ٢٩٩، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٩٦٦/٣.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٨/١ ـ ٢١٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠١/٢ ـ ٣٠٢، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٤٢/٤ ـ ١٤٣، الكلاعي، الاكتفاء، ٢٦٢/١ ـ ٢٦٦.

أكرم على الله من ذلك ، فمثلا ذكرت ان جبرائيل(ع) كان شديدا عليه ، وخنقه عدة مرات حتى ظن الرسول(ص) أنه الموت ، وقد ورد في الروايات ان الملك كان يقول له: أقرأ ، وهو يقول ما أنا بقارئ ، أو ما أقرأ على رواية أخرى ، ونتيجة لهذا اخذ هذا الملك يخنق الرسول(ص) خنقا شديدا حتى ظن انه الموت ، وهذا أمر غير مقبول أيضا ، لأنه يعني أمرين ، اما ان يكون النبي(ص) يقصد بقوله ما أقرا ، إنه لا يعرف القراءة والكتابة ، وهذا عكس كلام جبرائيل ، لأن كلامه كان المقصود به أقرا ما سأقوله لك من كتاب الله ، وهذا معناه عدم فهم رسول الله لمعنى كلام جبرائيل ، الأمر الذي لا يليق برسول الله(ص) ان لا يفهم كلام الملك ، كما لا يليق بجبرائيل ان لا يستطيع إيصال المعنى إلى الرسول(ص)[1] ، أو انه فهم كلام الملك ولا يريد القراءة ، ويبدو ان هذا ما أرادت الرواية إيصاله ، لأنها ذكرت ان الملك اخذ يخنقه بعد امتناعه عن القراءة.

ومسألة خنق جبرائيل له أمر غريب ، لأننا نتصور ان هذه الوسيلة التي استعملها ، لا تدل على كرامة ان لم تدل على غيرها ، وعناد الرسول(ص) الذي صورته لنا هذه الروايات ، غريب ايضا إذ تقول هذه الروايات إنه لم يقبل بالأمر حتى بلغ منه الجهد والتعب مبلغا كبيرا[2] ، وإذا قرأنا روايات أخرى تتحدث عن نزول جبرائيل عليه ، يتبين لنا ضعف روايات شدته مع الرسول(ص) ، فأورد بعض الرواة ان جبرائيل كان يأتي الرسول(ص) على هيئة رجل ، ويتكلم معه بما يليق بمقامه عند الله ، فروى الشعبي عن السيدة عائشة(رض) أنها قالت: (أن جبرئيل(ع) كان يأتي في صورة رجل)[3] ، وفي رواية ابن عباس(رض) ان النبي(ص) قال: (كان من الأنبياء من يسمع الصوت يكون نبيا بذلك ، وإن جبرئيل كان يأتيني كما يأتي أحدكم

---

١ - شرف الدين الموسوي، النص والاجتهاد ، ص٤٢١.

٢ ـ البعاج، خديجة الكبرى، ص٥١.

٣ ـ البخاري، صحيح البخاري، ١٤٠/٤.

صاحبه فيكلمه)[1] ، وفي رواية عن الإمام الصادق(ع) أنه قال:(كان جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يؤذن له)[2] ، وفي رواية (أجمل الناس من كان جبرئيل ينزل على صورته)[3] ، فكيف نتصور ان جبرئيل آذى الرسول(ص) وخنقه وغير ذلك.

والأمر الأخر الذي ذكرته الروايات هو خوف الرسول(ص) وشكه بالذي يأتيه ، في الوقت الذي ذكرت هذه الروايات موقف زوجته الثابت المتيقن الذي تحدثنا عنه ، وهذا أمر لا يمكن قبوله إذ كيف نتصور ان زوجته مهما بلغت من العلم تكون أكثر ثباتا منه ، وهو الذي نزل القران على قلبه (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ)[4] ، وحتى ما وصلته من علم فهو نتيجة لزواجها من الرسول(ص) وبقائها معه هذه المدة الطويلة ، فاستقبلت هذا النبأ بثبات ويقين ، ولم يأخذها شك في أقوال زوجها ، فكيف تثبته وهو الذي أوصلها إلى ما وصلت إليه؟.

كما ان الوحي لم يكن نزوله مفاجئا على الرسول(ص) إذ ذكرت الروايات انه كان يختلي في غار حراء الليالي ذوات العدد يتعبد ويتفكر ، وذلك قبل نزول جبريل عليه بمدة طويلة قد تمتد إلى الأيام الأولى لزواجه من خديجة(ع) ، أي قبل خمس عشر ة سنة من البعثة النبوية ، فكان يغدو في كل يوم إلى حراء يصعده وينظر من قلله إلى آثار رحمة الله ، وإلى أنواع عجائب رحمته ، وبدائع حكمته وينظر إلى أكتاف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفازات والفيافي ، فيعتبر بتلك الآثار ، ويتذكر بتلك الآيات ، ويعبد الله حق عبادته[5] ، وكل ذلك كان تهيئة لاستقبال أمر السماء ،

١- ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٨٨/١.

٢- المجلسي، بحار الأنوار، ٢٥٦/١٨.

٣- السيوطي، الخصائص الكبرى، ٣٠٠/١.

٤- سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ـ١٩٦.

٥ - المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠٥/١٨- ٢٠٧.

السماء ، وقد ورد عن علي بن أبي طالب ما يؤيد ذلك ، إذ كان يتحدث عن المدة التي انتقل فيها إلى بيت الرسول(ص) وخديجة(ع) ، فيقول: (ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيما ، أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ، ولقد كنت اتبعه أتباع الفصيل اثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي ، واشم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟ ، فقال: هذا الشيطان ايس من عبادته)[1].

وهذا يعني ان نبوة محمد لم تكن وليدة يوم الوحي ، بل كانت سابقة لهذا اليوم بكثير ، فقد قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ(٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[2]. وجاء في تفسير الطبري لهذه الآية بسنده عن علي بن أبي طالب(ع): (لم يبعث الله النبي آدم ومن بعده إلا اخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمن به ولينصرنه ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ ....)[3]. وقال تعالى في كتابه: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)[4] ، وهذا يعني ان

---

١ - ابن شهر آشوب، المناقب، ٢/ ٢٨، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/ ١٩٧، المجلسي، بحار الأنوار، ١٤/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

٢ - سورة آل عمران الآية٨١ .

٣ - الطبري، التفسير، ٣/٢٣٦- ٢٣٧، تفسير القرطبي، ٤/١٢٤- ١٢٦، تفسير ابن كثير، ١/ ٣٧٨.

٤ - سورة الصف، الآية٦.

النبي(ص) كان يشعر بقربه من العناية الإلهية ، إذ سأله أصحابه يوما ان يحدثهم عن نفسه فقال: (دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي انه خرج منها نور أضاءت له بصرى).

والأمر اللافت ان هؤلاء الرواة الذين نسبوا الخوف إلى الرسول(ص) ، ذكروا ان علامات النبوة بدأت بفترة مبكرة قبل نزول الوحي ، فقالوا: (إن رسول الله حين أراده الله بكرامته وابتداء النبوة فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله ، قال:فيلتفت رسول الله حوله وشماله ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله كذلك يرى ويسمع ما شاء ان يمكث ، ثم جاءه من كرامة الله بحراء في شهر رمضان)[1].

لكن الروايات ذكرت عكس ذلك فنسبت التردد وعدم الثبات للرسول(ص) ، فذكر الزهري في روايتيه أنه حاول الانتحار: (قال: فلقد هممت ان أطرح نفسي من حالق من جبل ، فتبدى لي حين هممت بذلك ، فقال: يا محمد أنا جبرئيل وأنت رسول الله)[2] ، (فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة فحزن حزنا شديدا ، فجعل يغدو إلى رؤوس شواهق الجبال ليتردى منها ، فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبرئيل ، فيقول له: إنك نبي الله ، فيسكن لذلك جأشه وترجع إليه نفسه)[3] ، وفي روايات أخرى أنه كان لا يعرف حقيقة الوحي الذي يأتيه ، فورد في رواية ابن اسحاق ان (النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بعث يدعى يا محمد ولا

---

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٧/١.

٢ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢٢/٥ ـ ٣٢٣، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١، البخاري، صحيح البخاري، ٣/١ ـ ٤، مسلم، الجامع الصحيح، ٩٧/١ ـ ٩٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٥/١، ابن أبي عاصم، الأوائل، ص٤٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٨/٢ ـ ٢٩٩، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٩٦٦/٣.

٣ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٨/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠٦/٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٦٨/١، المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٤/١.

يرى شيئا غير أنه يسمع الصوت فيهرب في الأرض، قال: فذكر ذلك لخديجة بنت خويلد وقال خشيت ان يكون قد عرض لي أمر، قالت: وما ذاك، قال: إذا خلوت دعيت فأسمع صوته ولا أرى شيئا فقد خشيت)[1]، وفي رواية حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يخاف ان يكون كاهنا: (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا خديجة إني أرى ضوءا وأسمع صوتا لقد خشيت ان أكون كاهنا)[2]، وفي روايته الثانية عن حماد بن سلمة فيما يحسبه عن ابن عباس أنه يخشى ان يكون مجنوناً: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا خديجة إني أسمع صوتا وأرى ضوءا وإني أخشى ان يكون بي جنن)[3]، وفي رواية الواقدي أنه يخاف ان يكون كاهنا: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، وهو بأجياد قد رأى ملكا واضعا أحد رجليه على الأخرى في السماء، يصيح يا محمد أنا جبرئيل، يا محمد أنا جبرئيل، فذعر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء، فرجع سريعا إلى خديجة فأخبرها خبره، وقال: يا خديجة والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام قط، ولا الكهان وأني لأخشى ان أكون كاهنا)[4].

نحن نسأل بعد التهيئة الطويلة للرسول(ص) لماذا يخاف ويحاول الانتحار؟ والروايات تذكر لنا إنه كان لا يعرف هذا الذي يأتيه من الله أم من الشياطين، وظن في نفسه انه مجنون أو كاهن أو شاعر، وهذا الأمر غير منطقي، إذ كيف لا يعرف الرسول(ص) الذي يأتيه وهو المصطفى للرسالة، والمختار لحملها إلى البشر، وقد سئل الإمام الصادق عن هذا الأمر فأجاب: (ان الله إذا اتخذ عبدا رسولا انزل عليه

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٦/١، الواحدي، أسباب النزول، ص١١، الزركشي، البرهان، ٢٠٧/١، ابن الجوزي، الوفا، ١٦٠/١ ـ ١٦١.

٢ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١، ابن حنبل، مسند احمد، ٣١٢/١.

٤ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٤/١.

السكينة والوقار، فكان الذي من قبل الله مثل الذي يراه بعينه)[1]، إذن الله قادر على ان يبين لرسوله (ص) ان ما رآه هو منه وليس من غيره، وقد بين الله ذلك لغيره بقوله: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ان أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[2]، وقال تعالى (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ان اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)[3]، وهذه ألآيات دالة على ما ذكرناه فأم موسى لم تكن نبية، لكن الله أوحى لها ان ترضع ابنها أي ألهمها لهذا العمل، والنحل حيوان لا عقل له، أوحى الله له بغريزته ان يبني بيوته في الأماكن التي أشارت لها الآية الكريمة، لذلك فمن الممكن ان يبين الله سبحانه وتعالى لنبيه كيف يفرق بين الذي يأتيه من الله عن الذي يأتي من الشيطان، بان يلقي ذلك في قلبه كما ألقى القرآن الكريم؟!، واختاره من بين الخلق ليكون النبي الخاتم وسيد الأنبياء والمرسلين، وهو يعلم أين يضع رسالته، فلا يكلف نفساً مالا تطيق (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ان نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)[4]، ولا يكلف إنسانا إلا إذا كان بمستوى هذا التكليف، فإذا كان محمد(ص) لا يستطيع استقبال الوحي فكيف يكلفه الله عز وجل بذلك؟ كما ان الرسالة كما قدمنا لم تكن وليدة يوم الوحي، بل سبقتها مقدمات كثيرة ولسنين طويلة، فقد كانت عقيدة قبل ان تكون وحيا، وإيمانا قبل ان تكون سلوكا. لذلك لا نستطيع قبول رواية تجعل من الآخرين أكثر وعيا بالوحي من الرسول(ص)، كما يبدو من رواية ابن إسحاق عن إسماعيل بن حكيم مولى آل

---

١ - المجلسي ،بحار الأنوار،١٨/٢٦٢ .

٢ - سورة القصص،الآية٧.

٣ - سورة النحل، الآية٦٧.

٤ - سورة البقرة، الآية٢٨٦.

الزبير التي تجعل من السيدة خديجة(ع) عارفة بالوحي أكثر من الرسول(ص) ، وتجري له اختبارا لمعرفة حقيقة الذي يأتيه: (أنه حدث عن خديجة رضي الله عنها إنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ابن عم أتستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم ، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبرئيل(ع) كما كان يأتيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة: هذا جبرئيل قد جاءني ، فقالت: نعم فقم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، فقالت هل تراه؟ قال: نعم ، قالت: فتحول فأقعد على فخذني اليمنى فتحول رسول الله فجلس عليها ، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم ، قالت: فتحول إلى حجري ، فجلس في حجرها ، قالت: هل تراه؟ قال: نعم ، فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها ، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا ، فقالت: يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هو بشيطان) ، وقال ابن إسحاق: حدثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا اني قد سمعتها تقول: أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبرئيل ، فقالت لرسول الله إنه ملك وما هو بشيطان)[1]. وذكرت بعض المصادر ان هذا الاختبار كان بناءا على نصيحة ورقة بن نوفل[2] ، وهذه الرواية وردت فيها عبارة تقول: (هل تخبرني بصاحبك الذي يأتيك)[3] ، أي أنه شاهده قبل ذلك ، فهل من المعقول ان لا يعرف الرسول(ص) أنه من الله وقد أتاه عدة مرات.

وهنا نقول إذا كان هذا حاله وهو النبي(ص) شاكا وغير مصدق لما جاءه ،

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٢٢/١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠٣/٢، السهيلي، الروض الأنف، ٢٧٤/١ ـ ٢٧٥.

٢ ـ المقدسي، البدء والتاريخ، ١٤٢/٤، ابن شهر آشوب، المناقب، ٤٢/١، ابن الجوزي، الوفا، ١٦٤/١، السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢٣٨/١.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٣/١.

فكيف يريد من المشركين التصديق ، وهم لم يروا جبرائيل ولم يسمعوا كلامه ، أليس في هذه الروايات متابعة لما كان المشركون يقولونه للرسول(ص)؟ إذ قالوا له إنه شاعر ، وقالوا له إنه كاهن ، وقالوا له إنه مجنون ، فورد في الروايات ان قريشا اجتمعت من أجل التصدي للرسول(ص) ودعوته ، فقالت: (سموا هذا الرجل اسما يصدر الناس عنه ، قالوا كاهن ، قالوا ليس بكاهن ، قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر..)[1] ، وقد رد الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز على هذه الاتهامات ، بقوله: (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ، وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ، وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)[2] ، وقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ، بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ، إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ)[3] ، لذلك يبدو لنا ان هؤلاء الرواة ، تأثروا بما جاء في آيات القرآن وأضافوه لرواياتهم ، ولا نريد ان نسيء الظن بالرواة ، ونقول إنهم حاولوا الدفاع عن المشركين ، وذلك بأن نسبوا أقوال الجنون والكهانة والشعر اليه ، ولم ينسبوها إلى من قالها اي المشركين كما جاء في آيات القرآن ، لأننا لا نملك الدليل على هذا الأمر ، لكن الذي نعرفه ان الرسول(ص) أعظم من هذه الأقوال ، وأكبر من الأشياء التي نسبوها اليه ، ولا نستطيع قبول أي رواية تنتقص من مقامه ، وتخالف العقل والمنطق مهما كانت مكانة راويها ، لأنه بالنتيجة إنسان يصيب ويخطأ.

والمسألة الأخرى التي وردت في الروايات موقف ورقة بن نوفل من نزول الوحي ، هذا الموقف الذي صورته الروايات بصورة تشبه ما نسبته لبحيرا وغيره من الرهبان كما ناقشنا ذلك سابقا ، ولا بد لنا ان نتعرف على ورقة وتوجهاته الدينية ،

١- مسلم، الجامع الصحيح، ١٥٣/٧، الطبري، التفسير، ٢٣٨، ابن حبان، الصحيح، ٧٨/١٦، الطوسي، التبيان، ٣٥٤/٦، الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٣٠/٧.

٢ - سورة الحاقة، الآيات٣٨- ٤٦ .

٣ - سورة الصافات، الآيات ٣٦- ٣٨.

لكي نعرف حقيقة دوره في نزول الوحي على رسول الله(ص) والسبب الذي دفع السيدة خديجة(ع) لاستشارته في أمر الرسول(ص).

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى بن قصي بن كلاب ، ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد(ع) ، وفي رواية عن ابن إسحاق ان جماعة من قريش هم ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث بن أسد بن العزى وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش اجتمعوا عند احد الأصنام ، يشربون الخمر فسقط هذا الصنم على وجهه ، فأقاموه فسقط مرة أخرى ، فتشاوروا بينهم فأنكروا ما عليه قومهم من وثنية ، وأرادوا الرجوع إلى دين إبراهيم الحنيف ، فانتشروا يبحثون عن الدين ، فأعتنق ورقة وعثمان وعبيد الله النصرانية ، واعتنق زيد الحنيفية[1]. وقد حاول بعض الرواة جعله من الأحناف ، لكننا لم نجد دليلاً واحداً على هذا الأمر .

إذن كان هذا الرجل على النصرانية ليس إلا ، لكننا لا نعرف متى اعتنق النصرانية ، وعلى أي مذهب من مذاهبها؟ وما هي الكتب التي قرأها وأين؟ والأمر الذي يهمنا علاقته بالرسول(ص) ، فقد ذكرت الروايات ان السيدة خديجة(ع) ذهبت إليه بعدما اخبرها غلامها ميسرة بقول الرهبان في محمد(ص) ، ورؤيته الملائكة وهي تظلله ، فرد عليها ورقة قائلاً: (لئن كان هذا حقا يا خديجة ، فإن محمداً نبي هذه الأمة ، وقد عرفت انه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر وهذا زمانه ، وجعل ورقة يقول حتى متى)[2] ، وبعد ذلك خطب رسول الله(ص) خديجة بنت خويلد ، بعد ان عرضت عليه الزواج[3] ، وذهب أبو طالب مع مجموعة من الهاشميين لخطبتها ، وكان ورقة بن نوفل حاضرا في هذه الخطبة[4] ، وقد جعلت بعض المصادر ورقة عمّاً

١- ابن إسحاق، الميسر المغازي، ص١١٥- ١٢٠، ابن هشام السيرة النبوية، ١/٢٥٠، ابن حبيب، المحبر، ص١٧١.

٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٦.

٣- للمزيد من المعلومات راجع الشرهاني، حياة السيدة خديجة بنت خويلد(ع) ، ص١٦١ ـ ١٨١ .

٤- الكلينبي، الكافي ، ٥ / ٣٧٥ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٦.

لخديجة(ع) في هذه الخطبة فقالت: (أقبل أبو طالب مع أهل بيته، ودخل على عمها ورقة بن نوفل، وعندما فرغ أبو طالب من خطبته، تكلم عمها ورقة وتلجلج وقصر عن الجواب وهو من القسيسين)[1] ، والذي يهمنا من كل هذا أنه لم يكن هناك إجماع على وجود ورقة في هذه الخطبة، وحتى المصادر التي ذكرت وجوده، فأنها ذكرت ان أبا طالب عندما أراد ان يخطب خديجة للنبي(ص) خطب خطبة قصيرة (الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وجعل لنا بيتا محجوبا وحرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به، ثم ان ابن أخي محمدا بن عبد الله، لا يوازن برجل من قريش إلا رجح، ولا يقاس بأحد ألا عظم عنه، وان كان في المال قل، فان المال رزق حائل وظل زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وصداق ما سألتموه عاجلة من مالي، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع)[2] ، فأجابه ورقة بن نوفل بالقول: (الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها، وانتم أهل لذلك كله، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا بالاتصال بحبلكم وشرفكم، فأشهدوا علي معاشر قريش، باني زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمائة دينار ثم سكت ورقة، وقال أبو طالب قد أحببت ان يشركك عمها، فقال عمها -عمرو بن أسد- اشهدوا يا معشر قريش أني قد أنكحت محمداً بن عبد الله خديجة بنت خويلد وشهد بذلك على صناديد قريش)[3] ، وعندما نأتي لمناقشة هذه الروايات نجد ان الرواة وضعوا ورقة، كما وضعوا بحيرا من قبلة في كل تحركات الرسول(ص) ، وهذا يجعلنا في شك من هذه

---

١ ـ الكلينبي، الكافي، ٥ / ٣٧٥، الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣ / ٣٩٧ ـ ٣٩٨، النووي، المجموع، ١٦ / ١٢٩.

٢ ـ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢ / ١٦، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ٧٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٥/٢، المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ١٧.

٣- المجلسي، بحار الأنوار، ١٩/١٦.

الروايات ، لكن لا مانع من ان يكون ورقة رجل دين نصراني ، يعرف بعض الأمور الدينية إلتي سمعها أو درسها عندما اعتنق النصرانية ، أما المعرفة الأكيدة بأن محمد(ص) هو النبي الموعود ، فهذا الأمر نأخذه بحذر شديد ، لأننا نعتقد ان هذا الأمر وضعه الرواة ، لكي يثبتوا لأهل الكتاب ان محمدا بشر به النصاري ، كذلك وضعه بعضا من الرواة لأهداف سياسية واجتماعية ، ولاسيما في عهد الدولة الأموية وسنأتي إلى مناقشة هذا الأمر.

ونحن نلاحظ ان الروايات التي ذكرت ان ورقة كان حاضرا في زواج الرسول(ص) من السيدة خديجة(ع) ، على الرغم من ضعفها إذ لم تذكرها المصادر المتقدمة ، يمكن ان تكون حقيقة ما دام لا يوجد ما يعارضها ، كذلك فان الأعراف القبلية تستدعي ان يحضر أبناء العشيرة عندما تخطب إحدى بناتهم ، ولم يكن الخاطب شخصا عاديا وإنما كان من اكبر العوائل القرشية المعروفة بالفضل والشرف ، والخطبة التي نسبتها المصادر له لم يكن فيها شيء يمكن الاعتراض عليه ، إذ انه أخذ يعدد الخصال الحميدة التي يتصف بها بنو هاشم وبنو أسد ، ولم يذكر في كلامه ما يشير إلى ما جاء في الروايات من نبوة محمد أو غير ذلك ، وهذا دليل على ان هذه الأمور منسوبة إليه.

ولو تتبعنا الروايات التي تحدثت عن ورقة عند نزول الوحي على الرسول(ص) لوجدنا ان الرواة اخرجوا هذه المسألة عن أي منطق مقبول ، فصوروه على انه كان معلما وهاديا للرسول(ص) ، وكأنه هذا هو المرجع الروحي له ، وسوف نعرض بعض هذه الروايات.

فجاء في رواية الزهري ان السيدة خديجة بعد ان سمعت منه خبر الوحي: (انطلقت به إلى ورقة بن نوفل ابن أسد ابن عم خديجة ، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له: اسمع من ابن أخيك ، فسألني فأخبرته خبري ، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ، ليتني أكون

حيا حين يخرجك قومك ، قلت: أو مخرجي هم؟ قال: نعم أنه لم يجيء رجل قط بما جئت به إلا عودي ، ولئن أدركني يومك لأنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ان توفي ورقة)[1] ، وفي رواية ابن إسحاق عن وهب بن كيسان مولى آل الزبير أنه سمع عبيد بن عمير بن قتادة الليثي يحدث عبد الله بن الزبير: (ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه ورأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل: قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ، وأنه لنبي هذه الأمة ، فقولي له: فليثبت ، فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله جواره وأنصرف ، صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة: والذي نفسي بيده ، انك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنَّ ولتؤذينَّ ولتخرجنَّ ولتقاتلنَّ ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزلة)[2] ، وفي رواية ابن إسحاق الثانية عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ان خديجة قالت لأبي بكر: (انطلق مع محمد إلى ورقة بن نوفل ، فإنه رجل يقرأ

---

١ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢٢/٥ ـ ٣٢٣، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١، البخاري، صحيح البخاري، ٣/١ ـ ٤، مسلم، الجامع الصحيح، ٩٧/١ ـ ٩٨، البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٥/١، ابن أبي عاصم، الأوائل، ص٤٠، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٩٨/٢ ـ ٢٩٩، أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٩٦٦/٣.

٢ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢١٨/١ ـ ٢١٩، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠١/٢ ـ ٣٠٢، المقدسي، البدء والتاريخ، ١٤٢/٤ ـ ١٤٣، الكلاعي، الاكتفاء، ٢٦٢/١ ـ ٢٦٦.

الكتب ، فليذكر له ما يسمع ، فانطلقا حتى أتيا ورقة بن نوفل ، فقال له ورقة: ليس عليك بأس ، فإذا دعيت يا محمد فأثبت حتى تسمع ما يقال لك فثبت للصوت ، فقال له: قل بسم الله الرحمن الرحيم فأعاده ثلاث مرات ، ثم قال قل الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات حتى ختمها ، فقال له: قل أمين ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ورقة فذكر له ذلك ، فقال أشهد أنك النبي الذي بشر به عيسى ، وانك الذي نجد في الكتب وانك لنبي مرسل)[1].

وهذه الروايات هي الرئيسية التي تحدثت عن دور ورقة في نزول الوحي ، وهناك روايات أخرى ذكرت هذا الأمر ، لكنها لا تختلف كثيرا عن المتقدمة ، وسوف نناقش سند هذه الروايات أولا ثم نناقش متنها ، ففيما يتعلق بالسند لم نجد من بين هذه الروايات ما هي متصلة إلى الرسول(ص) ، وهي جميعا مرسلة عنه وان اتصل بعضا منها بالسيدة عائشة وعبد الله بن عباس(رض) ، لكن الملاحظ ان أغلب الروايات التي تحدثت عن الوحي وجاءت فيها الأمور التي ناقشناها لاسيما ما يتعلق بدور السيدة خديجة وورقة بن نوفل ، نقلها الرواة عن آل الزبير ومواليهم ، ومن المعروف ان خديجة(ع) وورقة ينتميان إلى نفس تلك العائلة ، التي ينتمي إليها هؤلاء الرواة ، ويبدو ان خسارة أسرة آل الزبير لنفوذها السياسي ، بعد فشل عبد الله بن الزبير في انتزاع الحكم من بني أمية ، كان له اثر كبير عليها لاسيما بعد ان قتل عبد الله بن الزبير يد عبد الملك بن مروان ، لذلك اتجه أفرادها إلى إيجاد مكانة اجتماعية ودينية لعائلتهم في المجتمع الإسلامي ، لاسيما ان بني أمية لم يقيموا أي وزن لمجتمع المدينة وعوائل الصحابة الأوائل ، فقام عروة بن الزبير بالتوجه إلى الشام بعد مقتل أخيه عبد الله بن الزبير[2] ، من اجل ان يعيش حياة مستقرة ، فتحسنت علاقته بالأمويين ، واخذ يتردد على البلاط الأموي ، وكانت رواياته التاريخية ردودا على أسئلة وجهت إليه من عبد الملك بن

---

١ - البلاذري، أنساب الأشراف، ١٠٦/١.

٢. ابن قتيبة ، المعارف، ص١١٤.

مروان[1] ، وهنا حاول عروة ان يبرز اثر عائلته في البعثة النبوية ، ويجعل أقاربه ورقة وخديجة الأساس الذي قام عليه الإسلام ، وان كان ذلك على حساب رسول الله(ص).

كذلك فإن متن هذه الروايات فيه الكثير من الشكوك وقد ناقشنا قسما منها ، وسنناقش القسم المتعلق بورقة ، إذ ذكرت بعض الروايات ان السيدة خديجة(ع) أخذت الرسول(ص) إلى ورقة ، وفي أخرى إنها ذهبت إليه بمفردها ، وجاء في رواية ابن إسحاق عن عمرو بن شرحبيل إنها أرسلت معه أبا بكر(رض). وليس هناك ما يدعونا إلى نفي ذهابها إلى ابن عمها ورقة ، لكن الذي نرفضه هو سبب هذا الذهاب ، فقد ذكرت بعض الروايات أنها ذهبت إليه من اجل التأكد من كلام الرسول(ص) ، وهذا أمر مرفوض لأنه يعني أنها لم تؤمن بما جاء به ، وهذا مخالف لما أجمعت عليه الروايات من أنها أمنت بما انزل على زوجها ولم يأخذها أدنى شك فيه ، وإذا كان ذهابها إليه بطلب من الرسول(ص) ، كما جاء في روايات أخرى فهو مرفوض أيضا ، لأنه أكبر من ان يسأل بشر عن رسالة ربه ، ويعني إنه كان مرتابا في نبوته بعد تمامها ، وفي الملك بعد مجيئه إليه ، وفي القرآن بعد نزوله عليه ، وأنه كان من الخوف على نفسه في حاجة إلى زوجته لتشجعه ، وإلى ورقة يثبته ويربط قلبه[2] ، وكذلك فإن رواية ابن إسحاق في ذهاب أبي بكر إلى ورقة ضعيفة ، لأن الروايات متفقة على ان أول ما نزل من القرآن هي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق[3] ، أو الخمس الأولى من سورة المدثر[4] ، علاوة على ان الرواية فيها الكثير من التناقضات.

أما ورقة وأثره في هذا الأمر فلا يمكن قبوله على الإطلاق ، فورقة كما ذكرنا اعتنق النصرانية من دون ان نعرف أشياء كثيرة عن هذا الأمر ، ونحن نعرف ان النصارى في هذه المدة ، كانوا مختلفين فيما بينهم إلى درجة كبيرة ، وكتبهم فيها

---

١ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٥٧/٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٨٣/٧.

٢ - الحسني ، في الحديث والمحدثين، ص٢٧٠- ٢٧١.

٣ - الزركشي، البرهان، ٢٠٦/١، الطوسي، التبيان، ٣٧٩/١.

٤ - البخاري، صحيح البخاري، ٢٠١/٦.

الكثير من الاختلافات ، ولم يتفقوا إلا على ان النبي عيسى هو ابن الله[1] ، وهذا يعني انه كان يؤمن بما آمن به أبناء الدين الذي ينتسب إليه ، فكيف يذهب إليه رسول الله(ص) ليثبته على ما جاءه به الوحي؟ هل كان ورقة يعلم أكثر ممن شاهد الحدث وعايشه وكان هو المختار فيه؟ فإذا كان الأمر كذلك الأولى ان تكون النبوة له ، لأنه يمتلك يقينا أكثر من الذي يسأل عن الأمر ، وهذا الذهاب إلى ورقة ان كان من باب الاستفسار فهذا يعني جهل السائل بالأمر ، وعلم المسؤول به ، وهذا فرض خاطئ ولا يصح عقلا ، لأن النبي(ص) يجب ان يكون حائزا على أعلى درجات الكمال التي يتفوق بها على سائر البشر ، إذ لو كان في البشر من هو اعلم منه ، للزم ان تكون حجته مدحوضة ، وهو نقض لغرض الله جل وعلا ، وأن كان هذا الذهاب من باب الاطمئنان ، فهو مردود أيضا لأن هذا الأمر يأتي من الله تعالى ، وليس من نصراني لا نعرف مدى علمه ولا نعرف حقيقة أمره ، وإذا كان ورقة قد اهتدى بعقله وعرف أنه النبي(ص) ، فلماذا لم يهتد رسول الله(ص) إلى ما اهتدى إليه ورقة ، وعليه يكون عقله أكبر من عقل الرسول(ص) ، فالأولى ان تكون الرسالة له وليس لمحمد(ص) ، وإذا كان هو نفسه غير موقن بما جاء به ، فكيف يريد من الناس تصديقه؟ ولماذا يعترض على القرشيين لأنهم لم يؤمنوا بما جاء به ، وهو يقول لهم وحي من السماء ، إذا كان هو نفسه شاك فيه؟

وأثر ورقة الذي ذكرته الروايات متناقض إلى حد بعيد ، فهو يقرأ الكتاب العبراني ويترجمه إلى العربية ، ومن المعروف ان العبرانية لغة التوراة ، أما الإنجيل فكانت لغته السريانية ، وقد افترض أحد الباحثين أنه من غير المستبعد ان يعرف اللغتين ، فضلا عن معرفته العربية ، فترجم بعض أجزاء التوراة والإنجيل[2] ، وهذا ما اعتمد عليه أرفنج فافترض أنه ترجم بعض الكتب السماوية ، وهذه الكتب اطلع

١- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص٩٢ وما بعدها، ديورانت، قصة الحضارة، ٢٩٠- ٢٩١.

٢ - جواد علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص١٤٩.

عليها محمد(ص) ، واستفاد منها في دعوته[1].

إن الإمكانيات العلمية لذلك العصر تجعلنا نشكك في هذه الروايات وهذه الآراء ، إذ ان بلاد الشام التي تنتشر فيها النصرانية بعيدة عن مكة ، ولم تذكر لنا الروايات ان ورقة كان قد سكن الشام أو أقام بها ليتعلم هذه اللغات ، ويبدأ بترجمة هذه الكتب ، إذن كيف عرف ورقة هذه الديانات ولغاتها؟.

كما ان الروايات ذكرت ان ورقة ذكر للرسول(ص) أنه سيواجه من أمته شده ، وأنهم سوف يعذبونه ويكذبونه ويخرجونه من مكة ، وهي أمور حدثت بالفعل ، مما يدلل على أنها وضعت في فترة متأخرة ، وكانت صياغتها لتلائم حالة الرسول(ص) فيما بعد ، وهذه الروايات ذكرت ان ورقة وعده بالنصر ، عندما يبلغ دعوته ، لكن هذا الأمر لم يحدث على الرغم من ان بعض الرواة ذكروا انه بقي حيا بعد الدعوة[2] ، ففي رواية الزهري أنه توفي بعد ان أخبر الرسول(ص) أنه نبي[3] ، وفي رواية عن عروة: (كان بلال لجارية من بني جمح بن عمرو وكانوا يعذبونه برمضاء مكة ، يلصقون ظهره بالرمضاء ليشرك بالله ، فيقول أحد أحد ، فمر عليه ورقة وقال له: أحد أحد يا بلال ، والله لئن قتلتموه لأتخذه حنانا ، كأنه يقول: لأتمسحن به)[4] ، وفي رواية عن الواقدي أنه بقي حيا حتى خرج المسلمون إلى معركة بدر[5].

ولو تركنا مسألة النصر والتأييد وتسائلنا لماذا لم يسلم ورقة؟ وهنا يقول ابن عساكر:

١- حياة محمد ، ص٥٧.

٢ - ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٩٠ ، نقل رواية عن عروة بن الزبير هي ان ورقة مر على بلال بن رباح وهو يعذب فقال له: (أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أي لأتمسحن به).

٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٩٥/١.

٤ - ابن اسحاق، السير والمغازي، ص١٩٠ ، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٠٨ ، ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ٤١٢/١ ؛ أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٧٦٧/٣، أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٦٤٨/١.

٥ - البلاذري، أنساب الأشراف، ١١١/١.

(لا أعرف أحدا قال أنه أسلم)[1] ، ولماذا لم يسلم بحيرا والآخرون الذين بشروا رسول الله(ص) بالنبوة؟ بل لماذا لم نسمع عن نصارى ويهود أسلموا بعد إعلان الإسلام إيمانا به؟ إذ لم نجد في السيرة النبوية التي ذكرت قوائم المسلمين ، أو كتب التراجم والطبقات أي ذكر لأهل الكتاب ، كما نجدها خالية من أناس أسلموا بفضل تبشير هؤلاء ، وكل الذي نجده مؤمنون آمنوا بدعوة النبي(ص) واعتنقوها لأنهم وجدوا فيها ما يسد قلقهم الروحي ، ووجدوها تنظيما لحياتهم وضمانا لحقوقهم ، وكانت صورة لحياة أفضل طالما تمنوها ، فكانت هذه الدعوة بمثابة الخلاص من كل هذا.

وهذه الروايات المتقدمة أعطت لبعض المستشرقين مسوغاً من أجل تسويق آراء ليست دقيقة ، ومسيئة في بعض الأحيان للرسول(ص) ، فمثلا نرى وات وهو من المستشرقين الذين يوصفون بالاعتدال ، يعلق على روايات ورقة بالقول: (ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد بسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة ، ولاشك ان المقطع القرآني حين ردده محمد قد ذكره بما هو مدين به لورقة ... ان محمدا كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة منذ وقت مبكر ، وتعلم أشياء كثيرة وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة بأفكار ورقة) ، ثم يضيف قائلاً: (إن خديجة قدرت في محمد كفاءاته الروحية ، وهي تجعلنا نشعر بأنها قامت بدور هام في الأوقات الصعبة من حياته بتشجيعه على المواظبة في طريقه كنبي ، كما ان لخديجة ابن عم يدعى ورقة بن نوفل بن أسد ، وهو رجل متدين اعتنق أخيرا المسيحية ، ولاشك ان خديجة قد وقعت تحت تأثيره ويمكن ان يكون محمد قد أخذ شيئا من حماسته وآرائه)[2].

---

١ ـ ابن حجر، الإصابة، ٦٣٣/٣، وفي رواية ابن عباس(أنه مات على نصرانيته) ينظر ابن حجر، الإصابة، ٦٣٤/٣، الحلبي، السيرة الحلبية، ٢٥٠/١، وذكرت بعض المصادر المتأخرة أنه آمن بناءا على ما جاء في الروايات التي ذكرناها وليس على أساس قول أي من الصحابة أو الرواة بمعنى أنه استنتاج، ينظر السهيلي، الروض الأنف، ٢٧٣/١، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٤٨/٢، المقريزي، إمتاع الأسماع، ١٧/١، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٧٦/١ ـ ٢٧٧، الحلبي، السيرة الحلبية، ٢٧٦/١.

٢ - حياة محمد، ص٧٦٠.

وكما قدمنا فإنه من الطبيعي ان تصدر هكذا آراء عن المستشرقين ، وذلك لأنهم لا يعتقدون بنبوة محمد(ص) أصلا ، كما أنهم ليس باستطاعتهم ان يتفهموا الإسلام على حقيقته ، وذلك لتباين الثقافات التي لم يحاولوا تخطيها.

وخلاصة القول في هذا الأمر ان قضية ورقة ضخمت بدرجة كبيرة ، وقد حاول بعض رواة المسلمين ممن تربطهم قرابة به تضخيم أثره في الإسلام ، وتبعا لذلك ضخموا اثر السيدة خديجة(ع) معه ، وحاول البعض الآخر من الرواة إثبات النبوة بجعل النصارى يؤمنون بالرسالة الإسلامية ، فأخذ المستشرقون من هؤلاء وأولئك وبنو آرائهم ، والمسألة كلها قد لا تعدو ان الرسول(ص) أراد من خلال لقائه ورقة - إذا كان التقاه أصلا - ان يثبت لقريش ان الدين الذي جاء به من الله سبحانه وتعالى ، لأنهم يعرفون توجهات ورقة الدينية ، وإذا اخبرهم يكون أقرب للتصديق من أخبار الشخص عن نفسه[1] ، وهذه المسألة لا تستحق هذا التضخيم لو كانت النية منصبة على البحث العلمي الموضوعي ، لكنهم بنو على آراء مسبقة ، فحاولوا إنكار النبوة وجعلوها من صنع ورقة وغيره.

ثم أضافت الروايات أسم عداس إلى روايات الوحي ، ففي رواية عروة بن الزبير بعد ان أخبر الرسول(ص) زوجته بأمر الوحي ، ذهبت إلى عداس غلام عتبة بن ربيعة لتسأله عن أمر النبي(ص) ، فقال لها: كما جاء في الروايات من قول ورقة ، ثم رجعت بعده إلى ورقة[2] ، وفي رواية الواقدي ذكر أنها ذهبت إلى ورقة ثم رجعت إلى عداس[3] ، وهذا الأمر غير جدير بالثقة ، لأنها أقحمت اسم عداس في هذا الموضوع ، ونسبت له كلاما كانت قد نسبته إلى ورقة[4] ، كما ان عداسا هذا هو الذي التقى به الرسول(ص) في الطائف بعد وفاة السيدة خديجة(ع) بعد السنة العاشرة للبعثة ، حيث تذكر الروايات أنه التقى به بعد ان رفض أهل الطائف دعوته وآذوه وعندها جلس عند

---

١ - المختصر، نساء النبي وأولاده، ص٤٣.

٢ - ابن الزبير، مغازي رسول الله، ص١٠٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧٣/١، السيوطي، الخصائص الكبرى، ٢٣٢/١.

٣ - البلاذري، أنساب الأشراف، ١١١/١.

٤ - علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص١٤٧.

شجرة جاءه عداس: (بطبق من عنب فلما وضع رسول الله(ص) يده ، قال: بسم الله ، ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة ، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أي البلاد أنت يا عداس؟ قال: نصراني ، وأنا من أهل نينوى ، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن متي؟ ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل يديه ورجليه)[1]. وهذه الرواية تدل بشكل قاطع ان عداسا لم يسمع بأمر النبي(ص) من قبل ولم يعرفه إلا بعد وفاة السيدة خديجة(ع).

والخلاصة في مسألة نزول الوحي ان هناك رواية نقلتها بعض المصادر عن عروة بن الزبير ، فيما نقلها البعض الآخر عن عبد الله بن عباس(رض)[2] ، وهي من أكثر الروايات قبولا ، إذ استقبل الرسول(ص) الوحي بصورة طبيعية ، فرجع فرحا مسرورا وبشر السيدة خديجة(ع) بالأمر ، ففرحت وآمنت به وبما جاء به ، وكلماتها دالة على تصديقها له ، لكن نهاية هذه الرواية جاء فيها من ان السيدة خديجة(ع) ذهبت إلى عداس وورقة ، وربما حشرت هذه الأمور فيها خدمة لقضية آل الزبير التي ذكرناها. وسنورد نص هذه الرواية هو: (أول ما رأى ان الله عز وجل أراه رؤية المنام ، فشق ذلك عليه فذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأته خديجة بنت خويلد بن أسد ، فعصمها الله من التكذيب وشرح صدرها بالتصديق ، فقالت: أبشر فإن الله عز وجل لن يصنع بك إلا خيرا ، ثم أنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق ، ثم طهر وغسل ثم أعيد كما كان ، قالت: هذا والله خير فأبشر ، ثم استعلن له جبرئيل عليه السلام وهو بأعلى مكة ، فأجلسه على مجلس كريم معجب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشره برسالة الله عز وجل حتى اطمأن النبي صلى

---

١ ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٢٦/٢، المسعودي، مروج الذهب، ٨٨/١، أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ٢٩١/١ ـ ٢٩٢، ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/٤.

٢ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٦٣/ ٧.

الله عليه وسلم ، فقال له جبرئيل(ع): أقرأ ، فقال: كيف أقرأ ، قال: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) ، قال: فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه عز وجل واتبع الذي جاءه به جبرئيل(ع) من عند الله عز وجل ، فلما قبل الذي جاءه من عند الله تعالى وأنصرف منقلبا إلى بيته جعل لا يمر على شجر أو حجر إلا سلم عليه ، فرجع مسرورا إلى أهله موقنا أنه قد رأى أمرا عظيما ، فلما دخل على خديجة ، قال: أرأيتك الذي كنت أخبرتك إني رأيته في المنام فإنه جبرئيل استعلن لي أرسله الي ربي ، فأخبرها بالذي جاءه من عند الله عز وجل وما سمع منه ، فقالت: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيرا ، فأقبل الذي جاءك من الله عز وجل فإنه حق ، وأبشر فإنك رسول الله حقا ، ثم انطلقت من مكانها حتى أتت غلاما لعقبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى يقال له عداس ، فقال له: يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علم من جبرئيل؟ فقال عداس: قدوس قدوس ما شأن جبرئيل يذكر في هذه الأرض التي أهلها أهل أوثان؟ فقالت: أخبرني بعلمك فيه ، قال: فإنه أمين الله بينه وبين أنبيائه وهو صاحب موسى وعيسى(ع) فرجعت خديجة لورقة ، وكان ورقة قد كره عبادة الأوثان ، فلما وصفت خديجة لورقة حين جاءته شأن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرت جبرئيل(ع) ، وما جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله عز وجل ، قال لها ورقة يا بنية أخي ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، وأقسم بالله لئن كان هو ، ثم أظهر دعواه وأنا حي لأبلين الله في طاعة رسول الله وحسن مؤازرته ، فمات ورقة)[1].

---

١ ـ ابن الزبير، مغازي رسول الله، ص١٠١ ـ ١٠٢ ، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٣/٢ ، المجلسي، بحار الأنوار، ١١/١٦. ونقل السيوطي وغيره هذه الرواية عن الزهري ، الخصائص الكبرى، ٢٣١/١ ـ ٢٣٣ ، ونقلتها بعض المصادر عن موسى بن عقبة عن الزهري، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٢ ، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٧٦/١ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٣/٣ ، ونقلها ابن سيد الناس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عيون الأثر، ٨٣/١.

إسلام السيدة خديجة(ع)

بعد ان نزل الوحي على الرسول(ص) كان أول من عرف بهذا الأمر زوجته خديجة(ع) ، فدخلت في الإسلام في اليوم الأول لنزوله ، فجاء في رواية ابن إسحاق إنها صلت معه ذلك اليوم ، بعد ان علمه جبرائيل كيفية الوضوء والصلاة ، وهذه الصلاة كانت في يوم الاثنين ، إذ صلى الرسول(ص) في صبيحته ، وصلت زوجته في نهاية هذا اليوم[1]: (إن الصلاة حين افترضت على رسول الله(ص) ، أتاه جبريل ورسول الله ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام جبريل فصلى به وصلى رسول الله(ص) بصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة ، كما أراه جبريل فتوضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته)[2] ، فكانت السيدة خديجة(ع) أول المسلمين حسب الكثير من المصادر[3].

---

١ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١/ ١٩٤ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ١٧/٢ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ١٨٢٠/٤ ، الخوارزمي ، المناقب ، ص٢٠ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٧٨/١ ، ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ٩٢/١ ، محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص٦٩ ـ ٧٠ ، الجويني ، فرائد السمطين ، ٢٤٣/١١ ، الديار بكري ، تاريخ الخميس ، ٢٨٦/١.

٢ ـ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٢٧/١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣٠٧/٢ ، ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ٩٠/١.

٣ ـ ابن اسحاق ، السير والمغازي ، ص١٣٢ ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٢٧/١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٧/٨ ، ابن حبيب ، المحبر ، ص٤٠٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، =

فكانت هذه بداية الدعوة الإسلامية ، التي امتدت فيما بعد لتشمل كل فئات المجتمع المكي ، فدخل فيها الشباب والشيوخ والرجال والنساء والعبيد والسادة والأشراف والفقراء ، ثم استطاعت بعد سنوات ليست بالطويلة تأسيس دولة عظيمة ، امتدت شرقا وغربا تنشر مبادئ الإسلام السماوية ، القائمة على العدل والمساواة والتسامح.

ويمكن القول ان الإسلام لم يكن مجرد دعوة دينية ، تركز على الطقوس والعبادة فقط ، بل كان شريعة لحياة كاملة ، وثورة على كل ما هو فأسد رافعة لشعار التغيير ، فجوبهت بمقاومة كبيرة فاقت التصور ، لأن أول مبادئ هذه الدعوة الجديدة هو التوحيد ، وهذا يعارض ما نشأ عليه مجتمع مكة المشرك ، فجردوا كل أسلحتهم الاقتصادية والاجتماعية وغيرها لإيقاف مد هذه الدعوة ، لأن الشرك لم يكن مجرد عبادة ، بل كان نظام حياة كاملة بالنسبة للمشركين ، والكثير منهم يعرفون حق المعرفة زيف هذه العبادة ، لكنها ارتبطت بتجارتهم ومعيشتهم ، لذلك كانوا يدافعون عنها بكل قوة ، وقد ذكرنا فيما سبق ان اقتصاد مكة كان مرتبطا بمعاهدات الإيلاف ، كذلك كان مرتبطا بالأسواق التي تعقد قريبة من مكة ، وهذه التجارة التي قام عليها اقتصاد مكة ، كانت بمجملها ترتكز على رعاية قريش للكعبة ، وخدمة الحجاج القادمين اليها ، وهؤلاء الحجاج لم يأتوا إلى الكعبة لمجرد اعتقادهم بأنها بيت الله ، بل لأنها تحتوي على أصنامهم التي وضعوها قربها ، لتقربهم إلى الله زلفى ، لذلك فدعوة التوحيد تعني القضاء على الشرك ، وتطهر الكعبة ومكة من هذه الأصنام ، وهذا يعني قطع علاقة العرب بمكة ، يتبعه عزوفهم عن المجيء إليها للتجارة ، فتنتهي معاهدات الإيلاف التي عقدت مع قبائل العرب وغيرهم ، فيقطع شريان الحياة الرئيس في مكة ، وقد قالوها للرسول(ص): (وَقَالُوا ان نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إليه ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ

=٣٠٧/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٩/٤ ـ ١٨٢١.

أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)[1] ، هكذا كان يفكر المشركون ، فكيف يسمحوا لمحمد بتغيير كل شيء ألفوه في حياتهم ، لذلك أعلنوها حربا عليه لم تنته حتى فتحت مكة في العام الثامن للهجرة.

لذلك كان دخول السيدة خديجة(ع) وغيرها إلى الإسلام ، يعني مواجهة كل هذه الضغوط ، وتحمل كل النتائج التي قد يفرزها هذا الصراع ، فكانت شجاعة بإيمانها بزوجها صادقة في حبها له ، مستعدة للدفاع عنه ومؤازرته ، فأثّر دخولها إلى الإسلام في معنويات النبي(ص) ، وهو في مرحلة كان بأمس الحاجة إلى من يصدقه ، وكان أيمانها رفضا لعبادة الأصنام ، وتحديا للطبقية المكية التي قسمت المجتمع إلى قسمين ، قسم السادة والأشراف وقسم الفقراء الضعفاء سواء كانوا أحراراً أو عبيداً ، ولا شك ان السيدة خديجة(ع) كانت بحكم ثرائها ، وانتسابها إلى أسرة شريفة في مكة ، من المنتمين للطبقة الأولى ، لذلك كان دخولها في الإسلام ضربة لهذه الطبقية ، إذن لم يكن إسلامها مجرد تضامن مع زوجها ، الذي عرفته صادقا أمينا شجاعا ، بل لإيمانها بما جاء به من ربه ، ولمشاركته في ثورته على عقائد الشرك ، فكان إيمانها به في هذه المرحلة نبيا رسولا وليس زوجا فقط.

وكان الدور المحوري لها في هذه المرحلة ، يتلخص بتأمين وسائل الراحة والدعم لزوجها ، فبدلا من ان ترهقه بمتطلبات الحياة ، وتعارض دعوته خوفا على الاستقرار العائلي ، شجعته وقدمت له كل ما تملك من وسائل الدعم ، وهي بذلك تخالف طبيعة المرأة ، التي من عادتها إذا أحبت زوجها ، خافت عليه واعترضت على ما ينوي القيام به ، لكننا نلاحظ أنها على الرغم من حبها الكبير له ، لم تقف في طريقه وهي تعلم خطورة المسلك الذي سار فيه ، والسبب في ذلك ان إيمانها وحبها لله تعالى أعظم من أي حب ، لذلك نراها وقفت مع زوجها في دعوته.

ثم لم يمض وقت طويل حتى تكامل دخول بقية أسرة الرسول(ص) إلى الإسلام ،

---

١ ـ القرآن الكريم، سورة القصص ٥٧.

فأسلم ابن عمه علي بن أبي طالب[1]، الذي كان يعيش في بيت الرسول(ص) كأنه ابناً لهما، بعد ان أخذاه من أبي طالب طفلا صغيرا[2]، وأسلم زيد بن حارثة ربيبهما[3]، فكان هؤلاء الثلاثة مع الرسول(ص) يشكلون النواة الأولى للإسلام العظيم، الذي بدأ يجتذب الأتباع منذ أيامه الأولى، فسارع الكثير من أصدقاء محمد(ص) إلى الدخول فيه، فانتمى كل هؤلاء إلى الثورة على مجتمع الشرك وقيمه الفاسدة، وهم يعرفون جيدا خطورة هذا الانتماء، الذي يعني وضعهم بمواجهة غير متكافئة مع قوة المشركين، لكنهم اختاروا التصديق بمحمد (ص) وإتباع دعوته، لأنهم مؤمنين بالتغيير وضرورته، وقبلها مؤمنين بصدق محمد(ص) بحكم قربهم منه.

وبعد ذلك بدأ التحدي الأكبر، وهو إشعار المشركين بوجود دعوة سماوية، محمد الهاشمي(ص) هو نبيها المختار، وكانت أفضل وسيلة لتبليغها هو ممارسة أهم طقوسها، وهي الصلاة عند الكعبة المشرفة، المكان الذي تعده قريش مركز سلطتها الدينية والسياسية، وهو بالنسبة للدين الجديد بيتا لله ومركزا لتوحيده وعبادته، كما كان في عهد بانيه إبراهيم(ع)، لكن من يستطيع ان يتحدى قريشاً بهذه الصورة وفي هذا المكان، وهو لا يعرف ما قد يتعرض له، وما كان النبي(ص) يعرض أصحابه لهكذا خطر، فذهب بنفسه وتبعته زوجته المؤمنة بدعوته، ومعهم الفتى الهاشمي علي بن أبي طالب، الذي تربى في بيت الرسالة وفي كنف النبي(ص)، فقاموا يصلون عند الكعبة، وقريش تنظر مذهولة إلى هذا المنظر الذي لم تألفه من قبل، وهم غير أبهين بما قد تفعله قريش، فروى عفيف الكندي وهو أحد من شاهدوا هذه الصورة، كيف رآهم يصلون عندما جاء إلى مكة للتجارة: (جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس

---

١ - الصنعاني، المصنف، ٣٢٥/٥، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٨/١، البلاذري، انساب الأشراف، ٩٢/٢، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٨/٢، النسائي، الخصائص، ص٤٤، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣١٠/٢-٣١١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٢٠/٤.

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٩/١.

٣ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣١٦/٢ - ٣١٧.

بن عبد المطلب ، قال: فلما طلعت الشمس في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه ، قال: فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، وركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، ورفع الشاب رأسه فرفع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجدا معا ، فقلت: يا عباس أمر عظيم ، قال العباس: أتدري من هذا؟ فقلت: لا ، قال: هذا محمد بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري من هذا؟ فقلت: لا ، قال: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي ، أتدري من هذه المرأة خلفهما؟ قلت: لا ، قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي ، وهذا حدثني ان رب السماء أمره بهذا الدين الذي تراهم عليه ، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة)[1] ، وهذه الرواية تغنينا عن الكثير من الكلام والتعليق ، لأنها صورة واضحة وجلية على مدى إيمان السيدة خديجة(ع) ، واستعدادها لعمل أي شيء لنصرة دين الله ، والوقوف مناصرة مؤيدة لزوجها رسول السماء(ص).

وقد يرى بعضهم ان هذه الرواية تناقض الرأي السائد ، بأن هناك دعوة سرية استمرت لثلاث سنين ، ونحن نرى إنه ليس هناك تناقض بين الاثنين ، لأن ما أطلق عليه بالدعوة السرية ، هي الفترة التي لم يؤمر بها الرسول(ص) بدعوة الناس دعوة عامة ، لاسيما ن هذه الفترة شهدت دخول العديد من الصحابة إلى الإسلام ، إيمانا منهم بصدق محمد(ص) وما جاء به ، وقد تكون سرية بالنسبة للصحابة ، الذين

---

١ ـ النسائي، الخصائص، ص٤٥ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣١١/٢، ابن حنبل، مسند احمد، ٢٠٩/١، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧٦/٢٢ ـ ٣٧٧، ٢٢٧، ، ابن الجوزي، الوفا، ١٦٧/١ ـ ١٦٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ٩٤/٤، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٩/١، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٩٣/١، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢٢/٩، ابن حجر، الإصابة، ٤٨٧/٢، المجلسي، بحار الأنوار، ١٣/١٦، وذكرها البخاري في تاريخه لكنه لم يذكر الإمام علي(ع) معهم ٧٤/٧ ـ ٧٥، وذكرتها مصادر أخرى عن عبد الله بن مسعود(رض) الخوارزمي، المناقب، ص٢٠، ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ٣١٩/١.

كانوا يخافون على حياتهم من طغيان كبار المشركين ، لكنها على الأقل وبحسب الكثير من الروايات ، لم تكن كذلك للنبي(ص) وأسرته ، والدليل ان الوحي عندما أبطأ على النبي(ص) فترة من الزمن ، قال له المشركون لقد قلاك ربك ، فردهم الله سبحانه وتعالى بقوله: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)[1] ، وهذا يعني معرفتهم بالدعوة منذ بدايتها ، لاسيما إذا عرفنا ان المشركين كانوا غير مهتمين كثيرا لهذه الدعوة ، لأنها في البداية لم تهاجم عقائد الشرك ، فكانوا يقولون إذا رأوا النبي(ص): (إن غلام بني عبد المطلب هذا ليكلم من السماء)[2] . لكن هشام بن عروة نسب قول قد قلاك ربك للسيدة خديجة(ع) فقال: (لما أبطأ على رسول صلى الله عليه وسلم الوحي جزع من ذلك جزعا شديدا ، فقلت له لما رأيت من جزعه ، لقد قلاك ربك مما يرى من جزعك فأنزل الله:(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)[3] ، وهذا الأمر لا يمكن قبوله ، لأن السيدة خديجة(ع) وفي كل سيرتها لم يصدر منها ما يسيء للرسول(ص) ، فكيف والرواية تشير إلى أنها لم تكن مؤمنة به ، إذ تقول له قد قلاك ربك ، وهي أعرف بمقام النبي(ص) من ان تقابله بهذا الكلام المحبط ، بل بالعكس وكما اتفقت كل الروايات كانت تبحث عن كل ما يشعره بالسعادة والراحة ، وهذا القول كما قدمنا صدر من المشركين وليس منها ، فجاءت الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم[4].

---

١ ـ الطبري، جامع البيان، ٢٣١/٣ ، الطوسي، التبيان، ٣٦٩/١٠، الواحدي، أسباب النزول، ص٣٠١، الزمخشري، الكشاف، ٢٦٣/٤ ، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩٧/٢ ـ ٩٨، النسفي، تفسير النسفي، ٣٦٣/٤، ابن حيان، البحر المحيط، ٤٨٦/٤ ، السيوطي، الدر المنثور، ٣٦٠/٦.

٢ ـ الصنعاني، المصنف، ٣٢٥/٥، ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٩٩/١.

٣ ـ ابن اسحاق، السير والمغازي، ص١٣٥ ، الواحدي، أسباب النزول، ص٣٠١، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٣ ، السيوطي، الدر المنثور ، ٣٦٠/٦، وأوردها الطبري عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠٠/٢، وفي رواية ابن إسحاق ان الرسول(ص) بعد ان فتر عنه الوحي قال في نفسه(خشيت ان يكون قد قلاني وودعني)، ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٣٥.

٤ ـ الطبري، جامع البيان، ٢٣١/٣ ، الطوسي، التبيان، ٣٦٩/١٠، الواحدي، أسباب النزول، =

ثم استمرت الدعوة الإسلامية في اجتذاب العديد من الأتباع ، حتى جاء الأمر للرسول(ص) بأن يدعو أهله وأقربائه للدخول إلى الإسلام ، فنزلت الآية القرآنية: (وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ)[1] ، فأمر الرسول(ص) ابن عمه علي(ع) بدعوة بني عبد المطلب إلى وليمة في بيت النبي(ص) ، الهدف منها عرض دعوته عليهم ، على أمل ان يؤمنوا بما جاء به ، ويساندوه ويمنعوه من اعتداآت المشركين ، لاسيما ان قريشاً كلها كانت تهاب بني هاشم ، ولا تستطيع ان تعتدي على محمد(ص) ما دام تحت حمايتها ، وتضمنت هذه الدعوة هدفين مهمين ، أولهما يتعلق بطبيعة الإنسان في حبه لأهله ، لذلك يحاول ان يقدم لهم كل ما ينفعهم ، فكان النبي(ص) حريصا كل الحرص على إنقاذ أهله ، وهدايتهم إلى الإسلام ، والهدف الآخر هو معرفة موقف بني هاشم من دعوته ، ومدى استعدادهم للدفاع عنه في حال تعرض لاعتداء ، وقد حقق الهدفين معها ، فقد عرفت قريش ان بني هاشم لن يتركوا محمد(ص) ، حتى مع بقاء الكثير منهم على الشرك ، كذلك دخل بعض الهاشميين إلى الإسلام.

وكانت السيدة خديجة(ع) في هذه المدة في بيت النبي(ص) ، مسؤوليتها هي تهيئة الأجواء لإنجاح هذا اللقاء ، وإعداد الطعام للضيوف[2] ، الذين كان عددهم كبيرا ، وهذا الأمر يحتاج إلى جهد ، وربما تكون قد استعانت ببعض قريباتها ، وهي بهذا تشاطر الرسول(ص) مسؤولية الرسالة ، فتعينه على كل أموره ، وهذه المرأة هي خديجة بنت خويلد السيدة التاجرة الشريفة ، التي تنتمي لطبقة التجار الأثرياء ، ارتضت هذا الدور وهي قانعة فرحة ، وتركت مكانتها الاجتماعية السابقة ، وكل

=ص٣٠١، الزمخشري، الكشاف، ٢٦٣/٤، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٩٧/٢ ـ ٩٨، النسفي، تفسير النسفي، ٣٦٣/٤، ابن حيان، البحر المحيط، ٤٨٦/٤، السيوطي، الدر المنثور، ٣٦٠/٦.

١ ـ سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٨٧/١.

ذلك حبا في الله ورسوله ونصرة لدين الله ، وهي مستعدة للقيام بأي شيء من أجل زوجها ، وهذا ما أثبتته أحداث البعثة النبوية ، فعندما جاء امر الله تعالى الإلهي بالجهر بالدعوة: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[١] ، بدأ الرسول(ص) بدعوة أهل مكة بصورة علنية للدخول في الإسلام ، وتبع ذلك نزول الآيات القرآنية التي تشدد على التوحيد ، وتسفه عقائد المشركين وتهاجم معبوداتهم الوثنية ، فابتدأ عداء المشركين له وللمسلمين ، واستخدموا شتى أساليب الضغط من أجل ثنيهم عن الدعوة الجديدة ، التي يرون فيها تهديدا لزعامتهم ومكانتهم الاجتماعية والدينية ، علاوة على إنهم كانوا يرون فيها تهديدا لاقتصادهم ، فأسرفوا في عدائهم للمسلمين فعذبوهم وقاطعوهم وحاربوهم نفسيا[٢].

وكانت السيدة خديجة(ع) في خضم هذه الحرب ، مقاتلة مجاهدة كما هو حال المسلمين ، تنتظر زوجها رسول الله(ص) ، عندما يعود حزينا مهموما من عناد المشركين ، لتسليه وترفه عنه وتواسيه وتخفف عنه آلامه: فكان: (لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك ، إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع اليها ، تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس)[٣] ، لقد كانت صدرا حنونا يضع الرسول(ص) رأسه عليه ، ويفضي له همومه وأحزانه ، فيسمع كلمات الإيمان واليقين ، في مرحلة صعبة للغاية مرت بها الدعوة الإسلامية ، إذ جمع المشركون كل طاقاتهم من أجل تدمير هذه الدعوة ، فيعود فرحا مسرورا على رزق الله الذي ساقه اليه ، بهذه المرأة القوية المؤمنة التي صارت له بمثابة الدنيا كلها ، هكذا كانت سيدتنا خديجة بإيمانها بالله ، وبحبها لرسوله(ص) وبقوتها المعهودة.

---

١ ـ سورة الحجر، الآية ٩٤.

٢ ـ ابن اسحاق، السير والمغازي، ص١٩٠ وما بعدها.

٣ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٤/١ ، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٢٠/٤ ، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٦١/١ ، الكلاعي، الاكتفاء، ٢٧٠/١ ، النويري، نهاية الأرب، ٢١٧/١٨ ، ابن حجر، الإصابة، ٢٨١/٤ ، المكي، سمط النجوم، ٣٦٨/١ ، المجلسي، بحار الأنوار، ١١/١٦.

وعلى هذا الحال استمرت الدعوة الإسلامية بين ضغط المشركين ، وقوة إيمان المسلمين بعدالة قضيتهم ، فكلما أزداد الضغط كلما أزداد أتباع الدعوة الجديدة ، ومن أجل ذلك أمر الرسول(ص) أتباعه بالهجرة للحبشة ، بعد ان أزداد الضغط عليهم ، فخرج من أحب الهجرة إلى هناك ، إذ نالوا استقرارهم عند ملكها النجاشي ، وفشلت كل محاولات المشركين لردهم[1] ، وذهبت مع هؤلاء المهاجرين رقية ابنة الرسول(ص) ، مهاجرة مع زوجها عثمان(رض) ، فتحملت السيدة خديجة(ع) فراق ابنتها ، إلى تلك الأرض البعيدة التي لم تعرفها إلا في حكايات التجار ، لكن كل ذلك كان هينا عليها ، طالما يكون الهدف منه نصرة الإسلام ، وهي لم تشعر يوما بالندم على ما عملت ، لأنها جزء من رسالة سماوية ، أختارها الله لصلاح البشر على مر العصور ، فكانت مختارة لتكون زوجة الرسول الخاتم(ص) ، تعاني معه وتبذل كل إمكانياتها من أجله ، فكانت في كل حياتها مضحية ، لم تنل من هذه الدنيا شيئا يذكر ، سوى إيمانها بالله الذي ارتفع بها لتكون سيدة النساء ، الموعودة بجنة الخلد.

فكانت نهاية حياتها الجزء الأخير من جهادها في الإسلام ، إذ فرض المشركون في السنة السابعة للهجرة حصارا على الرسول(ص) ، ومن يقف معه ويحميه من بني هاشم وغيرهم ، بعد ان عرفوا ان أبا طالب لا يسلمه لهم ، فقاطعوهم جميعهم مسلمهم وكافرهم ، لا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم ، ولا يتعاملون معهم أي تعامل حتى يسلموا رسول الله(ص) ليقتلوه[2] ، ودخلت السيدة خديجة مع المحاصرين في شعب أبي طالب ، ووضعت نفسها تحت هذا الحصار الشديد ، فعانت ما يعانون وجاعت معهم ، وأنفقت أموالها في سبيل التخفيف من وطأة هذا الحصار ، وكانت تحاول كسر هذا الحصار ما استطاعت ، فأخذت ترسل لأقاربها من أجل إمداد المحاصرين سرا[3] ، فكان ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد يدخل المساعدات

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٨٠/١.

٢ ـ ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٢٠٨/١ ـ ٢٠٩ ، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٥/٢.

٣ ـ حيدر، مثلهن الأعلى خديجة، ص٧٢.

إلى بني هاشم ، وفي مرة لقيه أبو جهل وهو يحاول إدخال ناقة محملة بالقمح إلى الشعب ، فمنعه لكن أبا البختري بن هشام بن أبي الحارث أفشل محاولة أبي جهل[1] ، وفي رواية أخرى ان السيدة خديجة رضي الله عنها أرسلت إلى ابن عمها زمعة بن الأسود تشكو أبا جهل ، لأنه كان يمنعها من شراء ما تحتاج إليه من طعام فزجره زمعة[2] ، وكان أبو البختري ممن يدخلون الطعام على بني هاشم[3] ، واستمرت هذه العائلة ترسل الطعام إليها طيلة الحصار[4]. وكان لأسرتها أثر كبير في كسر الحصار بعد مضي ثلاث سنين[5] ، إذ قامت حركة هدفها إنهاء هذا الحصار تزعمها خمسة أشخاص ممن ولدتهم نساء من بني هاشم ، اثنان منهم من أبناء عمومة السيدة خديجة(ع) ، وهما أبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود[6] ، وتزامنت هذه الحركة مع مجيء الوحي لرسول الله(ص) يعلمه ان الله تعالى سلط حشرة الأرضة على الصحيفة فأكلتها إلا اسم الله تعالى[7] ، لكن السيدة خديجة لم تعمر طويلا بعد انتهاء المقاطعة إذ حل عام الحزن ، في السنة العاشرة للبعثة ، حيث توفي شخصان لهما أكبر الأثر في حياة الرسول(ص) وهما أبو طالب وخديجة(ع)[8].

وهكذا كانت حياة السيدة خديجة(ع) مليئة بالمحطات البطولية ، فعاشت مع الرسول(ص) زوجة مثالية ، أنجبت له جميع أبنائه ، وتحملت من أجله كل

---

١ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/٢ ـ٥، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٣٦/٢، أبو نعيم، دلائل النبوة، ٢٦٢/١ ـ ٢٦٣، ابن الأثير، الكامل، ٨٨/٢.

٢ ـ البلاذري، انساب الأشراف، ٢٣٥/١.

٣ ـ ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ٣٥٤/١، المقريزي، إمتاع الإسماع، ٢٥/١ ـ ٢٦.

٤ ـ ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ٤٥١/١.

٥ ـ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٠٩/١، ابن عبد البر، الدرر، ص٥٧.

٦ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧/٢ ـ ١٨، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٤١/٢ ـ ٢٤٢.

٧ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ١٩/٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢١٠/١.

٨ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٦/٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢١٢/١، البلاذري، انساب الأشراف، ٢٩/٢، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٤٣/٢.

الصعوبات ، فساندته بنفسها ، ووضعت أموالها في خدمته وخدمة المسلمين ، وظاهرته بعشيرتها ، فتركت الغنى والترف والجاه ، وارتضت الفقر والحرمان والنبذ والمقاطعة ، وتركت مكانتها في أسرتها ، ودخلت مع بني هاشم في شعبهم ، ولم تكن هذه الأشياء تهمها لقد ذابت وانصهرت بحب الله ورسوله ، فأي مكانة وأي عز وجاه يمكن ان يوازي عندها طاعة الله ورسوله ، لقد كانت تستعذب العذاب مع زوجها ، الذي أحبته رجلاً قبل ان يكون نبياً ، فكيف الحال وقد أصبح نبياً ورسولاً.

وفاة السيدة خديجة(ع)

عند الحديث عن وفاة السيدة خديجة(ص) ، لا بد لنا ان نتذكر حال الرسول(ص) في تلك المدة الحرجة ، فقد توفي عمه أبو طالب الذي كان يحميه ويمنعه من كل اعتداء ، فأصبح لوحده يواجه قوة المشركين مجردا من الحماية ، ثم فقد زوجته وحبيبته السيدة خديجة(ع) ، تلك التي كانت زيادة على كونها زوجته وأم أولاده ، وزيرة صدق على الإسلام[1] ، فيشاورها ويتحدث معها ويشكو لها ، فتريحه بكلمات الإيمان التي كانت تطلقها ، وفي هذه المرحلة بالذات فقدها ، وبقي وحيدا الا من رحمة ربه ، ورحلت هي إلى حيث الخالق العظيم ، ليريها ما وعدها حقا في حياة أبدية خالدة نعيمها لا يفنى ، مكافأة لما قدمته للإسلام ، وثوابا على مسيرتها الصادقة ومؤازرتها الرسول(ص) ، التي وصلت من خلالها إلى حد كبير من الجهد والصبر المضني ، وكان آخر حلقاته ما شهدته مع الرسول(ص) وبني هاشم في محنة المقاطعة ، وعزلهم في الشعب[2] ، فأضاف فقدانها هموما وأحزانا إلى الرسول(ص) ، فغابت عنه بشاشة الحياة وبهجتها بوفاة السيدة خديجة أم أولاده.

فدخل عليها الرسول(ص) في لحظات حياتها الأخيرة ، لكي يراها قبل ان

---

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٦/٢، الطبرسي، أعلام الورى، ص٦٣، الكلاعي، الاكتفاء، ٣٩٠/١، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤٠/١.

٢ - الصفار، زوجات النبي الطاهرات، ص٥٥٥.

تلتحق بالدار الآخرة ، فقال لها: (بالكره مني ما رأى ولعل الله ان يجعل في الكره خيرا)[1] ، نعم إنه يريد ان يودع شريكة حياته ، وهو بالتأكيد حزين على فراقها ، لأنها رفيقته الصديقة الطاهرة ، التي آمنت به في حين كذبه الآخرون[2] ، ووصل هذا الحزن إلى درجة إنه خشي عليه[3] ، لكن هذا هو أمر الله على بني البشر ، والرسول(ص) أعرف الناس بهذا الأمر ، وهي سنة الحياة الطبيعية.

وبعد ان توفيت السيدة خديجة(ع) غسلتها أم أيمن وأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب[4] ، وأخرجت الجنازة إلى الحجون[5] ، ونزل الرسول(ص) في قبرها[6].

وعلى هذا الشكل رحلت السيدة خديجة(ع) ، بعد ان تركت لنا فضائل لا تفنى بمرور الوقت ، لتنتقل من عالم الدنيا الزائل إلى العالم العلوي الأبدي ، والسؤال هل ماتت خديجة حقا ، فهي وأن رحلت من هذه الدنيا ، لكنها بقيت حية في قلب وعقل زوجها الرسول(ص) ، فكما تذكر الروايات كان لا يسير إلا وهو يتذكرها ، ويتذكر حياتها معه التي دامت لربع قرن ، ولم تشاركها امرأة أخرى في مكانتها ، فتزوج العديد

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٨/٢، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧٦/٢٢، الدميري، حياة الحيوان، ٣٨٩/٢، المتقي الهندي، كنز العمال، ١٦/١٣، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٣٠١/١.

٢ - دينيه، محمد رسول الله، ص١٥٣.

٣ - الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧٦/٢٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٥/٢، ابن حجر، الإصابة، ٢٨٢/٤.

٤ - البلاذري، انساب الأشراف، ٤٠٦/١، أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨.

٥ - الحجون من مقابر أهل مكة وفيها قبر قصي بن كلاب تقع في أعلى مكة في الجهة الشمالية الغربية من الكعبة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٢٥/٢، الفاسي، شفاء الغرام، ٧٣/٢.

٦ - البلاذري، انساب الأشراف، ٤٠٦/١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٨/٢، ابن حجر، الإصابة، ٢٨٣/٢، المجلسي، بحار الأنوار، ١٣/١٦.

من النساء لكن مكانها في قلبه لم يملأه أحد ، وظل وفيا لها حتى بعد وفاتها[1].

أما تاريخ وفاتها كما قدمنا فهو في السنة العاشرة للبعثة ، أي قبل الهجرة بثلاث سنين كما أجمع المؤرخون[2] ، وذكر ابن إسحاق أنها توفيت بعد ان صلت الفريضة مع الرسول(ص) ، أي بعد ان أسري برسول الله(ص)[3] ، فيما روى الزهري إنها توفيت قبل ان تفرض الصلاة[4] ، ومن الأمور المعروفة ان الصلاة فرضت عندما أسري برسول الله إلى بيت المقدس وأعرج به إلى السماء[5].

ونحن نرجح رواية ابن اسحاق في كونها صلت الفريضة مع الرسول(ص) ، مستندين على الكثير من الروايات ، التي ذكرت ان الإسراء حدث قبل وفاة السيدة خديجة(ع) ، ففي رواية عن الزهري أنه كان في السنة الخامسة للبعثة[6] ، وذكر غيره أنه كان بعد فترة قصيرة من البعثة[7] ، وفي رواية أوردها ابن كثير نقلا عن ابن عساكر أنه كان في أوائل البعثة[8] ، كذلك روي عن الإمام علي(ع) ان الإسراء كان في السنة الثالثة للبعثة[9] ، روي

---

١ - بنت الشاطىء، أزواج النبي، ص٤٣.

٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٨/٨ ، ابن بكار ، منتخب من كتاب أزواج النبي ، ص٤٨ ، البلاذري، انساب الأشراف، ٤٠٦/١ ، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٤٣/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٢٥/٤ ، الكلاعي، الاكتفاء، ٣٩٠/١، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤٠/١، ابن حجر، الإصابة، ٢٨٣/٤.

٣ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣٩/١.

٤ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ١٨/٨.

٥ - المقريزي، إمتاع الإسماع، ٢٩/١.

٦ - ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١٤٨/١ ، المقريزي، إمتاع الإسماع، ٢٩/١ ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٣٠٧/١.

٧ - مغلطاي، سيرة مغلطاي، ص٢٧.

٨ - ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٠/٣.

٩ - المجلسي، بحار الأنوار، ٣٧٩/١٨.

عن ابن عباس ان الإسراء كان بعد البعثة بسنتين[1] ، وروى مجموعة من الصحابة منهم ابن عباس وسعد بن أبي وقاص وعمر بن الخطاب والسيدة عائشة(رض) ان الإسراء كان قبل وفاة السيدة خديجة(ع)[2] ، وأوردت بعض المصادر ان الإسراء كان قبل وفاة أبي طالب ، ففي رواية ان أبا طالب افتقد الرسول(ص) في ليلة الإسراء ، فلم يزل يبحث عنه حتى وجده فذهب إلى المسجد ، ومعه الهاشميون فسل سيفه عند الحجر ، وأمر الهاشميين بإظهار السيوف التي معهم ، ثم ألتفت إلى قريش وقال: لو لم أره ما بقي منكم عين تطرف ، فقالت قريش: لقد ركبت منا عظيما[3] ، وأبو طالب توفي في السنة العاشرة من البعثة[4] ، وروي عن عمر بن الخطاب(رض) أنه قال: ان رسول الله(ص) قال: (ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها)[5].

وهناك روايات أخرى تذهب إلى نفس المعنى المتقدم ، ففي رواية عن الإمام الباقر(ع) ان جبرئيل قال له عند إسرائه: (حاجتي ان تقرأ على خديجة من الله ومني السلام)[6] ، وفي رواية أوردها البخاري في صحيحه ان قوله تعالى في سورة الإسراء: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ

---

١ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢٦/٢، ابن شهر آشوب، المناقب، ١٧٧/١، المجلسي، بحار الأنوار، ٣١٩/١٨.

٢ - الطبراني، المعجم الكبير، ٣٣٤/٢٢، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨٧/٥، محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٦، الذهبي، ميزان الإعتدال، ٢٩٧/٢، الزرندي الحنفي، نظم درر السمطين، ص١٧٦، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٠٢/٩، الصفوري الشافعي، نزهة المجالس، ١٧٩/٢، القسطلاني، المواهب اللدنية، ٢٩/٢، السكتواري، محاضرة الأوائل، ص٨٨.

٣ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٢١/٢، ابن شهر آشوب، المناقب، ١٨٠/١، المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨٤/١٨.

٤ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٣/٢.

٥ - الديار بكري، تاريخ الخميس، ٣١٥/١.

٦ - المجلسي، بحار الأنوار، ٣٨٥/١٨.

بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)[1] ، قد نزلت بمكة ورسول الله مخفت(كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ، ومن أنزله ومن جاء به)[2] ، والإخفات كما هو معروف كان في أوائل البعثة[3] ، وفي رواية ان سورة النجم التي يذكرون ان آياتها تدل على المعراج ، قد نزلت في أوائل البعثة ، حيث نزلت بعد اثنين او ثلاث وعشرين سورة ونزل بعدها أربعة وستون سورة في مكة[4] ، وأورد الصنعاني رواية عن الزهري في الإسراء نصها: (وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفارا ، فشاقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوه ، فلما أسري به إلى المسجد الأقصى ، أصبح النبي يخبر الناس أنه قد أسري به ، فارتد ناس ممن كان يصدقه ، وآمن به وفتنوا وكذبوا به)[5]. وكل هذه الدلائل تشير إلى ان السيدة خديجة توفيت بعد الإسراء.

أحاديث رسول الله(ص) فيها

روت كتب الحديث الكثير من الأحاديث التي قالها الرسول(ص) في السيدة خديجة(ع) ، سواء في حياتها أو بعد وفاتها:

الأول: تبشيرها ببيت في الجنة:

أ - روي عن السيدة عائشة(رض) أنها قالت: (ما غرت على أحد غيرتي على خديجة ، ولقد هلكت قبل ان يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد أمر ان يبشرها ببيت من قصب في الجنة)[6].

---

١ - سورة الإسراء، الآية ١١٠.

٢ - السيوطي، الدر المنثور، ١٣٦/٤.

٣ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٩/١، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١١٧/١.

٤ - الزركشي، البرهان، ١٩٣/١.

٥ - الصنعاني، المصنف، ٣٢٨/٥.

٦ - البخاري، صحيح البخاري، ٤٨/٥، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٦٦/٥، البلاذري، انساب الأشراف، ٤١٢/١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٣/٢، ابن حجر، الإصابة، ٢٨٢/٤.

ب ـ عن أبي هريرة ، قال: (أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[1].

ج ـ عن عبد الله بن جعفر (رض) ، قال: قال النبي(ص): (أمرت ان أبشر خديجة بنت خويلد ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[2].

وقد جاء في الأحاديث المتقدمة ان الله بشرها ببيت في الجنة ، وهو معنى لطيف وجميل إذ أنها كانت ربة بيت في الإسلام ، ولم يكن هناك بيت كل أفراده مسلمين في تلك الفترة إلا بيتها ، وهي فضيلة لم يشاركها فيها أحد[3] ، وهي أول امرأة بنى بها الرسول(ص) ، كما ان أهل بيت النبوة مرجعهم لها ، وقد ذكرهم الله في كتابه بالقول: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[4].

كما ورد لفظ القصب والصخب في الأحاديث المتقدمة ، ومعنى القصب اللؤلؤ المجوف[5] ، وذكر بعض المؤرخين ان إيراده هنا ، بسبب أنها حازت قصب السبق في

---

١ - البخاري، صحيح البخاري، ٤٨/٥، مسلم، الجامع الصحيح، ١٣٣/٧، المتقي الهندي، كنز العمال، ١١٥/٣، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٩/٤.

٢ - ابن حنبل، مسند احمد، ٢٠٥/١، الطبراني، المعجم الكبير، ١٠/٢٣، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢٣/٩، المجلسي، بحار الأنوار، ٧/٦، وينظر ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٥/١، النويري، نهاية الأرب، ٢٧٩/١٨، ونقلت بعض المصادر هذا الحديث بصيغ وأسانيد أخرى، الصنعاني، المصنف، ٣٣٤/٥، الأزرقي، أخبار مكة، ٣٠٤/٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤١/١، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٨١/١.

٣ - السهيلي، الروض الأنف، ٢٧٨/١، ابن حجر، فتح الباري، ١٧١/٧، الدمشقي، أزواج النبي، ص٦٧.

٤ ـ سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

٥ ـ ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٥/١، النويري، نهاية الأرب، ٢٧٩/١٨، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢٣/٩.

الإيمان والإسلام[1] ، والصخب معناه ان الله تعالى بشرها بخلو بيتها في الجنة من أي ضوضاء ، لأنها وفرت لرسول الله(ص) الهدوء في بيتها ، ولم تجعله يرفع صوته ، وتابعته في الإسلام دون أي معارضة ، أما النصب فهو التعب ، وهو تعويض عما قاسته من تعب ، بعد ان ربت أبناء النبي(ص) وتكفلت أعمال بيته ، وشاركته في الدعوة ، وتحملت معه كل الضغوط والآلام ، فخديجة(ع) كما جعلت بيتها في الدنيا جنة لا صخب فيها ولا نصب ، فإن الجزاء من جنس العمل ، جعل الله تعالى بيتها في الجنة لا صخب فيه ولا نصب ، فهي عاشت معه خمس وعشرين سنة جعلت فيه بيتها جنة وارفة الظلال ، فلا ضجيج ولا صخب ، ولا نصب يصيب رسول الله(ص) في بيتها ، وإنما هي تحمل عنه متاعب الحياة الزوجية وهمومها ، فما ذلك الدور الذي قامت به خديجة(ع) في حياة رسول الله ليكون أسعد زوج ، فلما أكرمه الله بالنبوة ، كانت أشد حرصاً عن ذي قبل على تحقيق الجو الملائم لتلك المرحلة الخطيرة ، فزادت من حفاوتها برسول الله (ص) ووفرت له السكينة اللازمة لتنزيل الوحي ، ولقاء الملائكة ، فأعطاها الله بدلاً من بيتها في الدنيا ، بيتاً في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، وأثابها بدلاً من الخمس والعشرين سنة نعيماً أبدياً ، وبدلاً من بيتها الذي من الطين والحجارة بيتاً من قصب من لؤلؤ مجوف ، وبدلاً من السكون والسكينة في بيتها الدنيوي بيتاً لا صخب فيه ولا نصب.

الثاني : سلام الله عليها على لسان جبرئيل.

أ ـ روي عن أبي سعيد الخدري(رض): (ان رسول الله(ص) قال: ان جبرئيل(ع) قال ليلة أسري بي حين رجعت قلت يا جبرئيل هل لك حاجة ، قال: حاجتي ان تقرأ خديجة من الله ومني السلام وحدثنا على ذلك إنها قالت حين لقاها نبي الله (ص) فقال لها الذي قال جبرئيل ، فقالت: ان الله

---

١ ـ السهيلي، الروض الأنف، ٢٧٩/١ ، الدمشقي، أزواج النبي، ص٦٦.

هو السلام ومنه السلام وإليه السلام وعلى جبرئيل السلام)[1].

ب - روي عن أبي هريرة قوله: (أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرئ خديجة من الله ومني السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)[2].

الثالث: ان السيدة خديجة(ع) سيدة النساء.

أ - عن عبد الله بن جعفر عن الإمام علي(ع) قال: (قال رسول الله(ص) خير نسائها خديجة وخير نسائها مريم)[3].

ب - روي عن عبد الله بن عباس(رض) قال: (خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط، فقال: أتدرون ما هذا، فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون)[4].

---

١ - المجلسي، بحار الأنوار، ٧/١٦، وأوردت المصادر هذا الحديث بغير هذا السند، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٢٥/١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٢١/٤، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٤/٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٥/٢، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٨٠/١.

٢ - النسائي، السنن الكبرى، ٩٤/٥.

٣ - البخاري، صحيح البخاري، ٣٠٠/٤، مسلم، الجامع الصحيح، ١٣٢/٧، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٦٧/٥، ابن حنبل، مسند احمد، ٨٤/١، المتقي الهندي، كنز العمال، ١١٦/٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٧/١٦، وينظر أيضا البلاذري، انساب الأشراف، ٤٠٦/١، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٢٠/٤، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٧، الأربلي، كشف الغمة، ١٢٩/٢.

٤ - ابن حنبل، مسند احمد، ٢٩٣/١، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٣٦/١١، الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢٣/٩، المجلسي، بحار الأنوار، ٢/١٦، ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٩، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٢١/٤، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٧، النويري، نهاية الأرب، ١٧٢/٨، القسطلاني، المواهب اللدنية، ٢٠٢/١، الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢٦٥/١، المكي، سمط النجوم، ٣٦٨/١.

الرابع: كثرة ذكر الرسول(ص) لها والثناء عليها.

أ ـ عن هشام بن عروة عن ابيه عن السيدة عائشة(رض) ، قالت: (ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، كما غرت على خديجة ، وما ان أكون قد أدركتها ، وما ذلك إلا لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وإنه ليذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن)[1].

ب ـ روي عن السيدة عائشة(رض) إنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها ، واستغفار لها ، فذكرها يوما فاحتملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن ، فرأيته غضب غضبا شديدا أسقط في جلدي ، وقلت في نفسي: اللهم أنك ان أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما لقيت ، قال: كيف قلت والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس ، وآوتني إذ رفضني الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، ورزقت منها الولد إذ حرمتموه مني ، فغدا وراح علي بها شهرا)[2].

ج ـ عن هشام بن عروة عن ابيه عن السيدة عائشة(رض): (ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها ، ولكن كان النبي يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها إلى أعضاء ، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ، فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد)[3].

---

١ ـ البخاري، صحيح البخاري، ٤٨/٥، الترمذي، سنن الترمذي، ٣٦٦/٥، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٢٣/٤، النويري، نهاية الأرب، ١٧٢/١٨.

٢ ـ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢٤/٩، المتقي الهندي، كنز العمال، ٦٧/١٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٨/١٦، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨٢٤/٤، السهيلي، الروض الأنف، ٢٧٧/١ ـ ٢٧٨، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٨/٢، محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٥، الأربلي، كشف الغمة، ١٣٠/٢ ـ ١٣١، النويري، نهاية الأرب، ١٧٢/٨، ابن حجر، الإصابة، ٢٨٣/٤.

٣ ـ البخاري، صحيح البخاري، ٤٨/٥، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٨/٢.

د . روي عن السيدة عائشة (رض) أنها قالت: (استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك ، فقال: اللهم هالة ، قالت: فغرت ، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هكذا وقد أبدلك الله خير منها)[1].

وهذه الأحاديث التي نقلناها ليست كل ما قاله الرسول(ص) فيها ، بل هناك أحاديث أخرى نقلتها كتب السيرة ، وقد ذكرناها في سياق حديثنا عن سيرتها ، كذلك ليست بالضرورة تعبر عن مدى حب الرسول(ص) لها ومكانتها عنده ، وهناك رواية نقلتها المصادر عن الرسول(ص) تعبر عن هذا الحب العميق: (جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لها: من أنت؟ فقالت: جثامة المزنية ، قال: بل أنت حسانة المزنية ، كيف أنتم ، كيف حالكم ، كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فقال: يا عائشة أنها كانت تأتينا زمان خديجة ، وأن حسن العهد من الإيمان)[2] ، وفي رواية ان التي دخلت عليه امرأة اسمها(ام أزفر) ماشطة خديجة[3]. وهذه الرواية إذا أضيفت إلى روايات أخرى مثل رواية قلادة ابنته زينب ، تعبر لنا عن مدى تعلق الرسول(ص) بذكراها ، ومقدار وفاءه لها حتى بعد وفاتها.

ونقلت المصادر التاريخية ان الرسول(ص) عندما دخل مكة في العام الثامن للهجرة ، أمر الزبير بن العوام(رض) ان يضع الراية بأعلى مكة ، عند الحجون حيث مقابر قريش ، وقال له: (لا تبرح حيث أمرتك ان تعزز رايتي حتى آتيك) ، فلما وصلت الخيل إلى الحجون قال له العباس بن عبد المطلب: (يأبا عبد الله ها هنا

---

١ - البخاري، صحيح البخاري، ٤٨/٥ ، مسلم، الجامع الصحيح، ١٣٤/٧.

٢ - الطبراني، المعجم الكبير، ١٤/٢٣ ، المجلسي، بحار الأنوار، ٨/١٦، وينظر ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤٩ ، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ١٥/٢ ، البلاذري، انساب الأشراف، ٩٨/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ٦٤/٧، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦٥/٢، المكي، سمط النجوم، ٣٦٩/١.

٣ - ابن بكار، منتخب من كتاب أزواج النبي، ص٤١ ، ابن الجوزي، الوفا، ٦٤٥/١ ـ ٦٤٦.

أمرك رسول الله(ص) ان تركز الراية)[1]. فهناك في الحجون حيث ترقد السيدة خديجة(ع) ، كان الرسول(ص) يشرف على قيادة معركة الفتح[2] ، وهذه أبلغ دلالة في ان السيدة خديجة لا زالت حية في ذاكرته ، فكأنه كان يريد القول ان هذا الدين الذي نشأ في بيتك يا خديجة(ع) ، مفردا غريبا أتباعه معدودون ، أصبح اليوم عزيزا قويا يتبعه الآلاف ، وكلهم يقولون بلسان وقلب واحد لا اله الا الله محمد رسول الله ، اليوم دخل الرسول(ص) إلى مكة التي طرده أهلها منها ، ففارق دار طفولته ونشأته وشبابه ، الأرض التي أحبها وتعلق بها ، مكة التي تزوج خديجة فيها ، وشهدت ولادة أبنائه ، مكة التي ضمت قبر حبيبته خديجة(ع) ، لكنه رجع إليها بعد ان اعزه الله ونصره ، وأذل أعداءه وهزمهم ، فهنيئا لك يا خديجة هذه المكانة وهذا الحب من خاتم الأنبياء ، فسلام الله عليك يا سيدة النساء.

---

١ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٥٥ ـ ٥٧.

٢ - عمر، أم المؤمنين خديجة(ع)، ص٤٣١.

الخاتمة

في ختام بحثنا المتواضع هذا بقي لنا ان نذكر أهم النتائج التي توصلنا اليها ، من خلال دراسة هذه المواضيع في السيرة النبوية ، ففي البداية عرفنا ان كل الروايات التي أرادت ان تقلل من منزلة الرسول(ص) ، التي استندت على كونه شخصاً مغموراً في مكة ، هي روايات غير جديرة بالاهتمام وضعيفة ، وقد تكون موضوعة وقصدها الإساءة للرسول(ص) ، لأن ما سطرته أسرة الرسول(ص) قبل الإسلام من مكارم الأخلاق وجميل الأفعال كان مفخرة على مر التاريخ ، فلم تستطع أية قبيلة ان تدانيهم فضلا عن ان تساويهم ، وكذا الحال مع أسرة السيدة خديجة(ع) إذ كانت من الأسر الشريفة والمعروفة في مكة قبل الإسلام.

ودرس البحث مسألة عمر السيدة خديجة(ع) وتاريخ ولادتها ، وتوصل إلى ان عمرها عند الزواج لم يكن أربعين عاما ، بل كان ثمانية وعشرين عاما ، ومنشأ هذا الرأي السائد هو رواية مفردة ، جاءت عن طريق حكيم بن حزام الاسدي.

ناقش البحث حياة السيدة خديجة قبل الرسول(ص) ، ودرس مسألة زواجها برجلين وإنجاب مجموعة من الأبناء ، وتوصل إلى ان هذه المسألة غير مقبولة في كثير من جوانبها ، لكنه لم تكن لديه أدلة قوية على نفي هذا الزواج ، أو وجود هؤلاء الأبناء ، واكتفى بإثارة مجموعة من الشكوك ، وترك مسألة الجزم في هذا الموضوع ، ثم حاول البحث تقصي مصادر أموال السيدة خديجة(ع) ، وتوصل إلى أنها لم ترثها من زوجيها المزعومين ، بل عن طريق أسرتها وقامت هي بتنمية هذه الأموال ، ثم ناقش البحث مساهمة هذه الأموال في أيجاد الاستقرار والراحة للرسول(ص) ،

وتوصل إلى أنها كانت أحد العوامل الرئيسية في نجاح الدعوة الإسلامية ، لكنها في الوقت نفسه لم تكن هي الدافع لزواج الرسول(ص) من السيدة خديجة(ع) ، كما أثبتنا ذلك في دراستنا.

درس البحث مسألة مهمة وهي لقاء الرسول(ص) بالرهبان النصارى والأحبار اليهود في مختلف مراحل حياته ، وتوصل إلى ان الغالبية العظمى من الروايات التي امتلأت بها كتب السيرة والتاريخ ، هي مجرد مبالغات لا أساس لها من الصحة ، أخرجت المسألة من أي منطق عقلي ، حاول رواتها إثبات نبوة النبي(ص) عن طريقها.

كما استطاع البحث التوصل إلى مواعيد تقريبية لولادة بناته وأبنائه ومقدار أعمارهم ، معتمدا على التحليل والمقارنة بين الروايات المختلفة.

درس البحث التوجهات الروحية للرسول(ص) ، وتوصل إلى أنها امتدت لأكثر من خمسة عشر عاما ، وشاركته السيدة خديجة(ع) في هذه التوجهات ، سواء في تقديمها العون والمساعدة له ، أو مشاركته في هذا التعبد ، وكان هذا الأمر نتيجة للتربية الدينية التي تلقتها في أسرتها ، وما وجدت عليه رسول الله(ص) من تعبد وتدين.

ناقشنا في البحث موضوع نزول الوحي على الرسول(ص) ، ووجدنا الكثير من الروايات تتحدث عن هذا الموضوع ، لذلك حاولنا التوصل إلى حقيقة هذا الموضوع من خلال مناقشة هذه الروايات ، وإبعاد الضعيف منها ، فوجدنا ان هناك رواية نقلتها المصادر عن عروة بن الزبير ، هي أقرب الروايات إلى الحقيقة ، لأنها خالية من المبالغات وتناسب قدسية النبي(ص) ، ورفضنا كل الروايات التي ذكرت ذهابها إلى ورقة وعداس وبحيرا وغيرهم من النصارى ، من أجل ان تسألهم عن الوحي الذي نزل على النبي(ص).

والأمر الأخير الذي أثبته البحث هو الأثر الكبير للسيدة خديجة(ع) في البعثة النبوية ، فقد كانت مؤمنة صادقة مدافعة عن الرسول(ص) والدعوة الإسلامية ، وكان

دورها أقوى من ألف رجل ، فقد استقبلت نبأ نزول الوحي على رسول الله(ص) بثبات ويقين ، وأعانته وكانت خير عون له في تلك الفترة ، وهيأت له الراحة النفسية ، بالرغم من المصاعب التي كان يلاقيها فوضعت نفسها في قلب المعاناة غير آبهه بهذه المعاناة حتى أثرت فيها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ. المصادر

ابن الاثير، عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني، (ت ٦٣٠ هـ، ١٢٣٢)،

١ ـ أسد الغابة، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٠.

٢ ـ الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٥. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ ،١٨٥٣م)

٣ ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت دت.

الأربلي، عبد الرحمن سنبط قينيو (ت ٧١٧هـ ، ١٣١٧م)

٤ ـ خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تصحيح مكي السيد جاسم، بغداد ١٩٦٤.

الأربلي، ابو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٢هـ، ١٢٩٣م)

٥ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٣٨٥.

الأزرقي، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد(ت٢٥٠هـ ، ٨٦٥م)

٦ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح محسن، ط٢، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة ١٩٦٥.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي(ت١٥١هـ ، ٧٦٨م)

٧ ـ السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر ١٩٧٨م.

الأصمعي، عبد الملك بن قريب(ت٢١٧ ـ ٨٣٢م)

٨ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٩.

البخاري، اسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت٢٥٦ هـ ، ٨٦٩م)

٩ ـ كتاب التاريخ الكبير، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٦٣.

١٠ ـ صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، القاهرة دت.

١١ ـ الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٨٩

ابن البطريق، يحيى بن الحسن الاسدي(ت نحو ٦٠٠هـ)،

١٢ ـ عمدة صحاح الأخبار، مطبعة جامعة المدرسين، قم ١٤٠٧هـ .

١٣ ـ عيون صحاح الأخبار في مناقب امام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٧هـ.

ابن بكار، الزبير (ت٢٥٦ هـ ، ٨٦٩م)
١٤ ـ الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد ,١٩٧٢
١٥ ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة العروبة، مصر,١٣٨١
١٦ ـ منتخب من كتاب أزواج النبي لمحمد بن الحسن بن زبالة، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية ١٩٨١.
البكري، عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت٤٨٧ هـ ، ١٠٩٤م)
١٧ ـ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٤٩.
البلاذري، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ ، ٩٠١)
١٨ ـ انساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر ١٩٥٩. الجزء الأول
١٩ ـ انساب الاشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت ١٩٧٤.الجزء الثاني
٢٠ ـ جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦، الجزء الثالث عشر.
٢١ ـ فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت ١٩٨٣. البيهقي، احمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ ، ١٠٥٦م)
٢٢ ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥.
٢٣ ـ السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت د ت.
الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ ، ٨٩٢م)
٢٤ ـ سنن الترمذي، نشر محمد عبد المحسن الكتبي، مطبعة الفجالة، القاهرة دت.
الثعالبي، عبد الملك بن محمد النيسابوري(ت٤٢٩هـ ، ١٠٣٧م)
٢٥ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار نهضة مصر، مصر ١٩٦٥.
الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥ هـ ، ٨٦٨م)
٢٦ ـ رسائل الجاحظ(الرسائل السياسية) تقديم علي ابو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٧٨.
ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن(ت٤٩٧هـ ، ١٢٠٠م)
٢٧ ـ صفة الصفوة، تحقيق محمد فاخوري، دار المعرفة بيروت ,١٩٧٩
٢٨ ـ الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٦. سبط ابن الجوزي، ابو المظفر يوسف شمس الدين(٦٤٥ هـ ، ١٢٤٧م)
٢٩ ـ تذكرة الخواص، المطبعة العلمية، النجف ١٣٢٩.
الجويني، ابراهيم بن محمد بن المؤيد(ت٧٣٠هـ ، ١٣٢٩م)
٣٠ ـ فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت ١٩٨٧.
ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد الرازي(ت٣٢٧ هـ ، ٩٣٨م)

٣١ ـ الجرح والتعديل، مطبعة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند ١٩٥٢.
الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد (ت ٤٠٥ هـ)،
٣٢ ـ المستدرك على الصحيحين، تحقيق يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦.
ابن حبان، محمد بن حبان البستي(ت٣٥٤هـ ، ٩٦٥م)
٣٣ ـ مشاهير علماء الأمصار، تصحيح م. فلاشهمر، القاهرة ١٩٥٩.
٣٤ ـ كتاب الثقات، تصحيح عبد الخالق الأفغاني، حيدر اباد الدكن، الهند ١٩٦٨.
ابن حبيب، محمد بن حبيب بن عمرو الهاشمي (٢٤٥هـ ، ٨٥٩م)
٣٥ـ المحبر، تصحيح اليزة ليختن شيشتر، المكتب التجاري، بيروت ١٣٦١هـ .
٣٦ ـ المنمق، تعليق خورشيد احمد فاروق، حيدر آباد الدكن ١٩٦٤
ابن حجر، احمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢ هـ ، ١٤٤٨م)
٣٧ ـ الاصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٨هـ .
٣٨ ـ تهذيب التهذيب، مطبعة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٢٥.
٣٩ ـ تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة د.ت.
٤٠ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط٢، دار المعرفة، بيروت د.ت.
٤١ ـ لسان الميزان، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٣١.
ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ ، ١٢٥٨م)
٤٢ ـ شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨. ابن حزم، علي بن احمد (ت ٤٥٦ هـ ، ١٠٦٣م)
٤٣ ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر١٩٧١.
٤٤ـ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، دار المعارف، مصر د ت.
٤٥ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة المثنى، بغداد د ت.
٤٦ ـ المحلى، تحقيق احمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت د ت.
الحلبي، عليّ بن برهان الدين الحلبي الشافعي (ت ١٦٤٠م)
٤٧ ـ إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المكتبة التجارية، مصر ١٩٦٢.
ابن حنبل، احمد (ت ٢٤١هـ ، ٨٥٥م)
٤٨ ـ مسند احمد بن حنبل، دار صادر، بيروت د ت.
٤٩ـ العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله محمود عباس، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ.
الحميري البغدادي، ابو العباس عبد الله(ت٣٠٠هـ)،
٥٠ ـ قرب الإسناد، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، قم ١٤١٣هـ
ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي(ت٧٤٩هـ ، ١٣٤٨م)
٥١ ـ تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بغداد ١٩٧٨م.

أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد(ت٣٦٤هـ ، ٩٧٤م)
٥٢- البصائر والذخائر، تصحيح إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس، دمشق ١٩٦٦.
الخطيب البغدادي، احمد بن علي(ت٤٦٣هـ ، ١٠٧٠م)
٥٣ ـ تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت د ت.
ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت ٦٨١هـ ، ١٢٨٢م)
٥٤ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧١.
الخوارزمي، الموفق بن احمد الحنفي (ت ٥٦٨ هـ ، ١١٧٢م)
٥٥ ـ المناقب، تقديم محمد رضا الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٥.
ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠ هـ ، ٨٥٤م)
٥٦ ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دمشق ١٩٦٦.
ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ ، ٨٧٠م)
٥٧ ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر د ت.ابن دريد، محمد بن حسن بن دريد الأزدي(٣٢١هـ ، ٩٣٣م)
٥٨ ـ الإشتقاق، تحقيق محمد عبد السلام هارون، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٧١.
الدمشقي، محمد بن يوسف الصالحي(ت٩٤٢هـ ، ١٥٣٥م)
٥٩ ـ أزواج النبي (ص) اللاتي دخل بهن أو عقد عليهن وخطبهن وبعض فضائلهن، تحقيق محمد نظام الدين، دار ابن كثير، دمشق ١٩٦٢.
الدميري، كمال الدين (ت٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥م)
٦٠ ـ حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر، بيروت د ت.
الديار بكري، حسين بن محمد(ت٩٦٦ هـ ، ١٥٥٩م)
٦١ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت د ت.
الذهبي، محمد بن احمد بن قيماز (ت٧٤٨هـ ، ١٣٤٧م)
٦٢ ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مطبعة السعادة، مصر د ت.
٦٣ ـ تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت، د ت.
٦٤ ـ تذكرة الحفاظ، نشر محمد امين، ط٤، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت ١٩٥٦.
٦٥ ـ دول الإسلام، مطبعة دار المعارف العثملنية، حيدر آباد الدكن، ١٣٦٤هـ .
٦٦ ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار المعارف، مصر ١٩٥٧.
٦٧ ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد بن سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦.
٦٨ ـ معرفة القراء الكبار على الكطبقات والأعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر١٩٦٧.
٦٩ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٩٦٣. ابن رستة، ابو علي محمد بن عمر بن رستة(ت٤٠٩هـ ، ١٠٩٦م)

٧٠ ـ الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١. ابن الزبير، عروة (ت٩٤هـ ، ٧١٢م)
٧١ ـ مغازي رسول الله(ص) برواية أبي الأسود عنه، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٩٨١.
الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(ت٨٩٤هـ ، ١٣٩١م)
٧٢ ـ البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٩٥٧.
الزرندي، محمد بن يوسف الحنفي(ت٧٥٠هـ ، ١٣٤٩م)
٧٣ ـ نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والبتول والسبطين، مطبعة القضاء، النجف ١٩٥٨.
الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو(ت٥٣٨هـ ، ١١٤٣م)
٧٤ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، القاهرة ١٩٦٨.
الزوزني، عبد الله بن محمد
٧٥ ـ شرح المعلقات السبع، مطبعة النقاء، بغداد د ت. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢ هـ ، ١٤٩٦م)
٧٦ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٤٩هـ
ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ)
٧٧ ـ الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت د ت.
٧٨ ـ الطبقات الكبرى(القسم المتمم)، تحقيق محمد منصور، المدينة المنورة، ١٩٨٣.
السكتواري، علاء الدين علي دده بن مصطفى البسنوي(١٠٠٧هـ ، ١٥٩٨م)
٧٩ ـ محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، المطبعة العامرة الشرفية، مصر ١٣١١هـ .
السمهودي، نور الدين علي بن احمد(ت٩١١هـ ، ١٥٠٥م)
٨٠ ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، ١٩٥٥.
السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد(٥٨١هـ ، ١١٨٥م)
٨١ـ الروض الأنف، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر ١٩٧١. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ ، ١٥٠٥م)
٨٢ ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر ,١٩٥٢
٨٣ ـ الخصائص الكبرى، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، تحقيق محمد خليل مهراس، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٧.
٨٤ ـ الجامع الصغير، دار الفكر، بيروت ,١٤٠١
٨٥ ـ الدر المنثور، نشر محمد امين، بيروت د ت.
ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت ٦٧١ هـ)
٨٦ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦ هـ.

ابن شهر اشوب، مشير الدين محمد بن علي بن شهر اشوب (ت٥٨٨ هـ ، ١١٩٢م)
٨٧ ـ مناقب ال أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٧٦. ابو الشيخ، عبد الله بن محمد بن حيان (ت٣٦٩هـ)
٨٨ ـ أخلاق النبي(ص) وآدابه، تحقيق احمد محمد مرسي، ط٢، مصر ١٩٧٢.
الشيرازي، حيدر علي خان المدني الحسني(١١٢٠هـ ، ١٧٠٨م)
٨٩ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٢.
الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١ هـ)
٩٠ ـ أمالي الصدوق، تقديم محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٧١.
٩١ ـ الخصال، تحقيق علي اكبر الغفاري، جماعة المدرسين، قم ١٤٠٣.
الصفدي، صلاح الدين خليل الدين ايبك(ت٧٦٤هـ ، ١٣٦٢م)
٩٢ـ الوافي بالوفيات، ط٢، اعتناء هلموت ريتر، بفبادن ١٩٦٢.
الصفوري الشافعي، عبد الرحمن بن عبد السلام
٩٣ ـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ١٣٥٨هـ .
الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ ، ٨٢٦هـ)
٩٤ ـ المصنف، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، بيروت ١٩٧٢.
الضحاك، ابن أبي عاصم ت ٢٨٧هـ .
٩٥ ـ الاحاد والمثاني، تحقيق باسم فيصل احمد الجوابرة، دار الراية السعودية ١٩٩١
الطبراني، سليمان بن احمد(ت٣٦٠هـ)
٩٦ـ المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مطبعة الزهراء، الموصل ١٩٨٣.
٩٧ ـ المعجم الأوسط، تحقيق ابراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة ١٩٩٥.
الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨ هـ ، ١١٥٣م)
٩٨ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، تصحيح علي أكبر الغفاري، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران ١٣٣٨.
٩٩ ـ مجمع البيان في تفسير القران، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث، بيروت د ت.
١٠٠ ـ تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم، مطبعة الصدر، قم د ت.
الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ ، ٩٢٢م)
١٠١ ـ تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر ,١٩٦٨
١٠٢ ـ جامع البيان عن تاويل آي القرآن، ط٣، دار الفكر، مصر ١٩٦٨.
الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ ، ١٠٦٧م)
١٠٣ ـ تفسير التبيان، تحقيق احمد بن حبيب العاملي، مكتبة الأميني، النجف الأشرف ١٩٦٣.
١٠٤ ـ الامالي، تحقيق مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم ١٤١٤.

العامري، عماد الدين يحيى بن أبي بكر(ت٨٩٣هـ ، ١٤٨٨م)
١٠٥ ـ بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، المكتبة العلمية مصر ١٣٣١هـ .
ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣ هـ ، ١٠٧٠م).
١٠٦ ـ الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد علي البجاوي، مكتبة نهضة مصر دت.
١٠٧ـ الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٩٦٦.
عبد الجبار، القاضي عبد الجبار الهمداني (٤١٥هـ ، ١٠٢٤م)
١٠٨ ـ تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت ١٩٦٦.
ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي (ت٣٥٦هـ ، ٩٣٨م)
١٠٩ ـ العقد الفريد، تصحيح محمد أمين، القاهرة ١٩٤٩.
ابو عبيدة، معمر بن المثنى (٢٠٨ هـ ، ٨٢٣م)
١١٠ـ تسمية أزواج النبي(ص) واولاده، تحقيق ناصر حلاوي، جامعة البصرة ١٩٦٩.
ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١ هـ ، ١١٧٥م)
١١١ ـ تاريخ دمشق، تحقيق محب الدين عمر بن غرامسة، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥.
العسكري، الحسن بن عبد الله بن سعيد(ت٣٩٥هـ ، ١٠٠٤م)
١١٢ ـ الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة ١٩٦٦.
علاء الدين علي بن بلبان الفارسي(ت٣٥٤هـ)،
١١٣ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، د م ١٩٩٣.
ابو علي القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي(٣٥٦هـ ، ٩٦٦م)
١١٤ ـ الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الفكر، د م ، د ت.
١١٥ ـ ذيل الأمالي، فهرست محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الفكر، د م ، د ت.
العماد الحنبلي، عبد الحي بن العماد(ت١٠٨٩هـ)
١١٦ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري، بيروت د ت.
الغلابي، محمد بن زكريا (٢٩٨هـ ، ٩١٠م)
١١٧ ـ وقعة الجمل، رواية محمد بن يحيى الصولي، تحقيق محمد حسن ال ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٠.
الفاسي، محمد بن احمد (٨٢٣هـ ، ١٤٢٨م)
١١٨ ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٥٦.
١١٩ ـ العقد الثمين تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة ١٩٥٨.
ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل(ت٧٣٢هـ ، ١٣٣١م)
١٢٠ ـ المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر د ت.
ابو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)

١٢١ ـ الأغاني، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الشعب، مصر ١٩٧٠.
١٢٢ـ مقاتل الطالبيين، تحقيق احمد صقر، دار المعرفة، بيروت د. ت.
ابو القاسم الكوفي، علي بن احمد (ت ٣٥٢ هـ ، ١٠٠١م)
١٢٣ ـ الاستغاثة في بدع الثلاثة، النجف د ت.
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ ، ٨٨٩م)
١٢٤ـ عيون الأخبار، دار الكتب، مصر ١٩٦٣.
١٢٥ ـ المعارف، تحقيق محمد ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩.
ابن قدامة، عبد الله بن احمد ت ٦٢٠،
١٢٦ ـ كتاب التوابين، تحقيق عبد الله الأرناؤوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ
القرطبي، محمد بن احمد(ت٦٧١هـ ، ١٢٧٣م)
١٢٧ ـ الجامع لأحكام القرآن، القاهرة ١٩٥٠.
القسطلاني، احمد بن محمد بن أبي بكر(٩٢٣هـ ، ١٥١٧م)
١٢٨ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المطبعة الشرقية، طنطا ١٩٠٧.
ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت٧٥١هـ ، ١٣٥٠م)
١٢٩ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد، تقديم طه عبد الرؤوف طه، مصر ١٩٧٠.
الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي(ت٦٩٧هـ ، ١٢٩٧م)
١٣٠ ـ مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٠.
ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ هـ ، ١٣٧٢م)
١٣١ ـ البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٦٦.
١٣٢ ـ تفسير القران العظيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر د ت.
١٣٣ ـ مولد رسول الله(ص)، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٦١.
ـ الكلاعي، سليمان بن موسى الأندلسي (ت٦٣٤هـ، ١٢٣٦م)
١٣٤ ـ الإكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٦٨.
ـ ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب الكلبي(٢٠٤هـ ، ٨١٩م)
١٣٥ ـ جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦.
ـ الكوفي، محمد بن سليمان (ت بعد ٣٠٠ هـ)،
١٣٦ ـ مناقب الامام امير المؤمنين، مجمع احياء الثقافة الاسلامية، تحقيق محمد باقر المحمودي، قم ١٤١٢
ـ الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ هـ ، ٩٤٠م)
١٣٧ ـ الأصول من الكافي، تعليق علي اكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران ١٣٨٨.
ـ مؤرج السدوسي، مؤرج بن عمرو السدوسي(ت١٩٥ هـ ، ٨١٠م)

١٣٨ - حذف من نسب قريش، نشر صلاح الدين المنجد، مكتبة العروبة، القاهرة ١٩٦٠.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥ هـ ، ٨٨٦م)
١٣٩ - سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ١٩٥٢.
- ابن ماكولا، أبو النصر علي بن هبة الله بن ماكولا(ت٤٧٥هـ ، ١٠٨٢م)
١٤٠ - الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، حيدر اباد الدكن ١٩٦٠.
- المبرد، محمد بن يزيد (ت٢٨٦هـ ، ٨٩٩م)
١٤١ - الكامل في الأدب، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار النهضة، القاهرة د ت .
- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت٩٧٥ هـ ، ١٥٦٧م)
١٤٢- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط٢، حيدر آباد الدكن ١٩٦٧م.
- المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١ هـ ، ١٦٩٩م)
١٤٣- بحار الانوار، تعليق جواد العلوي، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ .
- محب الدين الطبري، احمد بن عبد الله (ت ٦٩٤ هـ ، ١٢٩٤م)
١٤٤ - ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مراجعة جميل ابراهيم حبيب، بغداد ١٩٨٤.
١٤٥ - السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، المطبعة العلمية، حلب ١٩٢٨.
- المرتضى، علي بن الحسين ت٤٣٦هـ،
١٤٦ - رسائل المرتضى، تحقيق احمد الحسيني، دار القرآن، قم ١٤١٠هـ.
- المسعودي، علي بن الحسين (ت٣٥٦ هـ ، ٩٥٦م)
١٤٧ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، فهرسة يوسف احمد داغر، ط٦، دار الأندلس، بيروت ١٩٨٦.
١٤٨ - التنبيه والاشراف، بيروت ١٩٦٥.
١٤٩ - إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب، طهران ١٣٢٠هـ .
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١ هـ ، ٨٧٤م)
١٥٠ - الجامع الصحيح، بيروت ١٩٢٧.
- مصعب الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب (ت٢٣٦هـ ، ٨٥٠م)
١٥١ - نسب قريش، تحقيق أ ليفي برفنسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٣.
- مغلطاي، علاء الدين مغلطاي بن قليج(٧٦٢هـ ، ١٣٦١م)
١٥٢ - سيرة مغلطاي، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٦هـ .
- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان(ت٤١٣هـ ، ١٠٢٢م)
١٥٣ - الجمل او النصرة في حرب البصرة، المطبعة الحيدرية، النجف د ت.
- المقريزي، احمد بن علي (ت٨٤٥هـ ، ١٤٤١م)
١٥٤ - إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والحفدة والإمتاع، تصحيح محمود محمد شاكر،

القاهرة ١٩٤١.
١٥٥ ـ النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، تقديم محمد صادق ال بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٦.
ـ المكي، عبد الملك بن الحسين العصامي(ت١١١١هـ ، ١٦٩٩م)
١٥٦ ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ .
ـ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ ، ١٣١١م)
١٥٧ ـ لسان العرب المحيط، دار اللسان العربي، بيروت د ت.
ـ المنقري، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ ، ٨٢٧م)
١٥٨ ـ وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة، مصر ١٩٦٢.
ـ النبيل، احمد بن أبي عاصم(ت٢٨٧هـ ، ٩٠٠م)
١٥٩ ـ الأوائل، تحقيق محمد السعيد البسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
ـ النديم البغدادي، محمد بن إسحاق (ت٣٨٠هـ ، ٩٩٠م)
١٦٠ ـ كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي زين العابدين، طهران ١٩٧٠.
ـ النسائي، احمد بن شعيب (ت٣٠٣ هـ ، ٩١٥م)
١٦١ ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، تحقيق محمد هادي الأميني، د م دت.
١٦٢ ـ سنن النسائي، تصحيح حسن محمد المسعودي، المطبعة المصرية، مصر د ت.
ـ النسفي، عبد الله بن احمد بن محمود(٧١٠هـ ، ١٣١٠م)
١٦٣ ـ تفسير النسفي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت د ت.
ـ النعمان المغربي، النعمان بن محمد (ت٣٦٣هـ)،
١٦٤ ـ شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار، تحقيق محمد الحسيني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم د ت.
ـ ابو نعيم الاصبهاني، احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ ، ١٠٣٨م)
١٦٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ,١٩٦٧
١٦٦ ـ دلائل النبوة، تحقيق محمد رواس قلعجي، حلب ١٩٧٠.
ـ النووي، محيي الدين(ت٦٧٦هـ)،
١٦٧ ـ المجموع في شرح المهذب، دار الفكر د ت.
ـ النويري، احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ ، ١٣١٣م)
١٦٨ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٥٩.
ـ ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٣ هـ ، ٨٢٨م)
١٦٩ ـ السيرة النبوية، تقديم طه عبد الرؤوف طه، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر ١٩٧٩.
ـ الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ ، ١٤١٤م)

١٧٠ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة المقدسي، القاهرة ١٣٥٣هـ.
١٧١ - موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت د ت.
- الواحدي، علي بن احمد النيسابوري (ت٤٦٨هـ ، ١٠٧٥م)
١٧٢ - أسباب النزول، القاهرة ١٩٦٨.
- الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ ، ٨٢٢م)
١٧٣ - المغازي، تحقيق ماردسن جونس، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي(ت٦٢٦هـ ، ١٢٢٨م)
١٧٤- معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٥٦.
- اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر(ت٢٨٤هـ ، ٨٩٧م)
١٧٥ - تاريخ اليعقوبي، تقديم محمد صادف ال بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٤.

المراجع

- أرفنج، واشجتون
١٧٦ - حياة محمد، ترجمة علي حسني الخربوطلي، دار المعارف، مصر ١٩٦٦.
- بخش، خوادا
١٧٧ - الحضارة الإسلامية، ترجمة علي حسني الخربوطلي، دار الكتب الحديثة، الجيزة ١٩٦٠.
- ابن بدران، عبد القادر
١٧٨- تهذيب تاريخ دمشق، دار السيرة، بيروت ١٩٧٩.
- برانق، محمد احمد
١٧٩ - خديجة الطاهرة، دار المعارف، مصر د ت.
- البعاج، عبد الستار
١٨٠- خديجة الكبرى، مطبعة الغري الحديثة، النجف ١٩٥٦.
- بنت الشاطىء، عائشة بنت عبد الرحمن
١٨١ - نساء النبي(ص)، دار الهلال، مصر د ت.
١٨٢ - بنات النبي، دار الهلال، مصر ١٩٦٣.
- بودلي، ر . ف
١٨٣ - الرسول حياة محمد، ترجمة محمد فرج، مكتبة مصر د ت.
- توفيق، بثينة
١٨٤ - خديجة أم المؤمنين، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٨.
- جيوم، الفريد
١٨٥ - الإسلام، ترجمة محمد مصطفى هذارة، القاهرة ١٩٥٨.
- الحوفي، محمد احمد

١٨٦ - المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة ١٩٦٣.
- دور منغم، أميل
١٨٧ - حياة محمد، ترجمة محمد عادل زعيتر، دار الكتب العلمية، بيروت د ت.
- دينيه، اتين
١٨٨ - محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف، مصر ١٩٦٦.
- ديورانت، ول
١٨٩ - قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة ١٩٦٤.
- راضي، عبد الجليل
١٩٠ - حياة محمد الروحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤.
- رضا، محمد رشيد
١٩١ - الوحي المحمدي، ط٢، مطبعة المنار، مصر ١٣٥٢هـ.
- الساعي، إبراهيم زكي
١٩٢ - أم الإشتراكية خديجة بنت خويلد، الدار القومية للطباعة، مصر د ت.
- سالم، عبد العزيز
١٩٣ - تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١.
- السحار، عبد الحميد جودة
١٩٤ - محمد والذين معه(خديجة بنت خويلد)، دار مصر للطباعة، مصر ١٩٦٧.
- سرور، طه عبد الباقي
١٩٥ - خديجة زوجة الرسول، دار الشرق الجديد، القاهرة ١٩٥٧.
- الصعيدي، عبد المتعال
١٩٦ - دواوين الشعراء الستة الجاهليين، ط٤، مطبعة الفجالة، القاهرة ١٩٦٨.
- عاشور، سعيد هارون
١٩٧- نساء النبي(ص) سير وقضايا، مكتبة الآداب، مصر ١٩٩٦.
- عاقل، نبيه
١٩٨ - تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين، مطبعة أبي العلاء، دمشق ١٩٧٢.
- العاملي، محسن الأميني
١٩٩ - سيرة الرسول(ص)، دار القلم، بيروت د ت.
- عمروش، احمد راتب
٢٠٠ - الفتنة وواقعة الجمل، رواية سيف بن عمر، دار النفائس، بيروت ١٩٧٢.
- العشري، عبد السلام
٢٠١ - خديجة بنت خويلد، مؤسسة المطبوعات الحديثة، مصر د ت.
- علي، جواد
٢٠٢ - تاريخ العرب في الإسلام، بغداد ,١٩٦١
٢٠٣ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٧٠.

- العلي، صالح احمد
٢٠٤ - محاضرات في تاريخ العرب، جامعة الموصل ١٩٨١.
- عمر، عبد المنعم
٢٠٥ - خديجة ام المؤمنين، ط٢، الهيئة العامة للطباعة، مصر ١٩٩٤.
- العوا، بشير
٢٠٦ - الأسرة بين الجاهلية والإسلام وأوضاعها الراهنة، ط٢، دار الفكر الإسلامي، دمشق ١٩٥٨.
- عوض الله، أحمد ابو الفضل
٢٠٧ - مكة في عصر ما قبل الإسلام، ط٢، الرياض ١٩٨٠.
- قطب، محمد علي
٢٠٨ - خديجة بنت خويلد(رض)، دار القلم، بيروت ١٩٨٠.
- كستر، أ. ج.
٢٠٩ - الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، جامعة بغداد ١٩٦٧.
- لوبون، غوستاف
٢١٠ - حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البأبي الحلبي، القاهرة ١٩٦٩.
- المامقاني، عبد الله
٢١١ - تنقيح المقال، المطبعة الرضوية، النجف ١٣٥٢هـ .
- المحتصر، محمد جواد
٢١٢ - نساء النبي وأولاده، مطبعة العمال المركزية، بغداد ١٩٩٠.
- الملاح، هاشم يحيى
٢١٣ - الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة الموصل ١٩٩١.
٢١٤ - الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة الموصل ١٩٩٤.
- الندوي، ابو الحسن علي الحسيني
٢١٥ - السيرة النبوية، دار الشروق، القاهرة ١٩٦٩.
- ابو النصر، عمر
٢١٦ - فاطمة بنت الرسول(ص)، ط٢، بيروت ١٩٣٨.
- واط، مونتغمري
٢١٧ - محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات، المكتبة المصرية، بيروت ١٩٥٢.

الدوريات

- احمد إبراهيم ،
٢١٨ - موسى وعيسى ومحمد ليسوا أنبياء الله ، جريدة الأهرام ، العدد ٤١٨١٥ في ٢٠٠٠/٦/١ .
- حيدر، إبراهيم الشيخ
٢١٩ - مثلهن الأعلى خديجة، مجلة النور، لندن، السنة العاشرة، العدد ١١١ لسنة ٢٠٠٠.

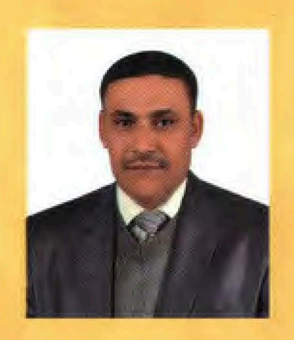
- خليل، عماد الدين
٢٢٠ - عرض للدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مجلة المورد، المجلد الرابع، العدد الرابع ١٩٧٥.
- الصفار، عبد الرزاق قاسم
٢٢١ - زوجات النبي(ص) الطاهرات في السيرة النبوية لإبن هشام، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد ١٣، لسنة ١٩٨١.
- طبارة، أمينة محمد
٢٢٢ - التحرر يبدأ في عقول الرجال والنساء، مجلة العربي، العدد ٥٠٩، لسنة ٢٠٠١.
- العسلي، خالد صالح
٢٢٣ - دور أجداد الرسول في مكة، مجلة كلية التربية، العدد ٦، السنة الثالثة لسنة ١٩٨١.
- مرتضى العسكري،
٢٢٤ - عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، دار التوحيد، النجف الأشرف ١٣٧٥.

الفهرست

المؤلف في سطور

- حسين علي عبد الحسين الشرهاني
- من مواليد محافظة ذي قار/ ناحية النصر/ قرية أبو هاون ١٠/٧/١٩٧٠
- درس الابتدائية في مدرسة المهدية للسنوات ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢
- درس المتوسطة والإعدادية في ثانوية النصر للسنوات ١٩٨٢ ـ ١٩٨٩
- حصل على شهادة البكلوريوس من جامعة البصرة/كلية التربية/قسم التاريخ العام ١٩٩٣ وكان الاول على دورته
- عُيّن مساعد باحث في قسم التاريخ العام ١٩٩٣
- حصل على شهادة الماجستير عام ٢٠٠١
- عمل رئيسا لقسم التاريخ في كلية التربية جامعة ذي قار للاعوام ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٦
- حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة فدريكو الثاني الإيطالية العام ٢٠١٠
- حصل على لقب أستاذ مساعد العام ٢٠١٠
- له العديد من البحوث المنشورة والمقبولة للنشر وبعض الكتب المطبوعة
- البريد الالكتروني

alsharhany2006@yahoo.com



حسين علي عبد الحسين الشرهاني

. من مواليد محافظة ذي قار/ ناحية النصر/ قرية أبو هاون ١٠/٧/١٩٧٠

. درس الابتدائية في مدرسة المهدية للسنوات ١٩٧٦ . ١٩٨٢

. درس المتوسطة والإعدادية في ثانوية النصر للسنوات ١٩٨٢ . ١٩٨٩

. حصل على شهادة البكلوريوس من جامعة البصرة/كلية التربية/قسم التاريخ العام ١٩٩٣ وكان الاول على دورته

. عُين مساعد باحث في قسم التاريخ العام ١٩٩٣

. حصل على شهادة الماجستير عام ٢٠٠١

. عمل رئيسا لقسم التاريخ في كلية التربية جامعة ذي قار للاعوام ٢٠٠٢ . ٢٠٠٦

. حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة فدريكو الثاني الإيطالية العام ٢٠١٠

. حصل على لقب أستاذ مساعد العام ٢٠١٠

. له العديد من البحوث المنشورة والمقبولة للنشر وبعض الكتب المطبوعة

البريد الالكتروني:
alsharhany2006@yahoo.com





تموز للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق/ جوال: 00963-944628570
Email: akramaleshi@gmail.com